موسوعة أعلام التفسير في الجزائر



إشراف وتحرير:

أ.د حمو عبد الكريم

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران- الجزائر

مراجعة عامة:

د. بلخير عمراني

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط – الجزائر

تأليف مجموعة من الباحثين

الجزء الثاني

ISBN : 000–0000–000–00-0

الطبعة الأولى

ربيع الآخر 1442 هـ/ نوفمبر 2020م

مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة بالأغواط الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة أعلام التفسير في الجزائر

الطبعة الأولى

1442 هـ- 2020 م

ردمك : 000-0000-000-00-0

مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة، مقابل المستشفى الجامعيّ

صندوق البريد رقم: 4082، بريد الواحات الشماليّة بالأغواط الجزائر

للاتصال برئاسة المشروع:

mmmmmmmmmmmm@gmail.com

الهاتف الثّابت: 029146189 (00213)

الفاكس: 029146190 (00213)

عناية مشيخة العلم التلمسانية بدرس التفسير القرآني

تجربة ابن مرزوق الحفيد ت842هـ/ 1438م وأحمد ابن زاغو ت845هـ/1441م أنموذجا

ط.د أسماء حاج محمد ، جامعة لونيسي علي، البليدة02 الجزائر

مقدمة:

عرفت الكتابة التاريخية في الآونة الأخيرة نقلة نوعية مشهودة في طبيعة طرحها ومعالجتها للمواضيع، حيث انتقلت من نمطية التأريخ الكلاسيكي للمنظومة السياسية دون غيرها، إلى التعمق في الظواهر الثقافية والعلمية التي لها تماس مباشر بمسألة الحفاظ على الهوية الإسلامية، فقدمت بذلك مُعْطى جديد للباحثين مكنّهم من تسليط الضّوء على الفعل الإنساني الذّي يُستفاد به دعم المعرفة الدّينية وعلومها المختلفة بكثير من التفصيل والتدقيق.

والواقع أنّ التفكير في عملية النّهوض بالعلوم الدينية في المغرب الأوسط في العصر الزيّاني (633 -962ه/ 1235- 1554م)، يدفعنا لاستعراض تفاصيل خدمة علمائه للقرآن الكريم، استنادًا على ما تردّد في المصادر حول مشاركة الفئات النخبوية من ذوي الخبرات، والمعروفين عند العام والخاص بقدرتهم على اِتخاذ العلم والقلم وسيلة لبثّ الوعي بقيمة التعليم القرآني حفظاً وفهماً، وهذا ما سطّرته جهود المشيخة العِّلمية التي حازتها تلمسان، حيث استطاعت أن تَخْلُقْ نزعة

علمية، غَرستْ في نفوس الكثيرين رغبة البحث والنَّظر في معاني النَّص القرآني، فلا يكاد يخلو مكان بها إلاّ وعرف فيه النّاس قيمة الإحاطة بتعاليمه وأحكامه.

لذلك جاءت هذه الدّراسة لتلقي نظرة حول مظاهر الاهتمام بعلم التّفسير في حاضرة تلمسان خلال عصر بني زيّان، على حسب ما أوردته كتب التراجم والطبقات التي رصدت تجربة كل من المُفسِّر ابن مرزوق الحفيد ت842ه/ 1438، ونظيره أحمد ابن زاغو ت845ه/ 1441م، وهما عالمين جليلين كانت لهما اليد الطَّوْلى في هذا المجال تحصيلاً ومنهاجاً وتحقيقاً، إذ يمكن إغفال نشاطهما الملحوظ في حركة التّعليم الدّيني إبّان العصر الزيّاني، خاصة أنّهما وضعا عدداً لابأس به من التفاسير النّافعة، كل حسب مراجعاته للمتقدمين والمتأخرين من أسلافهم ذوي الباع الطويل في هذا الميدان، وقد تيسرت بفضلهما سُبل الانتفاع بالدّروس الّتي أجاداَ في تقديمها لتلاميذهم، ممّا ساهم في إثراء مدرسة التفسير بالمغرب الأوسط، والّتي ظلّت تنمو وتزدهر منذ دخول أوّل مصحف إلى شمال إفريقيا.

ولكي يأخذ هذا البحث مداه الواسع خارج أسوار السّرد البحت، كان لابد من تخطي جدران النّص التاريخي، والعمل على اِقتفاء آراء المؤرخين والباحثين حول النّصوص التي رصدت تجربة العالمين الآنف ذكرها، لأنّ المتعارف عليه أنّ كتابات المناقب والتراجم والطبقات قد اتسمت بالتنوع والشمولية في مادتها العلمية حتى انعكس ذلك كله على ما احتوته من معلومات، ومن هذا المنطلق تَوجَّب علينا طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى استطاعت المصادر التاريخية رصد واقع تجربة كل من المفسّرين ابن مرزوق الحفيد وأحمد ابن زاغو في مجال علم التفسير بالمغرب الأوسط درساً وتأليفاً؟ وقد حاولنا بالمقابل إثارة النِّقاط التالية في متن الدّراسة:

- ضبط مصطلح المشيخة العلمية، وحصرها على مستوى يتماشى ومتطلبات البحث.

- تقديم تصور عام حول عوامل ازدهار علم التفسير في حاضرة تلمسان.

– اقتفاء أثر المشيخة التي ساهمت في تكوين كل من ابن زاغو وابن مرزوق.

– توصيف مدى التزام واستمرار كل من ابن زاغو وابن مرزوق بحلقات التدريس، من خلال رصد تلاميذهم، وضبط مصنفاتهم، ومنهجهم في علم التفسّير، إضافة إلى مؤلفات أخرى اعتمدوها أثناء تدريسهم لعلم التفسير

1ـ المشيخة العلمية (المصطلح والدلالة):

1ـ1 الضّبط اللغوي:

المشيخة بفتح الميم وسكون الشّين وفتح الياء، وهي مصدر لكلمة شيخ أو شَيْخُونْ، وجمعها أشْيَاخ وشُيوخٌ ومَشْيَخة ومَشَايخٌ[1]، اتخذّها البعض معياراً للتّلفُّظ بها على من اِستبانت فيه السِّن، وظهر عليه الشّيب، فقيل من اِحدى وخمسين إلى آخر العمر[2].

كما أنّها أُخْتُصِرَتْ مجازاً لتخدم معاني التبجيل والاحترام التي يُكِّنُها النّاس للعالم فيهم، فقيل: "دعاه شيخاً، تبجيلاً وتعظيماً"[3].

من هذه النّظرة المؤسّسة ترامى معنى المشيخة لغةً بين مَعنيّين اثنين، إذ ارتبط الأوّل بمعيار السِّن، فأُطْلِقت على كل من تقّدم به العُمر، في حين ارتبط الثّاني بمعيار العلم وكلاهما من الناحية القيمية خَدَمَ فكرة التبجيل والاحترام.

[1]– الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ص 254.

[2]– الزبيدي محمد ابن محمد ابن مرتضى الحسيني (ت1205ه/ 1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السّلام محمد هارون، ط2، دار التراث العربي، الكويت،1994م، ج7، ص 286

[3]–ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم أبي الفضل الإفريقي المصري(ت711ه/ 1311م): لسان العرب، ط1، دار الصادر، بيروت، د.ت، ج9، ص 62.

2ـ1 الضّبط الاصطلاحي:

يطلق الشيخُ في الاصطلاح على المُعّلم والأستاذ لكبره وعظمته وكثرة تجاربه ومعارفه[4]، وبالمِثْلِ أُستعملت المشيخة للدّلالة على الكراريس التي يجمع فيها الإنسان أسماء شيوخه، وتشمل ذكر شيوخه الذّين لقيهم المؤلف، وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم[5]. فلا سبيل للشّك أنّ اللّفظة سُّربت إلى بلاد المغرب واستعملت للدّلالة على لائحة الشيوخ الذّين أخذ عنهم المؤلف علومه.

بالمقابل ورد عند المتأخرين أنّ الشَّيخ هو ذلك الإنسان الكامل في العلوم الشرعية، البالغ فيها إلى حدّ التمكّن[6]، ومع ذلك نجد تشابهها من حيث التداول مع مصطلحات دينية أخرى كالعالم[7]والفقيه[8] والصُّوفي[9].

[4]-محمد علي التوهاني: كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي الدحروج، ط1، مكتبة لبنان، 1996، ج1، ص 1049.

[5]- عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان المغرب، 1999م، ص 40.

[6]- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد ابن محمد الإشبيلي (ت808ه/ 1405م): شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992م، ص8.

[7]- العالم: هو العارف بأدبيات الشّريعة، يتوجه إليه لحل النّوازل الشديدة، منوط بالاجتهاد دون غيره، فيكون في منزلة كتب الأصول والفقه، ويشترط فيه خصال منها عدم احتقار من دونه مرتبة، وألاّ يحسد من فوقه، ولا يأخذ على علمه ثمناً. عبد الكريم زيدان: الوجيز في أصول الفقه، ط6، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، العراق، د ت، ص12. ابن عبد ربّه الأندلسي أحمد ابن محمد (ت368ه/ 978م): العقد الفريد، ج2، تح: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج2، ص 84-88.

[8]- الفقيه: بكسر الفاء، وفتح القاف، جمعها فقهاء، قيل: فقهه أي علّمه وباحثه في العلم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"، وبالتالي هو الفهم للشيء والعلم به، أما اصطلاحاً فيدل على العارف بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية. انظر: الفيروز آبادي، المرجع السابق، ص 150. البخاري أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل(ت256ه/ 869م): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 2002م، متفق عليه، باب العلم قبل القول والعمل، ص 29.

[9]- شيخ الصوفية: هو المتمكن في كل العلوم الدينية والطرقية والحقيقة الإلهية، فهو المربي والمرشد لهم إذا ثبتت خصوصيته يتبرك به، وهو مؤسس الطريقة، وواضع مبادئها وشروط الانتساب إليها، ويتمثل نشاطه في تعليم الشريعة ثم الإشراف على عملية انتساب المريدين إلى الطريقة، والقيام بشؤون زاويته واستقبال الزائرين والإشراف على ضيافتهم، واختصر ابن خلدون وصفه فقال:" الشيخ هو الدليل على الطريق إلى الله. للمزيد انظر: ابن زروق أبي العباس أحمد الفاسي(899ه/ 1493م): مقدمة التصوف وحقيقته ونتيجته، تح: نزار حمادي،

قادتنا منهجية القراءة الآنفة الذّكر لمعنى المشيخة إلى توضيح أنّ الأسس التي بُنيت عليها، قد تباينت بين تأثير عامل السّن والخبرة العلمية إضافة التوجّه الدّيني، وعليه فإنّ مراعاة الجمع بين المرتكزات الثلاث في رأي الباحثين هو الأصح، وعليه يمكن القول أنّ الشيخ هو ذلك الشخص الذّي حَظِيَ بتحصيل علمي في علم مُعيّن أو أكثر، أهّله إلى تولي منصب التدريس في أي مؤسسة تعليمية رسمية كالكتاتيب والمساجد والمدارس.

2ـ دعائم ازدهار علم التفسير بحاضرة تلمسان:

إنّ الحديث عن عوامل ازدهار علم التفسير في حاضرة تلمسان، يقودنا بالضّرورة للحديث عن المنحى الحضاري الجديد، الذّي رُسمَ لهذه المدينة بعد سقوط دولة الموحدين، وقيام دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط، لتصبح بذلك تلمسان عاصمة سياسية منذ 633ه/ 1253م، ومنارة ثقافية استهوت العلماء وطلاب العلم[15]، الذّين يُعزّى إليهم تهيئة المناخ المناسب للنهوض بعلم التفسير ضبطاً وتأليفاً وتدريساً، وكل ما قيل من روايات تاريخية في حقهم، هو صحيح ومُسَلم به، لكن لابد من اتباع الدِّقة والموضوعية في التعامل مع تلك الروايات، ومحاولة تحديد وتشخيص عوامل أخرى دعمت تطوره وانتعاشه لعّل أبرزها:

دار الإمام ابن عرفة، تونس، د ط، د ت، ص24. الطاهر بونابي:" الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع 14-15م "، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر02، الجزائر، 2008/ 2009م، ص550. ابن خلدون، المصدر السابق، ص68.

[15]- يصفها الجغرافي البكري (ت487ه/ 1094م) قائلاً:" تلمسان...قاعدة المغرب الأوسط...وحاضرة ذات قيمة، ذلك أنّ لها أسواقاً ومسجداً جامعاً وأشجار عليها طواحين، وإنّها كانت دار مملكة الزنّاتة، ومتوسطة قبائل البربر" البكري أبو عبيد الله ابن عبد العزيز ابن محمد ابن أيوب ابن عمرو الأندلسي(ت487ه/ 1094م): المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت،2003م، ج2، ص 259، 260.

1-2 تشجيع سلاطين بني زيان للعلم والعلماء:

لم تتوانى المصادر التاريخية المتناولة لتاريخ تلمسان الحضاري في رصد المساهمة الفعّالة لحكّامها في خدمة علوم القرآن[11]، ولعّل دعوتهم للفقهاء والمشايخ للتدريس خير دليل على ذلك، فكانت البداية مع السلطان يغمراسن(633-681ه/ 1235-1283م)، الذّي دعا الفقيه أبا إسحاق إبراهيم ابن يخلف التنسي[12] (ت680ه/ 1281م)، فلّما استجاب لدعوته، قدِم إليه بنفسه وقال له:" ما جئتك إلاّ راغباً منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم، وعلينا جَمِيعُ ما تحتاج"، وبالفعل صارا النّاس يتزاحمون على مجلسه في مسجد القيصرية لإقراء التفسير، حتى ضاقت بهم الشوارع المؤدية للمسجد المذكور[13].

ولم يعدم خلفاؤه من بعد شرف إنشاء المؤسسات العلمية مُراعين دور في تفعيل الحركة الثقافية والعلمية، إذ لا يمكن للعلم أن يزدهر إلاّ في المدن التي اتسع عمرانها، وهذا ما وضّحه ابن خلدون(ت808ه/ 1405م) في مُقدمته حين ربط انتشار العلوم باستبحار العمران وتوسعه، واختلاله يؤدي إلى انقطاع العلم، وقد أعطى مثالاً على قرطبة والقيروان بقوله:"فاعلم أنّ سند العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع على أهل المغرب باختلال عمرانه.. وذلك أنّ القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس...وكانا فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقه.. ورسخ فيهما

[11]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزيّاني، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ج2، ص 317.

[12]- ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي فقيه مالكي، انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب، كانت له رحلات نحو تونس بلاد الحجاز، لكنّه عاد واستقر بتلمسان ودرس بها حتى وفاته المنية سنة 680ه/ 1281م، ودفن بالعباد. انظر: التنسي محمد ابن عبد الله ابن عبد الجليل (ت 899ه/ 1493م): تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيّان، تح: محمود بوعياد، ط1، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص126.

[13]- فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 437.

التعليم لامتداد عصورهما، وما كان فيهما من الحضارة، فلّما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلاّ قليلا"[14].

ويمكن أن نقيس هذا النص على تلمسان، التي غدت كثرة كتاتيبها ومدارسها ومساجدها مؤشراً على مدى انتعاش حركة التعليم الدّيني بها، فالكُتّاب مثلاً يعتبر المنطلق أوّلي لتعليم الصّبيان القرآن الكريم،[15] وقد تطورت طرق التعليم القرآن فيه حين أُدْرِجت مواد جديدة على المنهاج السابق كعلم التجويد بروايته وأحكامه المختلفة كالإظهار والإدغام والإجمال وغيرها[16]، ولعّل كُتّاب مرسى الطلبة كان الأشهر لهذا العهد، نتيجة كثرة زيارة السلطان يغمراسن لشيخه أبي عبد الله ابن مرزوق(ت781ه/ 1379م) مُعلم القرآن الكريم[17].

أمّا المدارس وبالرغم من تأخر ظهورها في المغرب الأوسط إلى القرن 8ه/ 14م[18]، إلاّ أنّ تلمسان توفرت على مجموعة لا بأس بها من المدارس، ذات مستوى علمي كبير، محسوبة لفائدة الطلبة والمعلمين، شُيدت لتكون أداة السُّلطة لتكوين العلماء وتخريج الأطر، فقد كان لها دور كبير في تطوير الثقافة التعليمية بإشراف العلماء وتمويل الدولة، لذا نعتها يحي ابن خلدون بالمعاهد الكريمة بعدما استحسن عمرانها[19]، ومثله حسن الوزان(ت بعد957ه/ 1550م) بقوله :"وتوجد

---

[14]- ابن خلدون عبد الرحمن(ت808ه/ 1406م): المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004م، ص 405.

[15]-لم يكن اعتناء السلاطين بإنشاء مؤسسة الكُتّاب بالأمر المستجد، فكان على مدى العصر الزياني بعيداً عن التنميق والتكليف على هيئة بيت مربع أو مستطيل، مفروشٌ بالحصير يجلس عليه الصبيّان متربّعين حول معلمهم محمد ابن سحنون (ت256ه/ 870م): آداب المّعلمين، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م، ص 55.

[16]- فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 346.

[17]- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد (ت781ه / 1369م): المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية، الدار البيضاء، 2008م، ص 153.

[18]- عبد القادر ربوح :" المدارس التعليمية في تلمسان الزيانية (أنواعها، مناهجها التعلمية، مواردها)"، أعمال الملتقى الوطني الأوّل "التعليم في الجزائر عبر العصور، جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة، دار المعاصرة الجديدة، الجزائر، 2018م، ص 163.

[19]- يحي ابن خلدون (ت 780ه/ 1379م): بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ج1، ص 86.

بتلمسان...خمس مدارس حسنة، جيدة البناء،...شيّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس"[20].

ولما كانت مدرسة أبناء الإمام[21] التي يُعزى بناؤها للأمير أبو حمو موسى الأوّل (707- 718ه/ 1307- 1318م) أوّل مدرسة نظامية تُبنى في تلمسان، فقد عيّن السلطان لتدرس علم التّفسير بها فطاحل العلماء الذّين طبقت شهرتهم الآفاق، مثل ابن مرزوق الخطيب(ت781ه/ 1380م)، الذّي اشتهر باشتغاله في القرآن الكريم، يحي لياليه قائماً في تلاوته، ومثله وأبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771ه/ 1369م) الذّي مارس هذا العلم لأكثر من خمس وعشرون سنة، إذ كان يفسر كل يوم حزب من القرآن الكريم، فأبدع في ذلك[22].

وهناك المدرسة اليعقوبية[23] التي كانت الأكثر مقصداً لطلاب علم التّفسير أمثال أبو الحسن القلصادي الأندلسي(ت891ه/ 1486) الذّي أكد ملازمته لمجلس أحمد زاغو بقوله:" ولازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية للتفسير... في أزمنة الشتاء"[24]، وانفردت المدرس

[20]- حسن الوزان(ت944ه/ 1537م): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج2، ص 19.

[21]-العالمان البرشيكيان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى أبناء الإمام، كان أبوهما إماما لمسجد في مدينة برشك، ارتحلا معا إلى تونس وأخذا العلم عن شيوخها، ثم عادا إلى تلمسان، فاكرمهما أبو حمو وابتنى لهما المدرسة فعلّما بها إلى أن دخل أبو الحسن المريني تلمسان، ولم يتوانى هذا الأخير في تقريبهما إليه واكرامهما وجعلهما من خاصته. انظر: ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد ابن محمد الإشبيلي (ت808ه/ 1405م): التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ط1، سلسلة ذخائر التراث، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2004م، ص 37 - 40.

[22]- فيلالي، المرجع السابق، ص 438.

[23]- أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760- 791ه/ 1358- 1388م)، أقامها بجانب الضريح الذّي أقيم فيه قبر والده يعقوب وأعمامه عثمان وأبي سعيد وأبي ثابت، فسّماها على اسم والده، انتهى من بنائها سنة 765ه/ 1363م. مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية- الأحوال الاقتصادية والثقافية، ط1، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2009م، ج2، ص 276.

[24]- تم بناؤها يوم 5صفر765ه، وحضر السلطان درسها الافتتاحي الذّي ألقاه الفقيه أبو عبد الله الشريف أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي(ت891ه/ 1486م): رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفال، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص104.

التاشفينية بخصوصية حضارية نتيجة مجاورتها للجامع الأعظم، وقد نجحت في تأدية رسالتها التعليمية لخمسة قرون، إلى غاية 1873م أين تعرضت للتهديم من طرق القوات الفرنسية[25].

فقد ظلّت هذه المدارس وغيرها تزاول وظيفتها في خدمة القرآن، لتصبح ركيزة أساسية تُلقى فيها دروس علم التفسير، بإشراف عدد لا يحصى من مشايخ العلم، ساهموا في تخريج كوكبة من المفسّرين الذّين واصلوا ذات المُهمة الجليلة النّافعة.

2-2 اهتمام طلبة المغرب الأوسط بعلوم القرآن:

اهتم أهل المغرب الأوسط بالقرآن الكريم حفظاً وتفسيراً، وجعلوا من أجل المحافظة عليه قراءة عدة أحزاب يومياً، بعد صلاة الصُّبح والمغرب[26]، وهذا ما لفت انتباه ابن خلدون (ت808ه/ 1405م) فأشار إلى اقتصار مذهب أهل المغرب في ولدانهم على تعليمهم القرآن الكريم[27]، ويدعمه السّخاوي حين ترجم للفقيه أبي الفضل محمد المشدالي (ت864 ه/ 1459م) الذّي حفظ القرآن وعمره لا يتعدى خمس سنوات، بغير إقراء أحد له، ثمّ تلا في السبع سنوات على أبيه"[28]، وكان ذلك في الكُتّاب، وهذا ما يعقل عليه محمد بن يوسف السنوسي ت895ه/ 1493م الذّي اعتنى والده بتحفيظه له[29].

---

[25]- صالح بن قربة: مصادر تاريخ مدينة تلمسان في العهد الزياني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر، الجزائر، 2007م، ص 145، 146.

[26]- فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 437.

[27]- ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد ابن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت808ه/ 1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،2000م، ج1، ص 553.

[28]- السّخاوي الشمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت902ه/ 1496م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ج9، ص 180.

[29]- ابن مريم أبي عبد الله محمد ابن محمد المليتي التلمساني(ت1014ه/ 1605م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد صالح الصديق، ط1، منشورات السّهل، الجزائر، 2008م، ص255، 256.

يبدو أنّ اهتمام الآباء بتحفيظ أبنائهم القرآن منذ الصّغر ساعد على ظهور كوكبة من العلماء المهتمين بعلم التفسير في مقدمتهم سعيد العقباني (ت811ه/ 1408م) الذّي تفوّق في إلقاء درس التفسير بحاضرة تلمسان، بشهادة جمهور المفسرين الذّين أجازهم، وعليه فإنّ المنهج المتبع في المرحلة الأولى من التعليم الأطفال مكّنهم من حفظ القرآن الكريم في الصّغر، ثم الاهتمام بتفسيره في مرحلة الشباب.

يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث، وصارا القرآن أصل التعليم الذّي ينبني عليه ما بعده من الملكات، وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشّد رسوخاً، وهو أصل ما بعده"[30]، ومن هذا المنطق التربوي والتعليمي يمكن استيعاب الدّور المِفصلي الذّي لعبته التنشئة القرآنية لأطفال المغرب في التّوجيه اهتماماتهم العلمية في مرحلة الشباب.

3-2 **دخول مؤلفات علم التفسير إلى المغرب الأوسط**:

حرص القائمون على هذه العملية التعليمية استفادة طلابهم من مؤلفات التفسير المشرقية والمغربية إلى تلمسان، ومن بين تلك الكتب نذكر جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري لصاحبه محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت310ه/ 922م، وتفسير الواقدي (ت250ه/ 865م) المشهور بـ "بتفسير القرآن"، وكذا تفسير أبو منصور الثعالبي النيسابوري (ت429ه / 1037م) الموسوم ب "الاقتباس من القرآن الكريم" [31] وهو من المؤلفات القيمة عند الباحثين اليوم في علوم القرآنية والتفسيرية، وجاء بعده "المحرر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز"

[30]– ابن خلدون، العبر، ج1، ص 740.

[31]– فيلالي، المرجع السابق، ص 438.

لصاحبه محمد بن عطية المحاربي الغرناطي(ت546ه / 1154م)[32]، وهو من أهم التفاسير التي وصلت إلى تلمسان، فقد جمع فيه صاحبه بين أقسام التفسير كلّها مأثورها ومعقولها؛ قاصداً بذلك التّحري أقربها إلى الصّحة ليجمعها بين دفتي كتاب واحد[33].

عناوين أخرى اشتهرت في هذا الحقل منها" الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم الزمخشري(538ه/ 1144م)[34] وتفسير أبو إسحاق إبراهيم الزجاجي (ت310ه/ 923م) الموسوم "بمعاني القرآن " والمعافري (ت 543ه/ 1148م) المسّمى" بأحكام القرآن"، وكتاب "التفسير الكبير" لإمام فخر الدين الرازي (ت257ه/ 888م)، و"التأويل في معاني التنزيل" للإمام المحدث المفسّر أبو عبد الله ابن إبراهيم البغدادي معنون وغيرها من مؤلفات التفسير التي برهنت على أنّ المغرب الأوسط قد شهد في العصر الوسيط حراكاً قوياً لتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه مباشرة عقب الفتح الإسلاميّ مباشرة.

وتحصل الفائدة في هذا المقام أنّ نمو وتطور درس التفسير في حاضرة تلمسان لم يكن وليد عامل واحد، بل جاء كمحطة مُكملة لجهود السياسة الحاكمة الدّاعمة للحراك العلمي والثقافي، والنشاط الملحوظ للمُفسّرين، وهذا ما ستوضحه الصفحات القادمة التي ستتناول دور التجربة الجليلة لابن مرزوق الحفيد وأحمد ابن زاغو ت845ه/ 1441م في تعزيز الوعي بقيمة علم التفسير القرآني شرحاً وتعليقاً وتأليفاً، نرصد تفاصيلها فيم يلي:

---

[32]- ابن عطية محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي الأندلسي(ت546ه/ 1154م): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشافي محمد، طبعة منقحة عن طبعة آيا صوفيا بإسطنبول، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 26.

[33]- فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 438.

[34]- الزمخشري: كان معتزلاً. نفسه، ج2، ص 438.

3ـ مظاهر اعتناء ابن مرزوق الحفيد (ت842ه/ 1438م) بدرس التفسير القرآني:

تعتبر أسرة آل مرزوق[35] من أكبر العوائل التي شغلت بلاد المغرب زماناً ومجالاً وعلماً، فهي تمتد من أواخر القرن 6ه/ 12م إلى نهاية العصر الوسيط، أمّا المجال فقد ترك أفرادها بصمات علمية زاخرة ببلاد المغرب والأندلس، وأمّا علمياً فإنّ باع أفرادها واضحٌ في المعقول والمنقول[36]، وهذا ما توّثقه النصوص المصدرية إذا ما تحدثت عن مآثر المُفسّر أبو عبد الله محمد ابن مرزوق.

3ـ1 نسبه:

هو أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي[37] التلمساني الشهير بالحفيد[38]، تمييزاً له عن غيره من علماء آل مرزوق، ولد في ثالث عشر من ربيع الأوّل سنة 796ه الموافق لعشرة ديسمبر 1394م بتلمسان[39].

نشأ في بيت علم وولاية وصلاح، متأثراً بأمّه عائشة بنت الفقيه والمحدّث وقاضي جماعة تلمسان أحمد ابن الحسن المديوني ت768ه / 1366م[40]، يصفها المقري في النفح قائلاً:" كانت امرأة من الصالحات، ألفت مجموعة من الأدعية اختارتها، وكانت لها قوة في تعبير الرؤى، اكتسبتها من

[35]- وفد أفرادها من القيروان إلى تلمسان وهم ثلاثة إخوة مرزوق وأخويه مخلوف ومعافى، من منطقة تسمى ويسلات، أيام حصار يوسف ابن تاشفين ت468ه/ 1076م لها، وكانوا يعرفون بأبناء الحاج، اشتغل مرزوق جدّهم الأوّل بالفلاحة واستقر بموضع يُسّمى مرسى الطلبة، خلّف أعقابه الذّين اجتهدوا في ميدان العلم بمختلف أصنافه. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 146، 147.

[36]- عبد القادر بوعقادة: بيوتات العلم بالمغرب الأوسط بين القرنين 6-10ه/ 12-16م، ضمن كتاب طبقات مجتمع المغرب الأوسط قراءة في الموروث والذهنيات، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018م، ص 21.

[37]- عُجيسة: قبيلة بربرية من زناتة متفرقة مواضع استقرارها في كامل الرسم المغاربي، لكن في أواخر القرن 8ه/ 14م نزحوا إلى جنوب بجاية في ضواحي قلعة بني حماد. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص147.

[38]- القرافي بدر الدين محمد بن يحي ابن عمر (ت 1008ه/ 1600م): توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص 116.

[39]- السّخاوي، المصدر السابق، ج7، ص 50.

[40]- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 147.

كثرة مطالتها لكتب هذا الفن"[41]، ولم يكن والده أقل وفرة في العلم فهو الفقيه العالم أبو العباس أحمد الثاني ابن العلاّمة ابن مرزوق الخطيب (ت781ه/ 1380م)، كان آية في تحقيق العلوم، مفرط الاطلاع على المنقول، وهذا ما يؤكد أحمد بابا (ت 1036ه/ 1626م) في كفايته حين تحدث مدى استفادة الحفيد من أبيه أبو العباس في علوم القرآن منذ صغره[42]، وكذلك جدّه الذّي أثّر فيه فقال عنه:" أبو عبد الله جدّي الأقرب، الذّي هو بركة هذا البيت، ووسيلتهم، إمام وقته والقدوة، ولد بتلمسان العليا بدار أبيه، قرأ القرآن على جماعة من مشيخة عصره، واشتغل بقراءة الفقه والحديث هو جدّه"[43].

يضاف إليهم أبو العباس الأوّل (ت741ه/ 1341م) وهو والد الخطيب، ذكرت المتون أنّه اشتهر بالورع والزهد، أخذ العلم عن ابني الإمام، وكان مجاب الدعوة، حتى صارا قبره مقصداً للزوار، والمتزوج من ابنة الفقيه العالم أبي الحسن التنسي، مما يعني أنّ التواصل بين الأسر العلمية لم يكن على مستوى العلوم فقط بل تعدّاه إلى المصاهرة[44].

يظهر مما سبق أنّ الحفيد ملأ حياته علماً وأدباً منذ الصّغر إلى غاية وفاته عشية الخميس 14 شعبان 842ه / 1439م عن عمر يناهز الست والسبعين سنة، وأقيمت جنازته المهيبة في الجامع الأعظم من يوم الجمعة، وتم دفنه بالروضة غرب المسجد[45].

[41]- المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041ه/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج5، ص 430، 431.

[42]- أحمد بابا التنبكتي السوداني (ت 1036ه/ 1626م): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000م، ج2، ص 71.

[43]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 232.

[44]- بوعقادة، المرجع السابق، ص 22.

[45]- يقول القلصادي معلقاً على يوم جنازته:" وكانت له جنازة عظيمة، حضرها السلطان فمن دونه، لم أرى مثلها فيما قبل، جمعنا الله إيّاه في دار كرامته، وآسف النّاس لفقده". القلصادي، المصدر السابق، ص96، 97.

2ـ3 عوامل نبوغ الحفيد في علم التفسير:

- **طبيعة التحصيل العلمي في الصّغر:**

كشفت كتب التراجم والطبقات أنّ المرتكز الأساسي لتحصيل العلوم لدى العلماء في مرحلة الطفولة هو حفظ القرآن الكريم، ويبدو أنّ أسرة الحفيد قد حرصت على تتبع ذات المنهج في تعليمه، فنجده قد انكب على حفظه وأخذ أحكامه من أبيه وعمّه بالعبّاد وبعض شيوخ تلمسان، ولايزال كذلك إلى غاية تلاوته بنافع المدني على عثمان بن الرضوان الوزروالي الذّي أجازه وانتفع به في القراءات والعربية[46].

وبالتالي تشكلت لدى الحفيد قاعدة إدراكية ساعدته مستقبلاً على ولوج عالم التفسير، حيث تدّرب أثناء حفظه للقرآن على ترسيخ المعلومة، وكذا اكتساب مادة الأخلاق التي توّلدت أثناء تَمَعُّنه في النّص القرآني، فاستكمل هذه المرحلة من تعليمه بنبوغه في اللغة العربية وآدابها إعراباً وضبطاً.

- **قيمة الرّحلة العلمية في حياة الحفيد:**

نظراً لقيمة الرّحلة في حياة طلاب العلم عموماً، خصّص لها ابن خلدون (ت808ه/ 1405م) في مقدمته فصلاً كاملاً بعنوان "الرّحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم"، حيث اعتبرها وسيلة ناجعةً تدعم الطالب في تصحيح معارفه، وتوسيع مداركه، نتيجة تعدد لقاء المشيخة التي تقتضي بالضّرورة تعدد طرق العلم وأنحائه، وبها تقوى ملكة الطالب بالمباشرة والتلقين، وانتهى إلى أنّ للرحلة في طلب العلم فوائد جمّة أقواها لقاء المشيخة[47].

---

[46]- السخاوي، المصدر السابق، ج7، ص50.

[47]- ابن خلدون، العبر، ج1، ص559.

وقد اكتسبت الرحلة العلمية أهميتها منذ أن وجد طالب العلم نفسه مجبولاً على التنقل والحركة على وجه المعمورة سعياً لكسب العلم والحصول على الإجازة، فكانت الوجهة المغاربة في عمومها مشرقية، وهي وجهة ابن مرزوق الأولى، لكنّه قبل ذلك استفاد من علماء بلده، من أمثال أبيه وعمّه وكنا قد أشرنا إلى ذلك سابقاً، إضافة إلى الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771ه/ 1369م)[48] الذّي درّسه التفسير في الحاضرة لأكثر من خمس وعشرين سنة[49]، كما أخذ عن سعيد العقباني (ت811ه / 1409م)[50]، المشهور بتفسيره لسورة الفاتحة التي أتى فيها بفوائد جليلة[51] ويضيف نقلاً عن ابن صعد التلمساني أنّه اجتهد في تفسير كل من الأنعام والفتح[52].

إنّ شرف طلب العلم دفع بالحفيد إلى الارتحال مرتين إلى المشرق، الأولى كانت سنة 790ه/ 1388م، حيث استهدف تلقي علوم أخرى تنفعه في فهم القرآن كعلم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، متعمقاً في البحث لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[53]، ويقف على مبلغ الاختلاف ومواطن الاتفاق بين جهابذة هذا العلم.

كانت رحلته الأولى إلى تونس، وأثناء هذه الرّحلة لَزِم مجلس أبو عبد الله ابن عرفة (ت803هـ/ 1401م) اختياره الأوّل، حيث استفاد من حلقاته في الفقه، ومن آماليه القرآنية[54]، كما

[48]- صاحب كتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تح: محمد فركوس، ط1، مؤسسة الريّان والمكتبة المكية، السعودية، 1998م.

[49]- فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 438.

[50]- هو أبو عثمان سعيد بن محمَّد بن محمَّد العقباني التجيبي التلمساني القاضي الفقيه المالكي، ولي قضاء تلمسان وبجاية وسلا ومراكش، من أشهر من درّس التفسير لابن مرزوق الحفيد. القلصادي: المصدر السابق، ص 98.

[51]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 129.

[52]- نفس المصدر، ص 130.

[53]-الزركشي بدر الدين محمد ابن عبد الله (ت 794ه/ 1392م): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د ت، ج1، ص 13.

[54]- التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 99، 100.

استفاد من أبي العباس القصار التونسي الذّي أخذ عنه علم الحديث[55]، ثمّ حجّ سنة 790ه/ 1388م رفقة ابن عرفة، فاجتمع أثناءها بجمعٍ غفيرٍ من فطاحل العلماء منهم أبو القاسم ابن الخشاب الذّي أجازه في علم القراءات، وابن صديق الذّي قرأ عليه صحيح البخاري[56].

وصادف بمصر علماء اللغة العربية كالسراج ابن الملقن والهيثمي والنوري والدماميني والمحب ابن هشام صاحب المغني، والفيروز آبادي صاحب القاموس[57]، والغمام المُفسّر أبي حيان النحوي الأندلسي[58] وابن حجر العسقلاني الذّي ذكره في كتابه -الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- قائلاً:" فقدم علينا حفيده محمد ابن أحمد ابن محمد بالقاهرة، وحجّ بعد العشرين، وكان قد وقع لي شرح الشفا بخط جدّه، فأتحفته به وسُرَّ به سروراً كثيراً، ونعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون، وحسن الخط والخلق، والوقار والمعرفة والأدب التام، وشغل وظهرت فضائله"[59]، ويضيف ابن مريم في بستانه حول هذا اللّقاء أنّ العالمين استفادا من بعضهما استفادةً عجيبة[60].

أمّا عن رحلته الثانية التي بدأت سنة 819ه/ 1417م لقي فيها بتونس تلميذه عبد الرحمن الثعالبي، وانتفع في القاهرة بعلم إمام الشافعية ولّي الدين العراقي(ت826ه/ 1423م) وبدر الدين العيني الحنفي(ت855ه/ 1451م)[61]، كما أنّه لم يغفل عندما غيّر وجهته إلى غرناطة في طلب

---

[55]- نفسه، ص99، 100.

[56]- المقري، المصدر السابق، ج5، ص 430.

[57]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 231.

[58]- المقري، المصدر السابق، ج5، ص 429.

[59]- ابن حجر العسقلاني (ت852ه/ 1449م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1349ه ج 3، ص 360-361.

[60]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 232.

[61]- بدر الدين القرافي: توشيح الدّيباج وحلية الإبتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2004م، ص 154.

الإجازة من عمدة المفسّرين والمحّدثين أحمد بن علي الحفار الأنصاري، وكذا محمد ابن إبراهيم القيجاطي الذّي أجازه في علم القراءات[62].

وهكذا ترتب عن رحلات ابن مرزوق الحفيد ثروة علمية جليلة، حاز خلالها على إجازات عديدة وهو يرحل شرقاً وغرباً قاصداً من خلالها تحصيل فائدة لقاء المشيخة العلمية في تونس إلى القاهرة فمكة المكرمة وصولاً إلى غرناطة، فإلى أي مدى نفعه تكوينه العلمي الغزير في درس التفسير؟

3ـ3 **التزام الحفيد بدرس التفسير**:

تعد وظيفة التدريس الوسيلة الرّسمية النّاجعة التي ساعدت ابن مرزوق على تلقين علم التفسير للطلبة، وهي صورة قد ألفنا التحدث عنها في بحوثنا إذا ما تعلق الأمر بحركة التعليم بحاضرة تلمسان، إذ جرت العادة أنّ يُقامَ الدّرس في المدارس أو المساجد، والمعروف أنّ آل مرزوق كانوا يلقون دروسهم في مدرسة سيدي مدين بالعباد[63] التي أسسها أبو الحسن المريني سنة 747ه/ 1347م أيام استيلائه على تلمسان[64].

وقد تنوعت طرق إلقاء الحفيد لدرس التّفسير بين الإلقاء والإملاء، وغالباً ما كان يقوم باختيار كتاب مشهور في التفسير ثم يعكف على شرحه للجمهور المتلقي، ومن بين الكتب التي لقّنها بالمسجد الأعظم وبمدرسة العباد نذكر لامية الشاطبي، يقول تلميذه أبو الفرج ابن يحي الشريف:" قرأت عليه جمله من تفسير القرآن...وفي القراءات قصيدة الشاطبي تفقهاً،[65] يُضاف

---

[62]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 232.

[63]- العباد: قرية صغيرة قديمة تقع في الجنوب الغربي من تلمسان، مشتق اسمها من العبادة، وكان العباد ينقسم إلى قسمين اثنين السفلي والعلوي، يطلق عليها اليوم اسم دفينها أبو مدين شعيب. ابن مرزوق التلمساني (ت781ه/ 1380م): المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 406.

[64]- حساني، المرجع السابق، ص 276.

[65]- معروفة بحرز الأماني ووجه التهاني. المقري، المصدر السابق، ج5، ص 424.

إليها تفسير أبي إسحاق الزجاج(ت311ه / 923م) المعروف بإعراب القرآن، يقول القلصادي:" وحضرت عليه نحو ربع من إعراب القرآن...فلا ترى أحسن من لقائه ولا أسهل من إلقائه"[66]، وكتاب الكشاف للزمخشري(ت 538ه/ 1144م)[67] وتفسير ابن عطية[68]، والتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي[69].

وازدادت شهرة الحفيد رحمه الله في علم التفسير عندما التزم الارتياد إلى حلقات الدرس التي صاحبها تزايد عدد تلاميذه، الذّين كانوا يأتون إليه من مختلف المشارب، الأمر الذّي يّسر عليه تأسيس مدرسة تفسير محلية تخّرج منها عدد زاخرٌ من فطاحل المفسّرين، الذّين طبقت شهرتهم الآفاق منهم:

- **عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي(ت875ه/1471م)**:

فخر علماء الجزائر، الإمام المسند، ولد بوادي يّسر بالجنوب الشرقي للعاصمة حالياً، وهو موطن أجداده الثعالبة، تلقى دروسه الأولى في العاصمة، ثم انتقل إلى بجاية وأخذ العلم عن أشهر علمائها، لينتقل بعدها إلى تونس سنة 809ه/ 1407م أين أكثر الحضور والقراءة على عبد الرحيم العراقي شيخ المحدثين، ثم وافى بها العلامة المفسّر ابن مرزوق الحفيد سنة 819ه/ 1417م، وأخذ عنه فنوناً جمة منها علم التفسير، وقد أجازه بإجازات ثلاث، فعمّ نفعه من درس التفسير وألف فيه كتابه المشهور" الجواهر الحسان في تفسير القرآن"[70] وآخر سمّاه " روضة الأخيار ونزهة الأنوار"[71]،

[66]– القلصادي، المصدر السابق، ص 96، 97.

[67]– ابن مريم، المصدر السابق، ص 225.

[68]– المحرز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 238.

[69]– التنبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 137.

[70]– يقول الثعالبي معلقاً: "فقد ضمنته بحمد الله المهم بما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائداً جمةً من غيره من كتب الأئمة والعلماء". عبد الرحمن ابن مخلوف الثعالبي(ت 875ه/ 1470م): غنيمة الوافد وبغية الطّالب الماجد، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2005م، ص 27.

[71]– نفسه، ص 27.

وقد روى عنه مرويات عديدة في علم التفسير منها ما هو لتصانيف أبي حيّان منها البحر المحيط في تفسير القرآن، أو غريب القرآن لابن قتيبة[72]، وقد حلاّ شيخه بقوله نقلا عن أحمد بابا:" المحدث الثقة بقية المحدثين، وإمام الحفظة الأقدمين، سيد وقته وإمام عصره ، ورئيس المحققين وقادتهم"[73].

- **نصر الزواوي (ت 826هـ/1422م)**:

من أكابر تلاميذ ابن مرزوق الحفيد كان عالماً محققاً زاهداً ورعاً، لازمه كثيراً وأخذ عنه التفسير وعن السنوسي العربية، واشتهر بكثرة نهيه عن كتابة آيات الكتاب في الحروز[74]، ويضيف أحمد بابا:" كل أوقاته مليئة بالطاعات ليلاً ونهاراً، من صلاة وتلاوة وتدريس وفتيا وتصنيف"[75].

- **حسن أبركان (ت 868هـ/1464م)**:

الإمام العالم الولي الصالح الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي أبو علي الشهير بأبركان، أخذ علومه الشرعية عن ابن مرزوق الحفيد وعلماء آخرون، قال فيه:" فكنت بعد قدومي لتلمسان أحضر مجلس الشيخ سيدي قاسم العقباني، ثم حضرت يوما مجلس سيدي ابن مرزوق فرأيته بحراً في كل علم لا ساحل له، فلازمت مجلسه".[76]

- **الإمام الحافظ التنسي (ق9هـ/15م)**:

إنّه الشيخ الإمام العالم الزاهد محمد بن عبد الجليل مؤرخ الدولة الزيانية، وصاحب كتاب: "الطراز على ضبط الخراز "، وهو كتاب في ضبط القرآن الكريم، أخَذ عن ابن مرزوق الحفيد قال

72- نفس المصدر، ص 65.

73- التبكتي، المصدر السابق، ج2، ص 139.

74- أحمد بابا التبكتي (ت 963ه/ 1036م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عبد الحميد عبد الله الهراعة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص 615.

75- التنبكتي، الكفاية، ج2، ص 319.

76- ابن مريم، المصدر السابق، ص 107.

في شيخه:" لم نر فيمن أدركنا من الشيوخ من تمرن على قول لا أدري، وكثرة استعماله كشيخنا الإمام العلامة رئيس علماء الغرب على الإطلاق أبي عبد الله ابن مرزوق"[77]

3ـ4 مؤلفات ابن مرزوق الحفيد في علم التفسير:

ترك الحفيد رحمه الله ثروة علمية زاخرة في شتى العلوم العقلية والنقلية، كالفقه والعقيدة والتفسير، لكن ضاع أغلبها، وبعضها احتكرته الأسر التي تمتلك خزائن المخطوطات، وقد وصفه تلاميذه بسببها قائلين:" شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين، ذو التآليف العجيبة"[78]، وفعلاً كان عالماً توفرت فيه جميع الشروط التي أهلته للتّأليف في علم التفسير، ولعّل أبرز إنجازاته الكتابية كانت "شرح العمدة " في خمس مجلدات جمع فيها شرحي الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وتاج الدين الفاكهاني[79]، أضف إلى ذلك تلخيصه ملّخصات لفطاحل المفسرين المشهورين كأرجوزة ألفية في محاذاة حرز الأماني وهي شرح لامية الشاطبي[80]، والآيات البينات في وجوه دلالة المعجزات[81]، واغتنام الفرصة وهي عبارة عن أجوبة على أسئلة أبي يحي بن عقيبة في التفسير والفقه[82].

ثم عمد لاحقاً إلى تفسير سورة الإخلاص قال ابن مريم:" على طريقة الحكماء، تامة"[83]، إضافة إلى تفسيره "سورة المائدة" و "سورة مريم"، حتى قيل فيه فارس التفسير، واعتمد فيه على منهج

[77]- التنبكتي، الكفاية، ج2، ص 139.

[78]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 229.

[79]- ابن فرحون المالكي (ت799ه/ 1397م): الديباج المذهب لمعرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ص 396-399.

[80]- المقري، نفح الطيب، ج5، ص 430.

[81]- القرافي، المصدر السابق، ص 155.

[82]- التنبكتي، الكفاية، ج2، ص 142.

[83]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 233.

الأسلاف في التفسير أبرزهم الزمخشري[84]، ولا يمكن أن نغفل عن ذكر تقييداته على بعض السّور التي فسّرها ابن عطية(ت546ه/ 1154م) في المحرز الوجيز في شرح كتاب الله العزيز[85].

وعليه كانت أوقاته رحمهُ الله كلّها معمورة بالطّاعات ليلاً ونهاراً، من صلاةٍ وقراءة قرآنٍ وتدريس للعلوم، في مُقدّمتها علم التفسير، ولا ننسى الفتيا وتصانيفه في العلوم الأخرى، لنختم حقَّهُ بتحلية ابن مريم فيه:" المجتهد الأبرع الفقيه الأصولي المُحدث المفسِّرُ، الحافظ المُسند الرّواية، الأُستاذُ المُقْرئ المُجوِّدُ النَّحوي اللّغوي البياني الصُّوفي... الآخذ من كل فن بأوفر نصيب...الجامع بين المعقول والمنقول"[86].

4ـ مظاهر اعتناء أحمد ابن زاغو (ت845ه/1441م) بدرس التفسير القرآني:

إنّ التقاء المشيخة العلمية بتلمسان ساعد كثيراً على توحيد رؤيتهم إلى أهمية الاعتناء بدرس التفسير، وتضافر جهودهم من أجل تطويره، فكانت فضائل العلماء واضحة للعام والخاص، وفيهم أحمد ابن زاغو الذّي نال مكانة مرموقة في الوسط الاجتماعي، نتيجة اجتهاده في خدمة القرآن التي سنتفصل في توصيفها في الصفحات القادمة.

4ـ1 نسبه:

هو أبو العباس أحمد بن محمَّد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني الشهير بابن زاغو، ولد سنة 782ه/ 1380م بتلمسان، وتوفي موبوءاً بمسقط رأسه سنة845ه/ 1441م، في عمر ثلاث وستين سنة من عمره[87]، يقول القلصادي:"له نسبٌ أشهر من الشمس في السّماء، وحسبٌ كاتساق عقد

[84]- فيلالي، المرجع السابق، ص440.

[85]- البلوي أبو جعفر أحمد بن علي الوادي آشي: ثبت البلوي، تحقيق: عبد الله العمراني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 294.

[86]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 233.

[87]- التنبكتي، الكفاية، ج1، ص 112.

النجّوم في بحر الظلماء، وخُلقٌ أندى من الزهر"[88]، ويرجح سبب قوله إلى نسبته الأولى إلى تلمسان، ونسبته الثانية إلى قبيلة مغراوة أحد بطون الزناتة، وأخيراً نسبته إلى الخزري مولى أمير المؤمنين عثمان ابن عفان، كان قد تملكه في سبي إفريقية وأسلم على يديه[89].

2-4 مكانته العلمية:

إنّ سُّمو المكانة التي نالها ابن زاغو ضمن النّسيج الاجتماعي الذّي ينتمي إليه، دفعتنا لاقتفاء مآثره العلمية وشهادات العلماء في شخصه، فهو القدوة لتلاميذه في أقواله وأفعاله حركاته وسكناته، بل هو المثل الأعلى للأخلاق الكريمة، فكان أشهر المشايخ عند جمهور العلماء الذّين درّسوا التفسير والإقراء بالمغرب الأوسط وقد قالوا من باب التحلية ما يلي:

- **ابن مريم**: " الشيخ العالم الفاضل، الولي الصالح، الصوفي الزاهد، العلامة المحقق القدوة المصنف ... له تآليف كثيرة منها سورة الفاتحة وهي في غاية الحسن"[90]

- **القلصادي**: " الفقيه الإمام المفتي ...أعلم النّاس في وقته بالتفسير وأفصحهم في التعبير... أكرمه المولى بتلاوة القرآن، وشرّفه بملازمة القراءة...قرأت عليه جميع صحيح البخاري ومن اول كتاب مسلم، ومن تأليفه قرأت مقدمته على التفسير وتفسير سورة الفاتحة والتذييل في ختم التفسير "[91].

- **الونشريسي**: ذكره في وفياته قائلاً:" الشيخ العلامة الُمفسّر "[92].

[88]- القلصادي، المصدر السابق، ص 103.

[89]- محمد بوشريط:" ابن زاغو وآثاره العلمية، مجلة عصور الجديدة، المجلد 7، العدد 26، الجزائر، 2017م، ص129.

[90]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 70.

[91]- القلصادي، المصدر السابق، ص 103.

[92]-الونشريسي أحمد بن يحي(ت914ه/ 1508م): وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، ط1، دار نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، ص 91.

- **القرافي**: اكتفى بقول " الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس "[93].

- **التنبكتي**: " الإمام العالم الفاضل الولي الصالح الزاهد الصوفي العلامة المحقق الناسك العابد المصنف... أعلم الناس بالتفسير...فاق نظراءه مع سبق في الأصول والمنطق"[94]، وفي غمرة كل هذه الأوصاف إلاّ أنّ أغلب ما اشتهر به من الصفات هو عدله عن مخالطة النّاس خشية من الذنوب الناجمة عن ذلك، وكان لسان حاله ينشد دائما:

رَأَيْتُ الاْقِبَاضَ أجَلَّ شيءٍ***وأَدْعَى فِي الأمُورِ إلَى السَّلاَمَة

فَهَذاَ الخَلْقُ سَالِمْهُمْ وَدَعْهُمْ***فَخَلَطُهُم تَقُودُ إِلَى النَّدامَة

وَلاَ تُعْنَى بِشَيْءٍ غَيرَ شَيْءٍ***يَقُودُ إِلَى خَلاَصِكَ يَوْمَ القِيَامَة[95]

3.4 تحصيله العلمي:

يكاد يجمع المؤرخون على شُّح المادة المصدرية التي تحدثت عن التنشئة العلمية لابن زاغو، لكن قادتنا بعض القرائن إلى توصيف أسباب توسع ابن زاغو في تفاسيره، والمتمثلة في مُفسّرين جليلين كان لهما بالغ الأثر في تكوين شخصيته العلمية وهما:

- **المفسّر سعيد العقباني**(ت811ه/1408م): كان عالماً فاضلاً متفنن في علوم شتى، سمع من أبناء الإمام، وأخذ الأصول عن أحمد الآبلي، وبسبب صدارته المشهورة ولي قضاء الجماعة في بجاية وسلا ومراكش، ثم قضاء تلمسان لمدة زادت عن الأربعين سنة ونيف، له عدّة مؤلفات

---

[93]– القرافي، المصدر السابق، ص 41.

[94]– التنبكتي، الكفاية، ج1، ص 112.

[95]–القلصادي، المصدر السابق، ص 104.

نذكر منها "شرح الحوفي وشرح جمل الخونجي، والتلخيص لابن البناء"، هذا عدا تضّلعه في علم التفسير، يقول ابن مريم:" وله تفسير سورة الفاتحة والأنعام أتى فيهما بفوائد جليلة"[96].

- **أبي يحي عبد الرحمن ابن أحمد الشريف التلمساني(ت826هـ/1422م)**: كان آية من آيات الله في تحقيق العلوم الشرعية، من أشهر المفسرين في القرن التاسع الهجري، ذاع صيته أكثر حين فسّر سورة الفتح، مخالفاً فيها اجتهاد أخيه الأكبر أبو محمد وقد تفوق عليه، بعدما راجع فيها كلام المفسرين المتقدمين فيهم والمتأخرين، استفاد من علمه ابن زاغو وسعيد العقباني معاً[97].

3-4 التزام ابن زاغو بدرس التفسير القرآني:

كان ابن زاغو يعقد حلقات درس التفسير في المدرسة اليعقوبية، فيحضر مجلسه جمع غفير من الطلبة، خاصة أنّه ألقى فيها مختلف التصانيف التفسيرية المشهورة، إضافة إلى تلك التفاسير التي انكب على تأليفها شخصياً[98].

ومن التلاميذ الذّين أخذوا عنه ضوابط التفسير وقوانينه، واستطاعوا أن يبلوروا بعده هذا العلم بإتقان إضافة إلى الحافظ التنسي الذي أشرنا إليه سابقا نذكر:

- **يحي ابن يدير التدلسي(ت877هـ/1473م)**:

فقيه إقليم توات وعالمها، أخذ عن ابن زاغو، تعلّم بتلمسان وأصبح قاضياً فيها مدة، توفي سنة 877هـ/ 1473م[99].

- **القلصادي (ت891هـ/1486م)**:

---

[96]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 129.

[97]- نفس المصدر، ص 149، 150.

[98]- القلصادي، المصدر السابق، ص 104.

[99]- التنبكي، الكفاية، ج2، ص 276.

هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي الأندلسي، كان من العلماء الفضلاء الذّين انكبوا على العلم، حيث ارتحل من أندلس سنة 840ه/ 1437م إلى شمال إفريقيا، وأخذ العلم عن أشهر مشايخها، مثل تلمسان التي درس فيها عند ابن مرزوق الحفيد وابن زاغو معاً التفسير والحديث والفقه، من أشهر مؤلفاته: أشرف المسالك في مذهب مالك، وشرح مختصر خليل، وشرح الرّسالة والتلقين، إضافة إلى شرحه لرجز القاضي أبي عمرو بن منظور في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم[100].

- **المازوني يحي بن عيسى** (**ت ق**9ه/ 15**م**):

صاحب"الدرر المكنونة"نشأ في مازونة، ثم ارتحل إلى تلمسان وأخذ علم التفسير على ابن زاغو، ليتولى القضاء فيما بعد فيهما، حلاّه العديد من العلماء بالإمام العلاّمة الفقيه، بسبب نجابته في الفتوى، من أشهر مؤلفاته كتاب في النوازل جمع فيه فتاوى المتأخرين من أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم[101].

4ـ4 مصنفات ابن زاغو في علم التفسير:

لم تتوقف مساعي ابن زاغو في علم التفسير على تدريسه فقط، بل تعدت إلى أعمال جليلة، أشار إليها المؤرخون في كتاباتهم، دون وجود أي أثر لها اليوم فهي في حكم المفقودات، لكن رغم ذلك فإنّ حفظ عناوين كتبه وتداولها بين متون المصادر ودراسات المؤرخين المعاصرة هوّن علينا مصيبة فقدانها، وهي في العموم ثلاثة كتب نافعةً أوّلها مقدمة في التفسير، ثم تفسيره سورة الفاتحة التي

[100]– القلصادي، المصدر السابق، ص 30 وما بعدها.

[101]– الونشريسي أحمد بن يحي(ت914ه/ 1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ج5، ص 603–605.

وصفها ابن مريم بأنّها غاية الحسْن، كثيرة فوائدها [102]، وكان كتابه الأخير معنوناً "بالتذييل على تفسير الفاتحة في ختم التفسير"[103].

خاتمة الدراسة:

خلاصة القول أنّ نمو وتطور علم التفسير في حاضرة تلمسان تماشى وظروف الحركة التعليمية التي أشرفت عليها السلطة السياسية، حيث ازداد قيمةً وأهميةً حين أُعْتمد تدريسه وتلقين أحكامه وقواعده بصفة رسمية من طرف مشايخ أجّلاء من بينهم من ابن مرزوق الحفيد وابن زغو، الذّين برهنا على حُسن تعاطيهما مع المناهج والمؤلفات المشرقية أو الأندلسية الوافدة، فكان نجاح تجربتهما في الدّرس مرتكزاً أساسياً لكي يخوضا تجربة التأليف هذا المجال، الأمر الذّي دعم إيصال علم التفسّير إلى أرقى مستوياته بالحاضرة.

وفي ضوء المعطيات السابقة نتأكد أنّ مهمة التعليم القرآني في المغرب الأوسط، لا سيّما في شقّه المتعلّق بالتفسّير، كانت مبنية على خطة محكمة واضحة الترتيبات والأركان والتوجهات، بعيدة تماماً عن أي انقسامات عقدية أو مذهبية، بل أصبح علم التفسّير احدى الآليات الدّاعمة لتثبيت الهوية الدينية للمجتمع، وخير دليل هي ظاهرة التفاف الطلاّب العلم حول ابن زاغو وابن مرزوق الحفيد.

ـ المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد ابن محمد الإشبيلي، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992م.
2. ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ج1.

---

[102]– ابن مريم، المصدر السابق، ص 129.

[103]– القلصادي، المصدر السابق، ص 104.

3. بدر الدين القرافي: توشيح الدّيباج وحلية الإبتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2004م.

4. عبد القادر ربوح :" المدارس التعليمية في تلمسان الزيانية (أنواعها، مناهجها التعلمية، مواردها)"، أعمال الملتقى الوطني الأوّل "التعليم في الجزائر عبر العصور، جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة، دار المعاصرة الجديدة، الجزائر، 2018م.

5. -ابن مرزوق أبو عبد الله محمد، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية، الدار البيضاء، 2008م.

6. -ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم أبي الفضل الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار الصادر، بيروت، د.ت، ج9.

7. -الزبيدي محمد ابن محمد ابن مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السّلام محمد هارون، ط2، دار التراث العربي، الكويت،1994م، ج7.

8. -الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.

9. -الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ج5.

10. -صالح بن قربة: مصادر تاريخ مدينة تلمسان في العهد الزياني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر، الجزائر، 2007م.

11. -عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزيّاني، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007م.

12. -عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها- تطورها- قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان المغرب، 1999م.

13. -محمد علي التوهاني: كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي الدحروج، ط1، مكتبة لبنان، 1996، ج1.

فقهاء حاضرة تلمسان ومشايخها في القرن 11هـ/17م

من خلال مخطوط "كعبة الطائفين" للشيخ محمد بن سليمان الصائم التلمساني

قراءة في المادة المناقبية

د. قويدر قيداري، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر.الجزائر

مقدمة:

سنقوم من خلال هذا العمل باستنطاق "المادة المناقبية" في مخطوط «كعبة الطائفين»؛ حيث أرّخ المخطوط لحشد من علماء تلمسان وأئمتها وصلحائها، ومناطق أخرى من الجزائر في ق11ه/ 17م، أدركهم المؤلف نفسه، أو تتلمذ عليهم، أو أدرك بعض من صاحبهم؛ حيث وصف جهودهم في مجال العلوم الشرعية ومقامهم في الصلاح، خصوصا أولئك الذين كانوا غفلا في كتب التراجم والسير الجزائرية، أو كانت المعلومات عنهم شحيحة في مظانها.

أهمية "كعبة الطائفين" تتمثل في كون المادة العلمية الموجودة حول تلك الأعلام في الغالب الأعم لا مصدر لها سوى المؤلف، مما يؤهل "كعبة الطائفين" ليكون مصدرا وأصلا لا نظير له في تراجم هؤلاء الأعلام، وهو يمثل أيضا الحلقة الثانية في كتب التراجم والسير التلمسانية بعد كتاب "البستان" لابن مريم التلمساني (ق10ه/ 16م)، ومن هنا تتجلى قيمته العلمية.

برز في حاضرة تلمسان في بحر القرن 11ه/ 17م عدد من المشايخ في مجالي العلوم الشرعية والتصوف، ويمكننا تقسيمهم إلى صنفين: صنف المتصوفة الغارقين في الممارسات الصوفية، بكل طقوسها -المعقولة وغير المعقولة-..وصنف العلماء (الفقهاء الذين جمعوا بين الفقه والتصوف)، وهاهنا يطلعنا كتاب "كعبة الطائفين" على ثلة من هؤلاء الأعلام الذين اشتغلوا بالعلوم الشرعية (التفسير، الفقه، العقيدة، الحديث..)، تدريسا وتلقينا عادة، وتأليفا استثناء..

يوقفنا كتاب "كعبة الطائفين" من خلال المادة المناقبية على الحركة الثقافية الدينية في تلمسان وطبيعة السجال العلمي الذي كان بين أئمتها وفقهائها، إذا يمكننا تأشير أهم القضايا المتداولة في العقائد والتفسير وعلم الكلام، والتي طبعت هذا العصر، كما يطلعنا على أهم المدارس العلمية آنذاك، وأهم الكتب الدينية المقررة على طلبة العلم في باحاتها.

تمهيد:

تحتل مدينة تلمسان مكانا متميزا في قلب كل جزائري، فهي دار علم وفقه وتصوف وسياسة، وهي لذلك إحدى الحواضر الإسلامية الشهيرة، وقد أسهم أعلامها بقسط وافر في نشر الثقافة العربية الإسلامية في مختلف الأمصار والأعصار، منهم من أحرز أعلى المراتب العلمية سواء في موطنه الأصلي بتلمسان أو في الحواضر الإسلامية مغربا أو مشرقا.

وقد أهّلها موقعها الاستراتيجي -باعتبارها ملتقى الصحراء بالتل- وواجهتها البحرية لتكون دوما مرسى السفن الأندلسية، وممر التجار والملوك والأمراء، ومحط الرحال والترحال ومقصد العلماء والرجال، فكانت منذ القديم غاية العلماء والفقهاء وقبلة المشايخ والصالحين..

1- التعريف بالمؤلف ومخطوطه "كعبة الطائفين":

1.1- المؤلف الشيخ محمد بن سليمان الصائم التلمساني:

لم نعثر على ترجمة الشيخ محمد بن سليمان الصائم التلمساني، الفقيه المتصوف، صاحب مخطوط "كعبة الطائفين"، في كتب التراجم الكثيرة التي عُدنا إليها ونقّبنا فيها،[1] غير أنه ورد اسمه مقرونا بكتابه السالف دون ترجمة في كتاب "إيضاح المكنون"،[2] ولا نكاد نعرف أحدا ترجم لمحمد بن سليمان أو حاول أن يترجم له، إذا استثنينا العمل الذي قدّمه المؤرخ أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) حول مخطوط "كعبة الطائفين" ومؤلِّفِه.[3]

وعليه سنقدم ترجمة مختصرة له اعتمادا على ما أورده المؤلف الشيخ محمد بن سليمان نفسه من معلومات متناثرة في صفحات كتابه بأجزائه الثلاثة، فقد ذكر اسمه ونسبه ولقبه وتاريخ ولادته ومساره العلمي وشيوخه...

---

[1] نورد من ذلك على سبيل المثال: -أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1 ،ج2 ، موفم للنشر، الجزائر ،دط ، 1991. -عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1989.

[2] ينظر: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث، بيروت، دط، دت، ص: 270.

[3] قدم أبو القاسم سعد الله دراسة أولى عن المخطوط موسومة بـ "كعبة الطائفين،مخطوط جزائري من القرن السابع عشر"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد7-8، جانفي 1977، ص: 61 – 68. ونفس الدراسة –تقريبا- قدمها عن المخطوط أيضا في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص:159-175. ثم قدم ثالث دراسة عن الكتاب بعد حصوله على نسخة باريس(نسخة كاملة)، كانت بعنوان: الجديد عن كتاب "كعبة الطائفين"، في كتابه" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص: 209-230، وفي كل الحالات فقد حاول أبو القاسم سعد الله أن يضفي أضواء على حياة محمد بن سليمان انطلاقا من مخطوطه.

يفيدنا محمد بن سليمان في آخر الجزء الثالث من مخطوط "كعبة الطائفين" أنه من مواليد سنة 1014ه/ 1605م.[4] ولا ندري متى توفي على وجه التحقيق، ولكن من خلال ما ورد في مخطوطه من إشارات وتواريخ، نستنتج أنه كان حيا إلى سنة 1066ه/ 1656م فهذه السنة هي آخر تاريخ يذكره في كتابه.[5]

وربما يكون قد عاش إلى أواخر القرن 11ه/ 17م، فهو يذكر ذلك صراحة في النص الآتي: «..بل لن تجد في هذا الشطر الأخير من القرن الحادي عشر إلّا العقارب واللّفاع »،[6] ربما يقصد المؤلف بالشطر الأخير، الربع الأخير، أو النصف الأخير من القرن 11ه/ 17م.

عُرف المؤلف بـ "الجزولي" تيمنا وتبرّكا بالشيخ الصوفي المعروف صاحب كتاب «دلائل الخيرات» أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، وصرح المؤلف كذا من مرة في كتابه بهذه النسبة، من ذلك قوله: «..أنشد الشيخ الكامل سيدي محمد بن سليمان الجزولي رحمه الله، ونفعنا بتسميتنا عليه..».[7]

أما عن أسرته، فهناك أخبارا كثيرة متناثرة في صفحات كتابه، تتعلق بوالده، وله فيها حظ وافر، وأمه، وإخوته، ولشقيقه محمد القاضي منهم النصيب الأكبر، وأبناء عمومته...عاشت أسرته بحاضرة تلمسان في القرن11ه/ 17م.

---

[4] محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي (ق11ه/ 17م)، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين (مخطوط)، نسخة باريس،ج3، نسخة المكتبة الوطنية باريس، قسم الشرقيات رقم: (2460) بروكلمان02/ 1009، ص: 264.

[5] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج1، ص: 272.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص:364

[7] ينظر: المصدر نفسه: ج1، ص: 12، 24، 25.

يخبرنا المؤلف أن والده سليمان يلقب بـ (الصائم)،[8] وقد زهد في ثروته وجاهه بعد توبته، وخالط أهل العلم والتصوف، وكرس حياته للقرآن والعلوم الدينية،[9] وحج وجاهد وسهر على تربية ابنه (المؤلف)، تربية دينية صوفية.

في هذه البيئة العائلية الصالحة التي تحترم أهل العلم والولاية والصلاح، نشأ الشيخ محمد بن سليمان، فكانت نظرته للحياة والرجال تتجه في المقام الأول إلى الجانب العلمي والروحي.

يمدنا كتاب "كعبة الطائفين" بقائمة طويلة من أسماء الشيوخ والعلماء والصلحاء الذين أخذ عنهم المؤلف كثيرا أو قليلا، أو لازمهم زمنا طال أم قصر، أو التقاهم عرضا، أو أخذ عنهم بواسطة، ومن أبرز هؤلاء أشياخه الثلاثة الذين كان المؤلف يلازمهم ويصحبهم، وهم: سيدي موسى اللالّتي، صاحب قصيدة (حزب العارفين) موضوع الكتاب، وسيدي العبدلي، وسيدي بن صابر، والذين خصهم بترجمة وافية.

1.2ـ الجمع بين الثقافة الفقهية والصوفية:

من حيث ثقافته العلمية أورد في مؤلف كتاب "كعبة الطائفين" معلومات مفصلة عن تكوينه العلمي والثقافي، ومن ثمة يمكننا أن نؤشر سيرته العلمية التي وفق في الجمع فيها بين الشريعة والحقيقة؛ حيث جمع بين الفقه والتصوف في هذه النقاط:[10]

– حفظ القرآن الكريم وهو في سن الثامنة بقراءتي ورش وقالون، رسما ورواية، وختمه ثمان مرات رسما وأداء.

---

[8] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج1، ص: 272.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص: 300.

[9] المصدر نفسه، ج3، ص: 96–98.

[10] المصدر نفسه، ج3، ص: 264، 265، 266.

- انتقل بعد ذلك ،كما قال لـــ "دار العلم والتقوى" بقرية مجاجة، فزاد هناك ختمة أخرى للقرآن الكريم، وقرأ عقائد السنوسي الثلاث، والأجرومية، والقرطبية[11]، على الشيخ سيدي عمر أترار، وسِنُّه يومئذ أحد عشر سنة.

- ثم قفل المؤلف راجعا إلى تلمسان، وصار يقرأ القرآن بروايتي ورش وقالون على الأستاذ سيدي عمر بن يوسف، وعلى شيخه سيدي الحسن الدراوي المغربي، ويذكر المؤلف أنه حفظ الربع الأول من رسالة ابن أبي زيد بشرح الفاكهاني، على الشيخ سيدي الحاج محمد بن قاسم الموبل، كما كان يحضر في مجلس اقراء سيدي محمد الغشوي على(الرسالة)، وصحيح البخاري، وتفسير القرآن للثعالبي والسيوطي، وحكم بن عطاء بشرح بن عباد النفزي.

- لقَّبه الشيخ الفقيه بلقاسم الدرّاجي صاحب كتاب "الحقائق" في تلمسان بـــــ "مالك الصغير" لشدّة نبوغه في الفقه المالكي.

- قرأ مختصر ابن الحاجب على شيخه سيدي محمد بن رحمة، وقرأ إحكام القرآن في الجامع العتيق بأجادير، ومختصر خليل، والألفية، والتلمسانية، والرسالة، والسلم في المنطق، والسراج للشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري.

- وقرأ أيضا صحيح البخاري على الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن علي أنكروف، وحضر عنده في اللاّمية والخزرجية، وكان ملازما لمجلس إقراء شيخه العبدلي في الحديث و التفسير والحكم العطائية ومختصر خليل.

---

[11] كتاب "المقدمة القرطبية" ليحي القرطبي (486هـ-567هـ) على مذهب السادة المالكية، يطلق عليها "أرجوزة الولدان في الفرض والمسنون".

- يطلعنا المؤلف أنه سافر إلى مستغانم، واحتكّ بطلبة العلم فيها، وقرأ هنالك على يد خيرة علمائها، منهم الشيخ بلقاسم بن عثمان الولاّجي، والشيخ محمد الزهري .. وبزّ أقرانه في كثير من العلوم، حتى صار المؤلف كما قال: « أُدلولا في جميع ما قرأت بمستغانم ».

- زار المغرب الأقصى، حيث دخل وجدة وصاحب بعض مشايخها وصلحائها، كما دخل فيجيج، ونزل بزاوية العبيد، وحضر مجلس إقراء الشيخ حدّوش بن موسى البرّيشي، وسيدي محمد الحاج السلاوي، وسيدي محمد الشمّوري، وغيرهم.

بعد هذه الإطلالة على المسار الثقافي للشيخ محمد بن سليمان وتكوينه العلمي، كما سجله بنفسه في كتابه، آن لنا أن نتحدث عن ثقافته من حيث طبيعتها، ومستواها، و ملامحها:

- كان للشيخ اطلاعا متميزا على كتب التاريخ والمصادر الفقهية والصوفية وغيرها، هذا ما تؤكده اقتباساته الكثيرة، وله أيضا اقتباسات مكثفة ومتكررة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات مخطوطه من هذين المصدرين.

- لكن رغم هذا الثراء والتنوع الذي نلمحه في نشأته العلمية، إلاّ أننا لا نستطيع الجزم بأن محمد بن سليمان بلغ درجة الاجتهاد؛ بل كانت تربيته صوفية، وله تكوين متين في هذا الجانب تلقيا وممارسة، وفقيها متمرسا مطّلعا على مصادر كثيرة في التصوف والفقه وعلوم القرن والعقائد والتاريخ..

- ثقافته هي ثقافة معاصريه، يغلب عليها الطابع الصوفي ويقل فيها الإبداع، شأن الجو الثقافي العام السائد في بلادنا بعامة، وتلمسان بخاصة في ق17م، حيث اكتفى العلماء آنذاك بدراسة أعمال السابقين، بنظرة يغلب عليها التقديس المفرط، فكثرت الشروحات والمختصرات في

أعمالهم،[12] كما هو حال كتاب «كعبة الطائفين» الذي انبرى فيه المؤلف لشرح قصيدة شعبية صوفية لشيخه موسى بن علي اللالتي، مصبغا عليها كثيرا من الهالة والقدسية.

- اتسمت ثقافته بالمحلية (تلقيا وقراءة) إلى حد بعيد، فقد التهم كتب الشيخ السنوسي لاسيما "العقائد" حفظا ودراية، وأتقن القراءة بورش رسما ورواية، وتمكن من مختصر خليل والأجرومية والقرطبية ورسالة أبي يزيد، وتفسير الثعالبي، وحكم بن عطاء بشرح بن عباد النفزي، ومختصر بن الحاجب، والتلمسانية، وكتب عبد الرحمن الأخضري، لهذا نقول أن ثقافة المؤلف في عمومها يرتبط النصيب الأكبر منها بالثقافة المحلية.

- ينبئنا المخطوط بغزارة ثقافة صاحبه، حيث تبدو ظاهرة الجمع بين عدة علوم ومعارف بادية للعيان، - وإن كان منطلقه صوفيا كما أسلفنا – ففيه الأخبار والأنساب والتراجم والمناقب، والتفسير والفقه والحديث، وعلم الحروف والجداول، والأمثال والحكم والشعر الفصيح والشعبي، والحكايات والنوادر والطرائف، والكرامات والرؤى، والاستطرادات المتنوعة، وما ضخامة الكتاب بأجزائه الثلاثة إلا دليلا على هذا المسار الذي سلكه.

تتجلى في الشيخ ظاهرة الحفظ، فيبدو أنه كان يمتلك ذاكرة قوية، استوعبت الأعلام بأسمائها وألقابها وكنياتها وتواريخها، واستوعبت كثيرا من معارف عصرها، وهذا ليس غريبا على المؤلف فقد عرفناه كما سلف يحفظ القرآن بروايتين، فظلا عن الأجرومية والقرطبية وعقائد السنوسية، فقد كان رحمه الله حافظا من الطراز الأول.

انتسب الشيخ محمد بن سليمان إلى الطريقة الشاذلية (نسبة لأبي الحسن الشاذلي) على يد شيخه سيدي بلقاسم بن موسى المدعو بن صابر، وهو أخذ عن الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد المدعو

[12] ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص: 15

(سيدي الشيخ)، عن سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني الشيخ الكامل والقطب الواصل.[13]

كما يخبرنا أنه نال حظا من علوم الشريعة في طور تكوينه الأول، ونراه يدعوا بشكل صريح إلى ضرورة الالتزام بالشريعة والحقيقة معا :« من أعظم الفسوق نبذ الشريعة وايذاء أهل الحقيقة»[14]، ويقول أيضا: « كل كتاب لا يوافقه الكتاب والسنة المتوافقين، فهو مردود، وإذا لم يجمع بين الشريعة والحقيقة لا ينتفع به»[15]،كما يحث على اتباع منهج السنوسي وطريقته القائمة على العلم بأحكام الشريعة وجواهر الحقيقة: «فإنها والله، سهلة المأخذ قريبة المقصد »،[16]كما يقول المؤلف.

3.1ـ**التعريف بمخطوط "كعبة الطائفين" وبقيمته العلمية:**

يمثل «كعبة الطائفين» اهتمام أهل تلمسان بكتابة تاريخهم ومآثر أعلامهم، فقهاء ومتصوفة، وتدوين ثقافتهم وأدبهم الشعبي في فترة من فترات تاريخ الجزائر العثمانية، وتحديدا في بحر القرن (11ه/ 17م) الذي اتسم عموما بالاضطراب السياسي والاجتماعي والركود العلمي وقلة الإنتاج والكتابة، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أجزاء ضخام.

وجدير بالذكر أن منطلق الكتاب قصيدة شعرية شعبية صوفية، نظمها شيخ المؤلف موسى بن علي اللالتي، أحد صوفية تلمسان وشعرائها في القرن (11ه/ 17م)، سماها ناظمها قصيدة "حزب العارفين"، عهد بها إلى تلميذه محمد بن سليمان وأكد عليه بكتابتها وحفظها وتدبيجها بشرح يقرب معانيها ويكشف غوامضها ويبرز جواهرها.

من حيث قيمة المخطوط وأهميته، يتضح لنا أنه ينقسم إلى قسمين:

[13] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3، ص: 76

[14] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج1، ص: 302

[15] المصدر نفسه، ج3، ص: 272

[16] المصدر نفسه، ص: 121

- قسم يبدو أن صاحبه لم يأتي فيه بجديد، فهو عبارة عن حشد هائل لنصوص وأقوال واقتباسات لمن سبقه من العلماء والصوفية والفقهاء، إلى حد الاستطراد الثقيل، أورد كلامهم في سياق شرحه لقصيدة شيخه موسى اللالتي الموسومة «حزب العارفين»، وتعزيزا لما تتضمّنه من رقائق وحقائق، وتراجم، وآراء آمن بها ناظمها.

- وقسم سجل فيه المؤلف مشاهداته واحتكاكه بالعلماء والصلحاء بتلمسان وغيرها من المناطق، ورصد فيه بعض آرائه فيما يخص القضايا التي عاصرها، والأحداث التي عايشها، وهذا القسم في نظرنا هو الذي يعطي للمخطوط أهميته.

وعليه نقول أن لمخطوط «كعبة الطائفين» قيمة كبيرة تتجلى أهم مظاهرها فيما يلي:

المخطوط مصدر من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر بعامة والمجتمع التلمساني بخاصة، تردد ذكره في كتاب «تاريخ الجزائر الثقافي»(ج1)، و«آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر» لأبي القاسم سعد الله كمصدر أساسي عديد المرات، وجاء «كعبة الطائفين» ليغطي فترة دقيقة من تاريخنا، تعد في نفس الوقت فقيرة من حيث المصادر التاريخية، مما يكسبه أهمية خاصة:

- إشارة المخطوط إلى ثورتين بين أهالي تلمسان والسلطة التركية، وقعت الأولى سنة 1035ه، والثانية كانت بعدها بسنتين؛ أي في1037ه.

- يطلعنا المخطوط عن العلاقات بين المغرب والسلطة التركية في الجزائر بشكل غير مباشر، من خلال حديثه عن أحداث ثورة عام 1037ه.[17]

[17] أشار إلى ثورة محمد بن أحمد السوسي المغربي أيضا عبد الكريم الفكون في كتابه «منشور الهداية"، ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص: 17. وذكر هذه الثورة أيضا ابن المفتي حسين بن رجب شاوش في كتابه: "تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها"، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص: 48

- الإشارة إلى وقوع وهران تحت الاحتلال الاسباني.

- الإشارة إلى عديد المعارك (الغزوات كما يسميها) التي شارك فيها المؤلف رفقة والده والشيخ العبدلي وبعض صلحاء تلمسان لتحرير وهران من قيد الإسبان.

- أخباره وإشاراته الكثيرة عن صعوبة الأوضاع، وحالة الاضطرابات السياسية في تلمسان أثناء ق 17م.

- من الأحداث التي أشار إليها المؤلف، ذلك الوباء الذي أصاب أهالي تلمسان سنة 1058ه/ 1648م والذي تسبب في موت عدد من العلماء، ذكر بعضهم، يقول في هذا السياق:« نذكر من فقدناه من الأخلاَّء العلماء بالوباء سنة ثمان وخمسين..».[18]

فيما يخص الجوانب الاجتماعية والأنثروبولوجية حفظ لنا المخطوط صورة المجتمع التلمساني بإيجابياته وسلبياته، وبعض عوائده، وأسلوب حياة الناس وتقاليدهم، وشيئا من لهجتهم في تلك الحقبة (ق17م)، وسجل لنا مدى ارتباطهم بأوليائهم وعلمائهم.[19]

بالنسبة للجوانب الدينية والثقافية يقدم «كعبة الطائفين» مادة مهمة وغنية للباحثين في مجال الحركة الثقافية والدينية، حيث يزوّدنا بمعلومات عن طبيعة النشاط العلمي والديني بمدينة تلمسان، ودور المؤسسات الدينية والتعليمية بها في القرن 11ه/ 17م، والمصنفات الفقهية والصوفية التي كانوا يتدارسونها في مجالس العلم والإقراء، و حلقات الحضرة (السماع الصوفي) التي كانوا يمارسونها بشكل دوري كإحدى أبرز الطقوس الصوفية.

[18] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج2، ص:197.

[19] المصدر نفسه، ج1، ص: 366.

حديثه عن ألوان من السجال العلمي في حياته، كنقاش العلماء وحوارهم في بعض المسائل العلمية بالجامع الأعظم(الجامع الكبير)، من ذلك كلامه عن ظاهرة الانتحال والدّس في كتب العلماء.

إشارته إلى بعض المساجلات العلمية بين الصوفية، كتلك التي كانت بين سيدي عبد القادر بن محمد، المدعو(سيدي الشيخ) مؤسس الطريقة الشيخية[20] وصاحب"الياقوتة في التصوف" والفقيه الإمام ابن أبي مَحَلِّي(أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي، صاحب كتاب «الإصليت» «ومنجنيق الصخور، لهدم بناء شيخ الغرور، ورأس الفجور»،[21] ويبدو أن الكتابين الأخيرين، والياقوتة في التصوف-السالفة الذكر-، هي من مظاهر هذا السجال.

احتفظ المخطوط بأسماء علماء وصوفية تلمسانيين، وجزائريين، ومغاربة (من وجدة وفاس تحديدا) ساهموا بدورهم في الحركة الصوفية والعلمية بالمدينة، ومارسوا مهاما تعليمية ودينية بها، مثل التدريس والخطابة والفتيا، والتربية الصوفية.

يقدم لنا مخطوط «كعبة الطائفين» صورة واضحة عن تلمسان من حيث جوانبها العمرانية في(ق17م)، فالمؤلف جاب مختلف زقاق المدينة ودروبها، ومختلف المساجد والمقامات والزوايا والأضرحة والمقابر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يفيدنا بمعلومات ووصف للجهات التي زارها خارج تلمسان: مستغانم، غليزان(قرية مجاجة وزاويتها)، ولهاصة(جامع سيدي يعقوب الحاج)، الصحراء(يقصد بها الجنوب الغربي للجزائر)،كما أورد المؤلف وصفا ومعلومات عن

[20] تنتشر في الجنوب الغربي للجزائر بخاصة، تأسست في القرن 10ه/ 16م.

[21] وصلت هذه السجالات العلمية بين الشيخين إلى حدّ الخصومة، ذكرتها العديد من المصادر، ينظر حول بعض مظاهرها مثلا كتاب: بن علي محمد بوزيان، واحة فجيج تاريخ وأعلام، (د دار النشر) المغرب، ط1، 1987، ص: 66-78-79 .وحول ابن أبي مَحَلِّي، يراجع: محمد المهدي الفاسي، ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، تحقيق: عبد الحي العمروي، وعبد الكريم مراد، المغرب،ط1، 1994، هامش ص: 36

بعض المدن الجزائرية الأخرى، وإن لم يذكر أنه زارها (قسنطينة، عنابة، أدرار، توات..)، وزار أيضا جهات من خارج الوطن(فجيج-زاوية العبيد-، وجدة) بالمغرب.[22]

يحتفظ لنا المخطوط بسجل حي وضخم لتراثنا الشفوي (الأدب الشعبي) في ق17م، وإن لم يكن من بين مزاياه إلاّ هذه المزية(حفظ ذاكرتنا الشعبية) لكفاه ذلك أهمية وقيمة.

- يمكن للباحث أن يستخرج منه قصائد، بل دواوين في الشعر الشعبي الصوفي، وفي شعر المناقب:

_ شعر الشيخ موسى اللالتي، صاحب قصيدة "حزب العارفين" موضوع الكتاب.

_ شعر المؤلف محمد بن سليمان (الفصيح منه والشعبي).

_ شعر كثير لعلماء وصلحاء من تلمسان، الذين احتك بهم المؤلف مباشرة أو عن واسطة.

يشير المؤلف محمد بن سليمان إلى الشعر الكثير الذي أنتجه شيخه موسى اللاّلتي، وهو في أغلبه شعر شعبي.[23]

2- القيمة العلمية والتاريخية والتربوية لكتب التراجم والسير:

تشكل كتب التراجم والسير دواوين لأسماء أجيال حملت أمانة تبليغ المعارف والعلوم إلى تلاميذها ومريديها، وكان بالإمكان أن يكون حفظ أسمائهم وحده كافيا لإعطاء قيمة علمية لهذه المعاجم، ولكنها مع ذلك مصدر لفوائد أخرى منها:

---

[22] كان المؤلف يزور تلك المدن إما طلبا للعلم أو سعيا وراء الصلحاء لنيل الحكمة والبركة، أو للجهاد(ثغور وهران)، أو لأغراض تجارية،.

[23] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3، ص: 257.

الإسهام في المحافظة على الإسناد المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى أحد من الأصحاب الكرام أو إلى صاحب علم أو فضيلة أو مكرمة و(خاصة ما تعلق منها بتراجم الفقهاء والعلماء والمحدثين والمتصوفة..)

الإسهام في التأريخ الصحيح لواقع العصر الذي تذكر رجالاته؛ بحيث تعد من أوثق الوثائق المعتمدة في التعرف على بعض الوقائع التاريخية والثقافية والسياسية لذلك العصر وتعبر عنها بصورة صادقة، وتسجل مالها وما عليها من غير تحيز أو محاباة، لذلك فهي عمدة لكتب التاريخ وأهم مصادرها.

الوقوف على بعض ملامح الحياة الثقافية في أرجاء من البلاد الإسلامية، فبوساطة هذه الكتب نتعرف على المواد العلمية التي كانت تدرس والكتب التي كانت تقرأ، وما يتعلق بذلك من أساليب التعلم والتعليم، وطرائق التحمّل وأسانيده وأمكنة الدراسة وأزمنتها.

وبفضلها أيضا نتعرف على بعض مظاهر التواصل الثقافي بين المسلمين، فنعرف رحلة الكتاب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، وبين مراكز العلم المشهورة في العالم الإسلامي، والكتب التي كانت محطة العناية أكثر من غيرها، تقرأ في حلقات العلم في المساجد والمدارس أو تستجاز من الشيوخ.[24]

وبفضلها أيضا يمكن للمحققين المشتغلين بالتراث توثيق نسبة المؤلفات إلى أصحابها، وتوثيق عناوين الكتب بشكل دقيق.[25]

[24] يقال أن "مختصر خليل" لما أدخل إلى فاس أول ما ابتدئ تدريسه كان بمسجد اسمه (مسجد خليل) الكائن بـ جزاء ابن برقوقة، وهو من أحياء مدينة فاس، وقد نبّه على هذا صاحب كتاب "نشر المثاني" في ترجمة أبي عبد الله محمد أبي عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري. ينظر: سلوة الأنفاس، ج1، ص: 379.

[25] ينظر: – عبد العزيز فارح، معاجم الشيوخ نوع من الفهارس الحديثة "كتاب معجم شيوخ ابن وهب نموذجا"، ص: 54، 55/ – الحسن العالي، فهارس العلماء ومناهجها في ترتيب المرويات "فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج ت1109نموذجا"

وقد ذكر محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني بعض الفوائد الأخلاقية والتربوية المرجوة في التعريف بالعلماء والأولياء، أو بمعنى أصح فوائد مطالعة كتب السير والتراجم التي تختص بسرد سير الصالحين والعلماء، يمكننا إجمالها في هذه النقاط:

- منها، معرفة مناقبهم وأحوالهم؛ فيُتَأدب بآدابهم، ويُقتبَس من محاسن آثارهم.

- منها، معرفة مراتبهم وعصورهم.

- منها، أنهم هداتنا وأئمتنا وأسلافنا الذين هم أشدّ شفقة علينا من والدينا لنا، وأهدى لنا في آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا بما هو أعود علينا، فيقبح بنا أن نجهلهم، وأن نهمل معرفتهم.

- ومنها، أن يكون العمل والترجيح بعدهم، بقول أعلمهم وأكبرهم وأورعهم وأفضلهم إذا تعارضت أقوالهم واختلفت آراؤهم.

- ومنها، بيان بعض مصنفاتهم، وذكر بعض كلامهم وأشعارهم، ليهتدى إلى الانتفاع بها، فتعم الفائدة، ويحصل الموصول من صلته على العائدة.

- ومنها، اغتنام زيارتهم واستمطار سحائب البركات من ناحيتهم وجهاتهم، إذ ببيان أحوالهم وأضرحتهم تشتاق النفوس لذلك، وتتسارع إلى التماس الفضل هنالك.

- ومنها، أن بذكرهم تتنزّل الرحمات الإلهية، وتنتشر على القلوب مواهب الفضل الإحسانية.[26]

ضمن كتاب: صناعة الفهرسة والتكشيف، إعداد: عبد العزيز فارح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، ط1، 2002.

[26] ينظر: محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ص:06

وقد حث مؤلف كتاب "كعبة الطائفين" وألح على زيارة الصالحين أحياءً وأمواتا:وأمّا زيارة الصالحين الأحياء والميّتين،[27] فإنها تكسب خير الدارين، وتبلغ إلى مرضات رب العالمين، نفعنا الله بحبهم ومتعنا بقربهم، ومن أجلِّ ما قيل في ذلك منظومة ابن سالم سيدي إبراهيم بن محمد اللَّنتي التازي رضي الله عنه،[28]التي يقول فيها:

زيارةُ أَرْبَابِ التُّقَى مَرْهَمٌ يُبْرِي ... ومِفْتَاحُ أَبْوَابِ الهِدَايَةِ والخَيْرِ

وتُحْدِثُ في القَلْبِ الخَلِيِّ إرَادَةً ... وتَشْرَحُ صَدرًا ضَاقَ من سِعَةِ الوِزْرِ

وتنصرُ مظلومـًا وتَرفع خَاملاً ... وتُكسِبُ مَعدومـًا وتُجبِر ذَا كَسْرِ

وتُبسِطُ مَقبُوضـًا وتُضْحكُ باكيـًا ... وترفِدُ بالبذلِ الجزيلِ وبالأَجْرِ

عليك بها فالقَومُ باحوا بسِرِّها ... وأوصوْا بها يا صاحِ في السرِّ والجهر [29]

[27] اهتم كثير من الصوفية بزيارة الصالحين أحياء وأمواتا، وقدّموا في ذلك كتبا ومنظومات، كتلك التي نظمها أحمد شهاب بن أحمد نور الدين الزوي القادري، الموسومة: " المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة" مطامع الجماهيرية، سبها، ط1، 1997، حيث أشار فيها : النصيحة بزيارة قبور الصالحين.. ومما جاء فيها (ص:20):

يا قاصدا للسادة الأبرار ... أبشر منحت نفحة الأسرار

من زار أهل العلم والصلاح ... حاز المنى بالفتح والفلاح

فزر قبور السادة الأخيار ... والصلحا والعلما الأبرار

[28] هو سيدي ابراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران، الولي الصالح العارف القطب، صاحب الكرامات والأحوال البديعة، والقصائد الرائقة الأنيقة، إماما في علوم القرآن مقدّما في علم اللسان حافظا للحديث، بصيرا بالفقه وأصوله، أصله من بني لنت، قبيلة من بربر تازة، وشهر بالتازي لولادته بها، عاش في ق 9ه، تتلمذ للشيخ سيدي الهواري، نزيل وهران، أخذ عنه جماعة من الأئمة كالحافظ التنسّي، الإمام السنوسي، أحمد زروق، القصيدة أثبتها ابن مريم في « البستان». ينظر: – ابن مريم، البستان، ص: 58–63

أبو القاسم الحفناوي، –تعريف الخلف برجال السلف، (ج1)، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 1991، ص: 249– 255/ – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج1)، ص: 92– 93

[29] الأبيات من الطويل.

3. قيمة مخطوط "كعبة لطائفين" وأهميته في ميدان التراجم التلمسانية:

يبدو مخطوط "كعبة الطائفين" في جانبه المتعلق بالتراجم أقرب إلى ما يسمّى بـ: الثَّبْت، أو الفهرسة، أو المشيخة،[30] حيث ذكر لنا مؤلفه الكثير من المشايخ والعلماء والصلحاء، الذين أخذ عنهم، أو سمع منهم، أو سمع ممن سمع منهم، وهاهنا يمكن للقارئ أن يرصد ما يشبه فهرسا لمعظم الشيوخ الذين تتلمذ لهم المؤلف ولازمهم، أو جلس في مجالس إقرائهم، أو ذاكرهم في مسائل فقهية أو صوفية أو في فائدة اجتماعية عامة، تخص ساكنة تلمسان وأحوازها وانتفع بهم، أو ممن تبرّك بهم المؤلف واستفاد من دعائهم الصالح.

فإذا كان ابن مريم المديوني التلمساني صاحب "البستان"[31] قد غطى في ترجمته لأعلام تلمسان وفقهائها وأوليائها فترة طويلة امتدّت إلى عهد قريب من الشيخ المؤلف محمد بن سليمان نفسه (ق16م)، فإن مخطوط "كعبة الطائفين" يكمل بدوره المسيرة والمسار ليغطّي عصره أيضا، أي (ق17م)، لذلك فالكتابان مصدران أساسيان وحلقتان متتابعتان في باب كتب التراجم والسير التلمسانية الجزائرية حول العلماء والأولياء.

يندرج تحت هذا النص التراثي الصوفي التلمساني نصيب معتبر من "المادة المناقبية"، وهي على قدر كبير من الأهمية العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة منها ما تعلق بالمعطيات العلمية في شتى المناحي الفقهية والصوفية والتاريخية والأنثروبولوجية والعمرانية.. ومن هنا تكمن أهمية هذا النوع من التراث المناقبي، والذي سيساهم إذا أحسن استنطاقه وتيسرت سبل قراءته في تجلية الكثير من الجوانب المخفية من تاريخنا الجزائري، في عصر يصفه الكثير من الباحثين بالشحيح من حيث المصادر.

---

[30] حول مفهوم هذه المصطلحات ينظر: إدريس بوكراع، الفهرسة، نظرات في المصطلح، كتاب: صناعة الفهرسة والتكشيف، مطبعة شمس، وجدة، ط1، 2002، ص: 25-40.

[31] ينظر: ابن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986.

ومادة كهذه ستغري الباحث المؤرخ بما تحتويه من معلومات تاريخية متنوعة، وقعت أحداثها في عصر المؤلف جاءت على هامش المادة الصوفية الأدبية والمناقبية التي كانت محور الكتاب، وإن أوردها صاحب مخطوط "كعبة الطائفين" في إشارات سريعة، والتي ستسهم في رسم صورة واضحة عن المجتمع التلمساني بخاصة والجزائري بعامة اجتماعيا وثقافيا ولغويا ودينيا وسياسيا..وهي معطيات لها أهميتها البالغة بالنسبة للمؤرخين.

يعتبر الكتاب في الجانب التراجمي وثيقة نادرة، ولها بالغ الأهمية في تصوير طبيعة المجتمع التلمساني في القرن17م من حيث تركيبته وشبكة العلاقات الاجتماعية بين فئاته، كما أنه يلقي أضواء على الدور المحوري الذي لعبه رجال الدين والتصوف وأعلام الصلاح في التخفيف من بعض الأزمات، وفي تنشيط الحركة الثقافية في تلمسان القرن 11ه/ 17م..

المخطوط عموما يتضمن أخبار عدد من العلماء والصلحاء والمشايخ والأعيان الذين احتك بهم مؤلف الكتاب في تلمسان أو في يعض المدن الجزائرية أو في المغرب أثناء القرن 11ه/ 17م..

4- بنية المادة التراجمية في مخطوط "كعبة الطائفين":

قسم الشيخ محمد بن سليمان كتابه إلى ثلاثة أجزاء (أسفار) استمدادا من نص الحديث النبوي الشريف؛ كما قال، وهو السياق الذي جاء على أساسه هذا التقسيم، يقول الشيخ محمد بن سليمان: « والباعث على تثليثه قوله عليه السلام: «خير أمّتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر، ومع هذا فقد قال: "سابقنا سابق، ومقتصدنا لاحق، وظالمنا مغفور له"، ولذلك: " أرجو أمتي أن تكون ثلثي أهل الجنة"».[32]

وعليه جاءت بنية المخطوط على هذا النحو:

- الجزء الأول: في ذكر أهل الصلاح؛

[32] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج2، ص: 226.

- الجزء الثاني: في ذكر أهل الطلاح؛
- الجزء الثالث: في ذكر أهل الصلاح المتحققين، (حزب العارفين).[33]

يقول الشيخ محمد بن سليمان: "لما أن فرغ الناظم رحمه الله من ذكر السلف الصالح، عقّبه بذكر السلف الطالح، تبشيرا وتحذيرا وترغيبا في الاقتداء بالمنعم عليهم من النبيئين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا... وتنفيرا من متابعة المغضوب عليهم ولا الضالين من العلماء غير العاملين والجهلة الظالمين".

ويشير متحدثا عن مضمون المادة التراجمية في هذا التثليث (الأجزاء الثلاثة للكتاب) ومعلقا في نفس الوقت على قصيدة حزب العارفين التي تضمنت تلك التراجم :« لما أن فرغ الناظم رحمه الله تعالى أولا من ذكر الصحابة والتابعين، ومن التفتيش على الأولياء المتقين، وفرغ أيضا في ثاني حاله من ذكر حزب الجاهلين، كرَّ راجعا في آخره إلى طلب حزب العارفين، لأن ذلك مطلوبه ومقصوده، ولذلك وضع هذه القصيدة».[34]

5- منهج الشيخ محمد بن سليمان في عرض المادة التراجمية لمخطوطه:

كان الشيخ محمد بن سليمان عند ذكره للأعلام سواء التي نقل عنها أو ترجم لها، يميز بينها من خلال الألقاب والنعوت التي يصبغها عليها، فإذا ذكر شخصية غلبت عليها العلوم الشرعية كالفقه أوالتفسير أو الحديث.. يمنحها مثل هذه الألقاب: الفقيه، النبيه، الأديب، الأستاذ.. وإن ذكر شخصية غلب عليها التصوف والاشتغال بأحوال النفس، يمنحها ألقابا مثل: الشيخ، المجذوب، صاحب الأحوال، العابد الناسك، المليح..

[33] ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 01

[34] المصدر نفسه، ج3، ص: 62.

وسنعرض هاهنا لبعض هذه الألقاب والنعوت التي كان يصبغها على تراجمه، وبعض دلالاتها ورمزياتها، وهو مايدخل ضمن الدراسات اللسانية، وبشكل دقيق في مباحث "الأَسمائية" أوالأَعلامية (Anthroponymique)، حيث تؤدي تلك الألقاب وظائف دلالية، فهي لا تقتصر على وظيفة تعيين الشخص كدلالة ذاتية (Dénotation)، وإنما قد تؤدي دلالات إيحائية (Connotation)، تدل على خصائص الشخص المسمى –العلمية أو الاجتماعية-.[35]

فعند تعاطي الشيخ محمد بن سليمان مع الشخصيات التي غلب على ثقافتها، الثقافة العالمة؛ مثل علوم الفقه والحديث والتفسير والنحو..كان يصبغ عليها من الألقاب ما يفيد خلفيتها العلمية والمعرفية، بالانتساب إلى حرم تلك العلوم الشرعية واللغوية، وهي تخصصات اكتسبت شرعية في الثقافة الإسلامية منذ فجرها الأول..ومن أمثلة الألقاب والنعوت التي تدل على غلبة العلم على الحال أو تكافئهما في نصوص تراجم "كعبة الطائفين"، نسوق هذه الشواهد:

وصف المؤلف محمد بن سليمان شيخه بلقاسم بن موسى بن صابر: بالعالم العامل والخطيب المدرس الكامل، وبأنه "عروس الصالحين"، وقال عنه أنه كان ملتزما بالكتاب والسنة في جميع حركاته وسكناته، مولعا بمطالعة كتب التصوف والحديث وعلوم القرآن، متصدرا لتدريس علم التوحيد، وقد سخر ماله للعلماء والمريدين والفقراء، وكان منزله لا يخلوا من الزائرين والضيوف، وأنه تميز بالكرم الحاتمي، على حد قوله.[36]

وهي شخصية جمعت بين جنباتها الحسنيين (الحقيقة والشريعة)، حيث أسبل عليها من صفات العلم، مثل قوله: العالم، الخطيب، المدرس، وهو ما يتوافق مع العلوم التي كان يتقنها (الحديث، علوم القرآن، التفسير، التوحيد..) والوظيفة التي كان يضطلع بها (الخطابة، التدريس)، وحباها

[35] ينظر: زكية السائح دحماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، دط، 2014، ص: 8.

[36] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3، ص: 186

بصفات الحال (السلوك)، تماشيا مع ما عاينه منه من تجرّد وسمتٍ وصلاح (الكرم الحاتمي) فنعته بـ "عروس الصالحين".

من ذلك وصفه للشيخ عاشور القسنطيني[37] بالفقيه النبيه والحبر والبحر، ويخبرنا أنه كان عالما بالفلك، ونقل عنه بعض الفوائد المتعلقة بحساب الكواكب والنجوم، كما سجل رأيه في مسألة الأسماء والصفات.[38]

يقول المؤلف: سألت أبي (رحمه الله) عن أشياخه؟ فقال: أما شيخي في العلوم فهو الشيخ الإمام الخطيب سيدي محمد بن عاشور بن الولي الصالح سيدي علي بن يحي السلوكسني، وعلى يده تاب الله عليّ، وكان إماما في الجامع العتيق من أجادير مدرسا.[39] فقد نعته بالإمام الخطيب بما يتوافق وخلفيته العلمية والثقافية والوظيفية.

يقول المؤلف: " شيخنا العلامة سيدي محمد بن علي أنكروف، الذي كان يدرس في الجامع الأعظم صحيح البخاري، ويخبر المؤلف أنه كان أيضا متبحرا في علم الفلك.

ويقول أيضا حضرت مجلس شيخ الإسلام مفتي الأنام الخطيب الإمام سيدي محمد الحاج بن سيدي قاسم الموبل في تدريسه لجامع البخاري بالجامع الأعظم بتلمسان، وكان ماهرا في الحديث وحوله الفقيهان النبيهان الأديبان اللبيبان..[40]، تبدو هذه الألقاب وتلك الوظائف التي أسبلها على المترجم له، كافية لتضعه في خانة العلماء والفقهاء، الذين غلب على نشاطهم العلم تلقينا وتدريسا، ويكفي أنه كان إماما ومدرسا بالجمع الأعظم بتلمسان.

[37] عاشور القسنطيني من تلاميذ عبد الكريم الفكون القسنطيني، كان يتنقل بين قسنطينة وتلمسان وتونس والحجاز..انتصب للتدريس، واهتم بالرحلة والتاريخ. ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، داعية الإسلام، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص: 34.

[38] ينظر: محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج1، ص: 111./ ج3، ص:93.

[39] المصدر نفسه، ج2، ص: 10

[40] المصدر نفسه، ج2،ص 92

ومما يدخل في هذا السياق من النعوتات والألقاب، نسوق هذه الشواهد من مخطوط "كعبة الطائفين":

- "حدثنا الفقيه العالم المفتي المدرس شيخنا المحقق سيدي محمد بن سيدي قاسم الموبل في مجلس إقرائه"[41]

- "سيدي عبد العزيز بن سيدي الموفق بن عبد الرحمن بن موسى..الفقيه والمحدث."[42]

- "وحدثنا الشيخ الأستاذ المحقق سيدي عيسى البوسعيدي الهنتاتي.."[43]

- وصف المؤلف "الشيخ محمد بن أحمد السوسي بالأستاذ النحوي الفصيح.."[44]

- ومن ذلك وصف المؤلف "الشيخ محمد بن سعيد المقري (مفتي الأنام) بـ الفقيه والمحدّث الوجيه.."[45]

ومن أمثلة الألقاب والنعوت التي تدل على غلبة التصوف والسلوك والأحوال على الثقافة الفقهية في نصوص تراجم "كعبة الطائفين"، نسوق هذه النصوص، يقول المؤلف:

- "وأما شيخي في الطريقة فهو الشيخ الكامل الرباني سيدي عيسى بن محمد الدنيدني[46]"،

[41] المصدر نفسه ج3، ص: 4

[42] المصدر نفسه ج3، ص: 17

[43] قويدر قيداري، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين (ج1)، محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي، دراسة وتحقيق: ، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، إشراف د/ عكاشة شايف، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، تلمسان. 2013/ 2014. ص115.

[44] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3،ص: 12

[45] المصدر نفسه، ج3، ص: 186

[46] المصدر نفسه، ج2، ص: 10-11

- "حدثني تلميذ سيدي محمد القومي الفقير الأبر الناسك الحاج بن عبد الرحمن بن المرابط الخراساني التلمساني"،

- "كان الشيخ البركة سيدي قدور بن محمد بن عبد الجبار إذا طلبت منه الدعاء الصالح.."[47]،

- "-لقيت- العابد العامل سيدي محمد بن عبد الرحمن الروخاني الوجدي رحمه الله يوم الرابع من شهر الله المحرم وفي مضيفه أيضا لحق به ولي الله المليح العابد الناسك الزاهد محبنا ومحبوبنا ومستخلفنا سيدي يخلف بن محمد.. [48].

وهي صفات ونعوت تطلق على من غلبت على معالم شخصيته الأحوال والسلوك والتربية والتبرك وطبعتها بميسمها، وقد لاحظنا ذلك في ثنايا تلك النصوص التراجمية الكثيرة، وفي سياقات مختلفة من مخطوط "كعبة الطائفين"، فعندما يكون الشيخ محمد بن سليمان بصدد بناء نصه المناقبي حول شخصية استهلكتها الثقافة الصوفية ممارسة وسلوكا وتلقينا، نجده يلجأ إلى ما يفيد هذه الخلفية نعتا ودلالة، فتتردد ألقاب مثل: الشيخ الكامل، الرباني، الفقير، الأبر، الناسك، الشيخ البركة، العابد العامل، الناسك..

على أن المؤلف كان يركز في تراجمه على الفوائد العلمية والتربوية التي يتلقاها على يد هؤلاء الأعلام، إذ في مرات كثيرة كان يذكر اسم العَلَم ثم يذكر فائدة أو حكمة تلقاها عنه، يقول المؤلف في هذا السياق: وإنما كثر تفتيش الناظم موسى اللالتي[49] على أهل الحب الخالص والمعرفة التامة ليستفيد ويفيد، وذاك مقصده بركة الاجتماع، قال بعض العلماء :« أيامي أربعة لا خامس لها، يوم غنيمتي ويوم تجارتي ويوم إجارتي ويوم حسرتي، فأما يوم غنيمتي فهو يوم ألقى فيه رجلا أعلم مني فأستفيد منه، ويوم تجارتي فهو يوم ألقى فيه رجلا مثلي فيفيدني وأفيده، وأما يوم إجارتي فهو يوم

[47] المصدر نفسه، ج2 ص:10

[48] المصدر نفسه،ج2، ص: 222

[49] شيخ المؤلف محمد بن سليمان وصاحب قصيدة "حزب العارفين" موضوع كتاب "كعبة الطائفين".

ألقى فيه رجلا أجهل مني فأفيده، وأما يوم حسرتي فهو يوم لا ألقى فيه من يفيدني ولا من نفيده» وأنظر كيف تواضع هذا العالم وقال أجهل منّي، ولم يقل أنا أعلم منه للتبرّي من الدعوى.[50]

كانت الطريقة التي سلكها الشيخ محمد بن سليمان عند ذكر تراجم مخطوطه هو أن يستشهد بما يحفظ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال أئمة السلف للبرهنة على مواقف أشياخه وانسجامها مع الكتاب والسنة سلوكا واعتقادا، وهو الذي عرفناه حافظا للقرآن الكريم بروايتي ورش وقالون رواية ورسما وأداء، ومتمكنا من الحديث النبوي، وملتهما لكتاب "الإحياء" الذي صدّر مخطوطه "كعبة الطائفين" بنص من نصوصه، فقد افتتح المؤلف كتابه بمقدمة نقلها حرفيا عن أبي حامد الغزالي، وردت في أحد أبواب كتابه «الإحياء»(باب المحبة والشوق والأنس والرضا)،[51] وما فعل ذلك إلاّ تبركا وتيمنا بكلام الغزالي، كما زعم.[52]

6ـ نماذج من إسهامات أعلام حاضرة تلمسان في القرن 11هـ/17م في علوم التفسير:

إن الاشتغال بكلام الله تعالى -تلاوة وتدبرا ودراسة- وهو الحجة البالغة والعصمة لمن استمسك به والمعجزة القاهرة الدائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومحاولة فهمه وتفسير كلماته وآياته وأحكامه وما حواه من أوامر ونواه لهو أشرف المقاصد وأكثر الأعمال ثوابا.

[50] قويدر قيداري، كعبة الطائفين، ج1،(رسالة دكتوراه مخطوطة)، ص 92.

[51] ينظر: أبو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، دط، د تا، ص: 407

[52] ينظر: محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج1، ص: 05

وعلى رغم من أن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى بلسان من نزل فيهم، لسان عربي مبين، فقد ورد فيه المتشابه والمحكم والغريب والعام والخاص والمطلق والمقيد، وما يتطلب الاستعانة بالعلماء والحكماء لكشف ما فيه من أسرار وإشارات كونية وإنسانية..[53]

ومما نقله الشيخ محمد بن سليمان من أقوال بعض العلماء في هذا السياق، قوله: القرآن على خمسة أخماس: خُمس محكم وخُمس متشابه وخُمس حلال وخُمس حرام وخُمس أمثال، فالمؤمن العارف يعمل بمُحكمه ويؤمن بمتُشابهه ويُحِلُّ حلاله ويحرِّمُ حرامه ويَعقل أمثاله، وما يعقلها إلا العالمون، فالمحكم ما عرف معناه بنفسه والمتشابه ما عرف معناه بغيره..[54]

لقد تطور علم التفسير، وأطلّت فيه مدارس متعددة، فكان التفسير بالمأثور، والتفسير بالمعقول، والتفسير الذي أخذ المنحى البياني واللغوي، والتفسير الذي اعتنى بالقصص والأخبار، حتى صار كل من برع في فن من فنون المعرفة انطبع تفسيره بما برع فيه وبرز على غيره من الفنون، كما جنح المتصوفة إلى نزعة الترهيب والترغيب فغلبت في تفاسيرهم وتميزت باستخراج المعاني الروحية والإشارات الدالة عليها بما يتفق مع ميولهم ورغائبهم، مثل ابن عربي والقاشاني وسواهم.[55] لذلك قال بعضهم: العبارة في القرآن للعامة والإشارة للخاصة واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء.[56]

ويأتي هذا المشروع العلمي الأكاديمي الموسوم "موسوعة أعلام التفسير في الجزائر" في سياق الجهود الطيبة التي تبذل من أجل التنقيب عن علمائنا المفسرين في مختلف العصور، وتقييد اجتهاداتهم وآثارهم في علم التفسير وجمعها وتحقيقها ودراستها.

---

[53] عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط3، 1988، ص أ.

[54] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج2، ص 103.

[55] عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص د.

[56] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج2، ص11

ولقد تراكمت في مخطوط "كعبة الطائفين" نصيبا من جهود هؤلاء الأعلام الجزائريين والتلمسانيين تعكس بوضوح مدى اهتمامهم بكتاب الله وتمسكهم به في مختلف العصور، فرصد لنا جوانب من علوم التفسير، كشرح مفردات غريب القرآن، أو أسباب النزول، أو دفع إشكال، وأحصى لنا بعض النكت.. وقد تعددت صور التفسير ومظاهره على قلته في مخطوط "كعبة الطائفين" مع غلبة التقليد وقلة التجديد.." ويبدو أن ما قيل من أن العقائد كانت مهنة أهل المغرب، وأن التفسير فن أهل المشرق قول فيه كثير من الصحة"،[57] ذلك ما نلمسه بوضوح في مدونتنا المعتمدة في هذه الدراسة، حيث كادت عقائد الشيخ السنوسي وملخصاتها أن تطغى على ما سواها.

ومن صنف هؤلاء الأعلام الذين أورد مؤلف "كعبة الطائفين" أخبارهم، والذين اشتغلوا بكتاب الله، نذكر: سيدي العبدلي الذي كان يتصدّر الإمامة بجامع الوزان، الواقع بباب الجياد حاليا -بتلمسان-، والشيخ بلقاسم بن موسى بن صابر الذي وصفه بالعالم العامل والخطيب المدرس الكامل، وعاشور القسنطيني تلميذ شيخ الإسلام عبد الكرم الفكون الذي وصفه بالفقيه النبيه والحبر والبحر، وغيرهم كثير.

ومنهم سيدي سعيد المقري (كان حيا في العقد الأول من القرن 11ه/ 17م)[58] الذي وصفه صاحب مخطوط "كعبة الطائفين" بأنه شيخ الشيوخ وحجة الإسلام ومفتي الأنام، ونقل أيضا من خط يده.. وقد كان سعيد المقرّي غزير العلم مبرزا في فنونه لاسيما الفقه والحديث، استمر مفتيا بتلمسان لأزيد من ستين سنة..

وقد عدّه أبو القاسم سعد الله من جملة من تعاطى مع علم التفسير تدريسا لا تأليفا، حيث يقول: ..أما تدريس التفسير فقد كان شائعا بين العلماء البارزين..فإن أمثال سعيد قدورة، وأحمد بن

[57] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 15.

[58] ينظر: ابن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 104.

عمار، وسعيد المقري ربما تناولوا أيضا التفسير في مجالس دروسهم التي اشتهروا بها، ومن الطبيعي أن نقول إنه ليس كل من تناول التفسير أجاد أو جدد فيه، ذلك أن ظاهرة التقليد والحفظ كانت مسيطرة على العلماء في جميع الميادين.[59]

ثم يقول سعد الله مستطردا: "وقد أنجب القرن الحادي عشر مجموعة من العلماء المشار إليهم من أمثال سعيد المقري، وابن أخيه أحمد المقري، وسعيد قدورة، وابنه محمد، وعيسى الثعالبي، ومع ذلك لا نجد أحدهم قد ترك تأليفا في علم التفسير".[60]

يقول المؤلف متحدثا عن أهمية مخطوطه، ومشيرا في آن إلى جوانب من حلقات التفسير التي كان يحضرها في مساجد تلمسان العتيقة: ..وقد اتفق لي أني حضرت مجلس فقهاء وقتنا بتلمسان بمقصورة الجامع الأعظم منها وهم يقرؤون في التفسير؛ ويعتنون بكتاب الإمام البيضاوي، وكلامه مختصر معقد، ويُشكل عليهم كثير من الرموز لنيل الكنوز التي أودعها الله في مكنون وحيه، وكنت أُحْضِرُ كتابي هذا[61] فيفتح لي الفتاح في الجواب من هذا الكتاب لأن مسائله مشروحة موضحة عندي، فيقولون لمن هذا التأليف العجيب؟ فأستحي وأروي وأقول هو لعبد الجليل القصري بِنِيّة أنَّا كلنا عبيد للجليل، وأن هذا العلم مقصور على أربابه، ولأني ضمنت كتابي هذا كثيرا من كلام هذا الشيخ وعوّلت على علومه كالإمام أبي حامد، حتى إذا لم آت به في بعض الأيام يقولون لا تخل مجلسنا من ذلك الكتاب لأن فيه ما يشرح الألباب، فقلت في نفسي ذات يوم بعد أن طابت نفوس أشياخنا وإخواننا وعلماء بلدتنا بسماع كتابنا أَتركُ التَّورية بما سبق وأفصح بالحق الأحق خروجا عن العهدة لنتمتع بالكتاب مع الأحباب في اجتماعنا هذه المرّة، فقلت لمفتي الوقت وكان المقدِّمُ ذلك الكتاب الذي أحضره في مجلس قراءتكم لتفسير الكتاب العزيز، هو مما فتح الله له عليّ فتعال نجتمع في خلوة وأفتحه بين يديك وانظر فيه طبقة طبقة وورقة ورقة، فإن وجدته موافقا للكتاب والسنة

[59] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 12.

[60] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 17.

[61] يقصد مخطوطه " كعبة الطائفين".

فنشكر الله تعالى على هذه النعمة المنة، وخذوا في قراءته والانتفاع بما فيه، وإن وجدتم فيه خللا فأصلحوه أو زللا فامحوه بنية ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]﴾[المائدة/ 2]، ففكر وقال: إش نقول لك! إن المعاصرة حرمان وهكذا حرمان، وهكذا في الغالب أن من عاصر شخصا لا يحفل به حتى يغيب فيظهر سرّه فيندم عليه من فرّط فيه..[62]

ومن فقهاء حاضرة تلمسان في القرن 11ه سيدي بلقاسم بن عثمان الدارجي، صاحب "كتاب الحقائق"، ورد ذكره في "موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين"[63] نقل المؤلف كلامه في الصفات الإلهية.. ومما نقله بن سليمان أيضا، قوله عن الصفات الإلهية: ومن الصفات التي تجب لله تعالى الصفات الجامعة، وهي كل صفة دلّت على معنى اندرج فيه جميع أقسام صفاته تبارك وتعالى، لأن صفاته عز وجل على خمسة أقسام: نفسية وهي الوجود،[64] وسلبية وهي الخمس بعدها،[65] ومعاني وهي القدرة،[66]وما بعدها من السبح، ومعنوية وهي كونه قادرا،[67] إلى آخرها، والقسم الخامس فعلي كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، فهذه صفات فعل حادثة، والأولى صفة، ذات قائمة، وبيان اندراج الأقسام كلها في المعنى الذي دلّت عليه الصفات الجامعة، إذ لا يتصف بالألوهية أو العظمة أو الجلال أو الكبرياء إلا من كان غنيا عن كل ما سواه، ومفتقرا إليه كل ما عداه، ويدخل تحت

[62] قويدر قيداري، كعبة الطائفين، ج1، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، ص:504.

[63] هو أبو الفضل بن قاسم بن عثمان، فقيه له كتاب موسوم بـ "كتاب الحقائق في التوحيد" (تقييد تبيين البراهين على إبطال المستحيلات ليتعلم منها الواجبات) نسخه خليفة بن بلقاسم بن محمد خليفة في أول شعبان 1279ه. ينظر: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، دط، 2014، ص: 14.

[64] وهي الصفات التي تدل على الوجود الذاتي لله، دون معنى زائد، وهي: الله، الإله، القدوس.

[65] وهي التي تسلبُ الله عز وجل ما لا يليق به، وأصولها خمسة، وهي: القدم، البقاء، مخالفته للحوادث، الغنى المطلق، الوحدانية.

[66] وهي الصفات القائمة بالذات الإلهية التي توجب لله حكما، وهي: الحياة، العلم، الإرادة، القدرة الكلام، السمع والبصر.

[67] وهي التي تدل على كونه تعالى متصفا بأنه: حي، عليم، مريد، قادر، متكلم، سميع، بصير.

الاستغناء أحد عشر من الواجبات وثلاث من الجائزات، وتحت الافتقار تسعة من الواجبات واثنان من الجائزات، كما أشار إلى جميع ذلك الشيخ السنوسي في عقيدته".[68]

ومن ذاك أيضا قوله: "وحقيقة التوفيق خلق القدرة مع المقدور في محلها على موافقة أمر الرب بالتوفيق والهداية، والعصمة والإرشاد ألفاظ مترادفة، كما أن الضلال والخذلان والمعصية وعدم التوفيق وهو خلق القدرة مع المقدور في محلها على غير موافقة أمر الرب بمعنى واحد أيضا، قاله شيخنا سيدي عثمان الدراجي حفظه الله.[69]

ومن صور الاهتمام بالتفسير المقاصدي لكتاب الله ما ذكره محمد بن سليمان في سياق إشارته إلى أدوار الشيخ الإمام العبدلي الاجتماعية والسياسية: "رأيت الولي (سيدي العبدلي) قبل الفتنة الأولى[70] أيضا اجتمع عليه العامة والغوغاء والجند محصورون في المشور والنساء يزغرتن على تجند أولئك العامة، فقام يبكي وينوح نياح الثكلى بصوت عال والناس يزدحمون عليه في مسجد الوزان، فوعظ كبار القوم، وقال: اتركوا عنكم رأي العامة وازجروهم قبل أن يتفاقم الأمر، فهذا سبب إخلاء وهران لما أن نبذوا الشريعة وحكَّموا العامة وقع بهم ما وقع فأصمَّهم الله وأعمى أبصارهم، فرجع إلى الله، وقال: ما مثل هذه البلدة إلا كما قال الله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل/ 112] فاعترض عليه أغنياء المتفقهة وقالوا: كيف يقول هذا، والآية نزلت في مكة والنبي، ولم يعلموا أن الآية وإن نزلت في أمر مخصوص فإنها تسحب ذيلها على كل من اتصف بذلك الأمر، فنسأل الله أن يفتح بصائرنا للذكر والذكرى بمنه وكرمه".[71]

[68] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3، ص 121–190–265.

[69] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3، ص 214

[70] وقعت أحداثها سنة 1035ه/ 1625 بتلمسان.

[71] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3،ص: 12/ أ

ومن ذلك مثلا ما نقله محمد بن سليمان عن شيخه الإمام أحمد بن محمد القشاشي المداني، حيث نقل عنه بعض الشروحات في مسائل علمية في التفسير والعقيدة، تعليقا على قول النّسفي[72]: العالم بجميع أجزائه محدث، العالم هو كل ما سوى الله تعالى من المولدات الثلاث وغيرها العلوية والسفلية، فهو بجميع أجزائه الجوهرية والعرضية، يعني في الوجود الخارجي بعد أن لم يكن فينزل من العلم إلى الوجود الخارج، وذلك هو حدوثه فيما كان، بعد أن لم يكن فيه كما عليه الله وأراده بكن، فقدّره تقديرا ..[73]

يقول المصنف في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس/ 82] ، قال الشيخ القشاشي: فيكون، أي يعود ذلك الشيء جوهرا مصورا وعينيا قائمة محسوسة ومدركة في الحس بعد أن كان معنى غيبيا في علم الله تعالى، وفي كلمة (كن فيكون) أي وقت إرادة الله لحضوره عنده، وعدم امتناعه لذاته، وقبوله الدائم منه كما أراد الله به أبدا..[74]

يخبرنا المصنف محمد بن سليمان عن عبارة الإمام أبي حامد الغزالي المشهورة: "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، وما صاحبها من سجال علمي،[75] وينقل لنا إسهام الشيخ أحمد القشاشي وموقفه الذي أدلى به في سياق هذا المعترك العلمي، قائلا: وقد ألمَّ بهاذ المعنى الشيخ أحمد القشاشي أمدّ الله في عمره لشرحه لعقيدة شيخ الإسلام عمر النسفي رحمه الله، فقال: "القيوم، أي القائم بذاته

[72] هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان. من كبار علماء الحنفية. ونسبته: النَّسَفِيُّ، نسبة إلى مدينة نسف، يلقب بـ (نجم الدين) وشيخ الإسلام. وأحد الأئمة المشهورين، ولد سنة 461هـ/ 1069 م.أَلَّف في الحديث، والتّفسير.. توفي 537ه/ 1142م.

[73] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3، ص 126

[74] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج3،ص 115

[75] نقل لنا محمد بن سليمان قبل إيراده لكلام الشيخ أحمد القشاشي نصا عزاه للشيخ عبد الوهاب الشعراني ورد في كتاب «اللوامع» قائلا: قد شنع الناس على الإمام أبي حامد في قوله: "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، ومعناها في غاية الوضوح، وذلك ما ثم لنا إلا مرتبتان قدم وحدوث، فالحق تعالى له مرتبة القدم، والمخلوق له مرتبة الحدوث، فلو خلق الله تعالى ما خلق، فلا تخرج من رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الله تعالى قديما أبدا.

وصفاته وأسمائه، فلا قائم به وبها إلا هو أبدا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ([فاطر/ 41] هذه في الأفعال وفي الوصف قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر/ 9]، وهذا منتهى الوجود عند إبراز محلّ موجود به ذاتا ووصفا وفعلا به، فالماسك لجميع الأشياء الحي القيوم القادر على ذلك بحوله وقوته جميعا ليس لشيء، ما مع الله شيء ما في شيء ما، العليم الذي أجرى جميع تصاريف مخلوقاته بعلمه القديم الأزلي الأبدي الذي به تتغير الأشياء ولا تغيره، السميع البصير، البصير لِدَاعِيه ومُنَاجيه: ﴿وَاللهُّ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة/ 1]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك/ 19]، الباقي: يعني على قدمه وكماله بالدوام السرمدي الأبدي، فلا يزول المريد لكل مراد، فعّال لما يريد، فلا يفعل إلا ما يريد لأنه لا مُكرِه له ولا جابر، وهو العزيز الجبار، وليس بعرض فيكون محمولا ولا جسم، ولا جوهر فيكون مركبا ومقسوما، ولا مصور فيكون مفعولا الخالق البارئ المصور، وقد تم الأمر والحصر، الوجود في المصور الفاعل وهو الله تعالى، والمصور المفعول وهو العبد والكون، ولا نزايد بعد في الوجود على هذا، فليس في الإبداع مما كان، فلو تصور متصور ما، فإما أن يكون قديما، وإما أن يكون حادثا، وما ليس بقديم ولا حادث، فليس بشيء أصلا، ولا يتصور لأنه ما لا يتصور وجوده، بل لا يقال فيما سوى الموجود إنه ممتنع إلا للتفهيم؛ لا لأنه شيء وصِفَته الامتناع بحمد الله.[76]

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد شهاب بن أحمد نور الدين الزوي القادري، الموسومة: " المرشدة اللطيفة لزائر الأضرحة الشريفة" مطامع الجماهيرية، سبها، ط1، 1997.

2- إدريس بوكراع، الفهرسة، نظرات في المصطلح، كتاب: صناعة الفهرسة والتكشيف، مطبعة شمس، وجدة، ط1، 2002،

[76] قويدر قيداري، كعبة الطائفين، ج1، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، ص: 170

3- إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار احياء التراث، بيروت، دط، دت.

4- الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج1 ،ج2 ، موفم للنشر ، الجزائر ،دط ، 1991.

5- خدوسي رابح، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، دط، 2014.

6- السائح دحماني زكية، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، دط، 2014.

7- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998

8- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

9- سعد الله أبو القاسم، الجديد عن كتاب "كعبة الطائفين"، في كتابه" أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

10-سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.

11-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

12-سعد الله أبو القاسم، المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد7-8، جانفي 1977.

13-بن علي محمد بوزيان، واحة فجيج تاريخ وأعلام، (د دار النشر) المغرب، ط1، 1987.

14-الغزالي أبو حامد، احياء علوم الدين، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، دط، د تا.

15-الفاسي محمد المهدي، ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، تحقيق: عبد الحي العمروي، وعبد الكريم مراد، المغربأ ط1، 1994.

16-فارح عبد العزيز، صناعة الفهرسة والتكشيف، إعداد: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، ط1، 2002.

17-قيداري قويدر، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين (ج1)، محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي، دراسة وتحقيق: ، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، إشراف د/ عكاشة شايف، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، تلمسان. 2013/ 2014.

18-الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني.

19-محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي (ق11ه/ 17م)، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين (مخطوط)، نسخة باريس،ج1،ج2،ج3، نسخة المكتبة الوطنية باريس، قسم الشرقيات رقم: (2460) بروكلمان02/ 1009.

20-ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، "تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها"، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

21-ابن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986.

22-نويهض عادل، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط3، 1989.

23-عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيوت، ط2، 1988.

مخطوط تفسير البهلول الجزائري (عرض ودراسة)

د. سعدون أحمد، جامعة الجزائر 2، الجزائر

مقدمة:

البهلول هو عمر بن محمد المحجوب الشرفاوي الجزائري البهلول المغربي الزواوي المهاجر إلى دمشق المتوفى 1222/ 1807 له تفسير القرآن العظيم الذي عُرف بتفسير البهلول، مازال مخطوطا في مكتبة الظاهرية مصورا بعض اجزائه على شبكة الانترنات، مع شح في مصادر ترجمة المؤلف والتعريف به.

لم تتم دراسته من قبل ولا تحقيقه رغم انه تفسير مكتمل للقرآن يمثل المدرسة المغاربية في التفسير، ولهذا اخترته موضوعا لهذا البحث في محاولة لنفض الغبار عنه والتعريف به بغية تقريبه للباحثين وتشجيع بعضهم على خوض غمار التحقيق من خلاله ، فالتواصل مع التراث واستنباط كوامنه وظيفة الباحث وواجبه تجاه لغته ودينه.

أـ ترجمة المفسر:

لم نجد ترجمة وافية للبهلول رغم بحثنا واستقصائنا لمختلف كتب التراجم والطبقات والمصادر التاريخية المعنية بالموضوع، وكانت المصادر التي ذكرته شحيحة في المعلومات والتفاصيل، فجاء في الفهرس الشامل اسمه ولقبه وكنيته ونسبته والقرن الذي عاش فيه والبلد التي هاجر إليها بهذا

النص: "عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الزواوي الجزائري المهاجر إلى دمشق – ق 13 هجري"[1].

ونفس الكلام ذكره طرهوني في كتابه (التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا) وعقب عليه بقوله " لم أقف له على ترجمة خلا ما ذكر في الفهرس الشامل 2/ 819 ولكنني وقفت على أحد علماء القرن الثالث عشر المغاربة واسمه عمر بن محمد الشرقاوي إلا أنه يختلف عما هنا فاسمه كاملا: عمر بن محمد المكي بن محمد المعطي بن الصالح الشرقاوي العمري. وهو مذكور بالصلاح وله مؤلفات ووفاته بفاس سنة ستين ومائتين وألف"[2]

وخلط صاحب (معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم) بينه وبين عالم آخر تونسي وجعلهما شخصا واحدا وأضاف كلمة التونسي إلى التعريف السابق ذكره وجمع مؤلفات الثاني إلى تفسير الأول ومنها (التأييدات القدسية في ردّ الأباطيل الضالة الوهابية = رسالة في الردّ على الوهابية)[3]

والصحيح أن الثاني هو "القاضي أبو حفص عمر ابن المفتي قاسم المحجوب المالكي الشريف المساكني ثم التونسي الفقيه الأديب"[4]

وبهذا يكون المفسر هو عمر بن محمد المحجوب الجزائري الأصل المغربي الجهة في مقابل المشرق العربي الإسلامي، من علماء زواوة (وهي منطقة القبائل الشهيرة بعلمائها في اللغة والدين) هاجر إلى دمشق في القرن الثالث عشر للهجرة ويلقب بالبهلول، المتوفى سنة 1222 للهجرة الموافق لسنة

---

[1] –الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط – المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية – الأردن – 1989 – ج2 – ص: 1053

[2] – التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا – محمد بن رزق طرهوني – دار ابن الجوزي –السعودية – ط1 – 1426 هـ – ج1 – ص268

[3] – معجم تاريخ التراث الاسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات – علي الرضا وأحمد طوران – دار العقبة – قيصري تركيا – ج1 – ص : 2295

[4] – تراجم المؤلفين التونسيين – محمد محفوظ – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط2 – 1994 ج4 – ص: 250-251

1807 للميلاد، ونسبته الصحيحة هي "الشرفاوي" وليس "الشرقاوي" وذلك نسبة للشرفة المحرفة عن كلمة "الشرفاء" أي المتسبون إلى النسب النبوي الشريف، وقطعنا بالنسبة للشرفاوي استنادا إلى كل المخطوطات التي خلفها المؤلف بخط يده وعددها خمس والتي يكتب فيها نسبته بالفاء المنقوطة أسفل الحرف في الخط المغربي بدل القاف المنقوطة أعلاه بنقطة واحدة.

جـ مؤلفاته :

ما وصلنا إليه من مؤلفات البهلول ثلاثة مؤلفات مخطوطة أولها هو التفسير المراد التعريف به في هذا المقال وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا.

أما المؤلف الثاني الذي تذكره فهارس المخطوطات فهو شرح على منظومة في الفقه المالكي مسمى باسمه (شرح المحجوب على منظومته في الفقه المالكي) وهي في نسخة واحدة بخط يده :

- نسخة جامعة الملك سعود ورد فيها أنها بخط المؤلف بتاريخ نسخ سنة 1305 للهجرة خطها مغربي حسن ، الشرح باللون الأسود والمنظومة باللون الأحمر / رقم 2 ر -218.

والمؤلف الثالث هو شرح على منظومته في العقائد في نسختين بخط المؤلف:

- نسخة مكتبة الحرم – كتب في صفحتها الداخلية الأولى "شرح العلامة عمر بن محمد المحجوب على منظومته في العقائد" / صور رقم 2146.

- نسخة المكتبة العامة بالدوحة – كتب عليها "شرح منظومة ابن المحجوب" مع ملاحظة إضافية (بخط المؤلف) وتاريخ نسخ 1298 للهجرة مما يجعلها الأقدم / الرقم العام 327.

د. نسخ المخطوط :

عثرنا على نسختين لمخطوط تفسير البهلول بخط المؤلف موجودتين في مكتبتين مختلفتين وهذه هي تفاصيل النسخ:

1- **نسخة المكتبة التيمورية**[4]: مصنفة في أربعة مجلدات في فهرس المكتبة التيمورية، مصورة كلها عبر الميكرو فيلم مكتوب عليها (تفسير البهلول) تحت رقم 219 برمز (تفسير تيمور)

وقد انقسمت المجلدات في محتواها حسب الآتي :

- **المجلد الأول**:(من ص1 إلى ص 511): تفسير الربع الأول من القرآن من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الأنعام.

يقول في صفحته الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ورضي الله عن جيع أصحابه والصالحين أجمعين آمين

أما بعد فيقول العبد الفقير الحقير على الله العزيز الرحيم عمر بن محمد المحجوب الشرفاوي البهلول بتواتر عباس ...) ويختم صفحته الأخيرة بقوله (كمل بحمد الله وحسن عونه تفسير الشريف القرآن العظيم ربع البقرة على يد الحقير الفقير إلى ربه العزيز الغني الكريم عمر ابن محمد المحجوب الراجي من الله العفو والغفران الشرفاوي البهلول الزواوي المغربي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين والحمد لله رب العالين)

- **المجلد الثاني**:(من ص1 ألى ص 509): تفسير الربع الثاني من القرآن من سورة الأعراف إلى آخر سورة الكهف.

يقول في صفحته الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد وآله سورة الأعراف مكية مباركة بنور الله العظيم...) ويختم صفحته الأخيرة بقوله (كمل بحمد الله وحسن عونه الربع الثاني من تفسير القرآن المبارك الشريف على يد الحقير الفقير عمر ابن محمد المحجوب

[4] – فهرس الخزانة التيمورية – مطبعة دار الكتب المصرة – القاهرة –1984 – التفسير – ج1 – ص: 16

الراجي من الله العفو والغفران الشرفاوي البهلول المغربي الزواوي المهاجر إلى دمشق الشام الشريف نفعنا الله ببركة الأنبياء منه والصالحين)

- **المجلد الثالث**:(من ص1 ألى ص 407): تفسير الربع الثالث من القرآن من سورة مريم إلى آخر سورة فاطر.

يقول في صفحته الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، سورة مريم عليها السلام مكية محفوظة بعناية الله العظيم...) ويختم صفحته الأخيرة بقوله (كمل بحمد الله الربع الثالث من تفسير القرآن العظيم على يد الحقير الفقير إلى ربه الغني الكريم بكل حال عمر ابن محمد المحجوب الشرفاوي البهلول المغربي الزواوي الجزايري غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات والحمد لله رب العالين آمين آمين يا رب العالمين سنة ألف وثلاث مائة وعشر سنين بعده في شهر الله المعظم جمادى الثاني اللهم أرنا خيره وخير ما بعده بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل وقت وحال)

- **المجلد الرابع**:(من ص1 الى ص 885): تفسير الربع الأخير من القرآن من سورة يس إلى آخر سورة الناس.

يقول في صفحته الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد، سورة يس مكرمة ومشرفة باسم رسول الله الكريم...) ويختم صفحته الأخيرة بقوله (كمل بحمد الله وحسن عونه التفسير المبارك القرآن العظيم على يد الحقير الفقير الراجي من الله العفو والغفران عمر ابن محمد المحجوب الشرفاوي البهلول المغربي الزواوي الجزايري المهاجر إلى دمشق الشام الشريف نفعنا الله ببركة الأنبياء منه والصالحين عليهم الصلاة والسلام اللهم اغفر لنا ولولدنا ولأجدادنا ولمشايخنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ورضي الله على التابعين وتابعي

التابعين وعن المجتهدين والعلماء العاملين والمحدثين والشارحين والأولياء الصالحين المكرمين إلى يوم الدين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، انتهى والسلام في شهر الله المعظم جمادى الثاني 11 مضى منه سنة 1308 اللهم أرنا خيره وخير ما بعده بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم).

2- **نسخة المكتبة الظاهرية:** مصنفة في أربعة مجلدات في الفهارس[٥] ولم نعثر إلا على المجلد الثاني مصورا بالمعلومات التالية : فيلم رقم 1541/ مخطوط رقم 7122 وعلى صفحته الأولى عبارة (الجزء الثاني من تفسير القرآن – تأليف الشيخ عمر بن محمد المحجوب...)

تبدأ الصفحة الأولى منه بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد .. سورة الأعراف مكية مباركة)

وتنتهي الصفحة رقم 222 والأخيرة منه بعبارة (كمل بحمد الله وحسن عونه الربع الثاني من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه ومفسره عمر ابن محمد المحجوب الراجي من الله العفو والغفران الشرفاوي البهلول المغربي الزواوي الجزايري المهاجر إلى دمشق الشام الشريف نفعنا الله ببركة الأنبياء منه والصالحين).

هـ- منهج المؤلف في التفسير:

يمكن أن نستشف من مطالعتنا للمخطوط مجموعة ملاحظات أولية تتعلق بمنهج المفسر في تفسيره يمكن تقسيمها إلى ملاحظات شكلية تنظيمية وملاحظات تتعلق بالمضمون والجانب العلمي

---

[٥] – ينظر الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط –ج2 – ص: 1053

1- الملاحظات الشكلية التنظيمية:

- التفسير في نسختيه بخط المؤلف وهو متطابق في النسختين ومتطابق مع النسخ الثلاث لشرح المنظومة الفقهية السالف ذكرها، وقد ودنا ملاحظات موثقة على بعض هذه النسخ تصرح بأنها بخط المؤلف.

- نوع الخط الذي كتب به المؤلف تفسيره وشره منظومته هو الخط المغربي وهو حسن الجودة عالي الوضوح من حيث حجم الحروف وتداخلها

- اعتمد المؤلف التغاير اللوني أثناء الكتابة فجعل الآيات باللون الأحمر والتفسير باللون الأسود تمييزا لها كما فعل أيضا في شرح المنظومة عندما ميز المتن بالأحمر والشرح بالأسود

- اعتمد المؤلف كتابة أول كلمة من الصفحة الموالية في آخر الصفحة السابقة ضمانا للتسلسل الصحيح لصفحات المجلد في حالة التمزق أو الضياع أو التبعثر.

- اعتمد على تنقيط الخط المغربي الذي ينقط القاف نقطة واحدة أعلاها والفاء نقطة واحدة أسفلها.

- المؤلف أحيانا يشطب الكلمة إذا أخطأ فيها ثم يكتب بعدها الكلمة الصحيحة مثل قوله (ثم قال ...قام)[7]

- يرقم المؤلف الصفحات بالأرقام الهندية (المشرقية حاليا) في منتصف أعلى الصفحة.

- يضع المؤلف علامة الحزب والنصف والربع في دائرة صغيرة على هامش الورقة يمينا أو يسارا حسب الموضع.

[7] - مخطوط المكتبة التيمورية – ج3 – ص 249

2ـ **الملاحظات العلمية (المضمون):**

- يذكر المؤلف الآية أو مجموع الآيات المراد تفسيرها باللون الأحمر ثم يشرع في شرحها بشكل مباشر بأسلوبه الخاص دون الإحالة إلى مصادر أخرى.

- أحيانا يذكر تفاصيل تاريخية تتعلق بقصص الأنبياء وأحداث تكميلية أو هامشية متعلق بمجريات القصص القرآني دون الإشارة إلى مصدرها أو الإحالة إلى مرجعية معروفة في المجال من كتب التفسير والأثر وغيرها.

- أسلوبه يميل كثيرا إلى التخفيف الصوتي والتسهيل اللغوي والتراكيب المبسطة الشبيهة بالعامية الدارجة حتى قال فيه بعضهم "وهو رجل من العامة ...كتب فيه ما عن له"[8] وهذا يخالف ما وجدناه في وصف إحدى مخطوطات شرحه للمنظومة الفقهية عندما تم تلقيبه بالعلّامة ولهذا يعقب على هذا الكلام العلامة المؤرخ أبو القاسم سعد الله فيقول :" والظاهر أن كلمة (عاميا) إنما تعني أنه قد أملى تفسيره على تلاميذه بشيء من البساطة في العبارة، أو أنه كان غير عميق في معانيه فظهر لمن اطلع عليه أن صاحبه عامي الثقافة"[9]

- عند بداية كل سورة يذكر إن كانت مكية أو مدنية ويحدد ما يتعلق باسمها من ميزة مثلما فعل مع سورة مريم وسورة يس السابق ذكرهما في تقسيم المجلدات.

- يتميز هذا المؤلف بطول النفس في الكتابة والنسخ فله نسختان على هذا التفسير بخطه وثلاث نسخ على شرحه الفقهي وشرحه في العقيدة كلها بخطه أيضا مما يبين أنه كان متفرغا للعلم وتقييده.

[8]- فهرس الخزانة التيمورية – ج1 – ص 16

[9] – تاريخ الجزائر الثقافي – أبو القاسم سعد الله – دار الغرب الإسلامي – بيروت – 1998 – ط1 – ج2 – ص 20

خاتمة الدراسة:

البهلول عالم جزائري مجهول هاجر إلى دمشق وخلف فيها تفسيرا للقرآن وشرحين فقهي وعقائدي والقليل من المعلومات عن حياته وسيرته الذاتية والعلمية، وبقي تفسيره مخطوطا رغم توفره كاملا وفي نسختين، وقد حاولنا تقريب هذا العالِم وتفسيرِه قدر المستطاع للقارئ والباحث ليسهل لأحدهم الشروع في تحقيقه تحقيقا علميا يحفظ به ذكراه ويخرجه للعالَم ويثري به مكتبة التفسير المغاربي.

مصادر البحث :

1- تاريخ الجزائر الثقافي – أبو القاسم سعد الله – دار الغرب الإسلامي – بيروت – 1998 – ط1.

2- تراجم المؤلفين التونسيين – محمد محفوظ – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط2 – 1994 .

3- التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا – محمد بن رزق طرهوني – دار ابن الجوزي – السعودية – ط1 –1426 هـ .

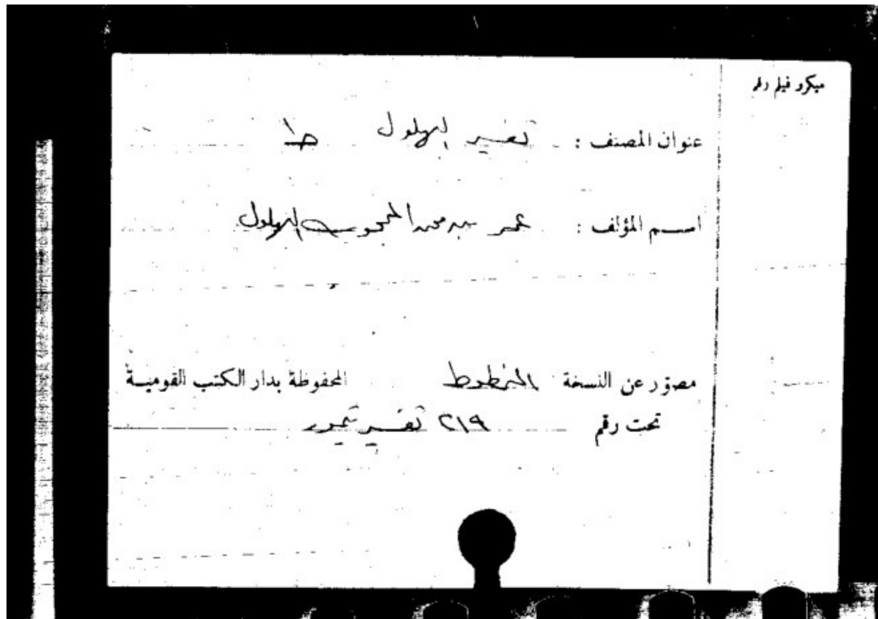
4- فهرس الخزانة التيمورية – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة –1984 .

5- الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط – المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية – الأردن – 1989 .

6- معجم تاريخ التراث الاسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات – علي الرضا وأحمد طوران – دار العقبة – قيصري تركيا

الملاحق : صور عن الصفحات الأولى والأخيرة لأجزاء التفسير والشروح:

تفسير البهلول نسخة المكتبة التيمورية


ميكرو فيلم رقم

عنوان المصنف : تفسير البهلول ج١

اسم المؤلف : عمر بن محمد المحجوب البهلول

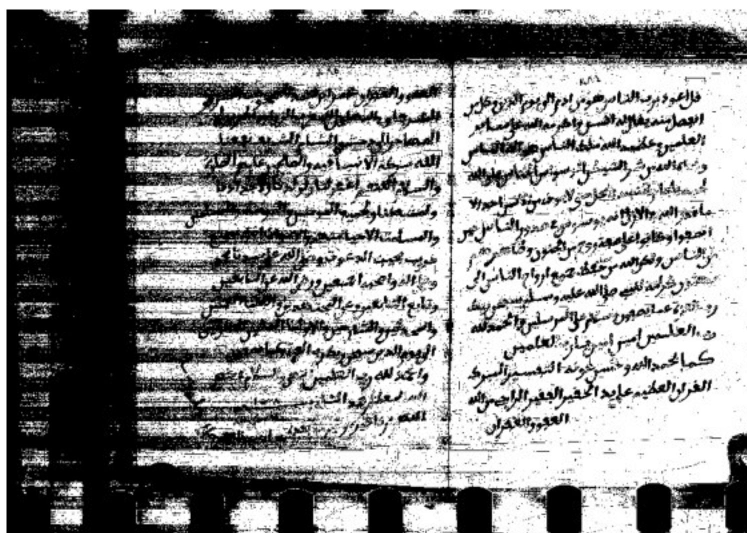
مصورة عن النسخة المخطوط المحفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ٢١٩ تفسير تيمور

الصفحة التوثيقية



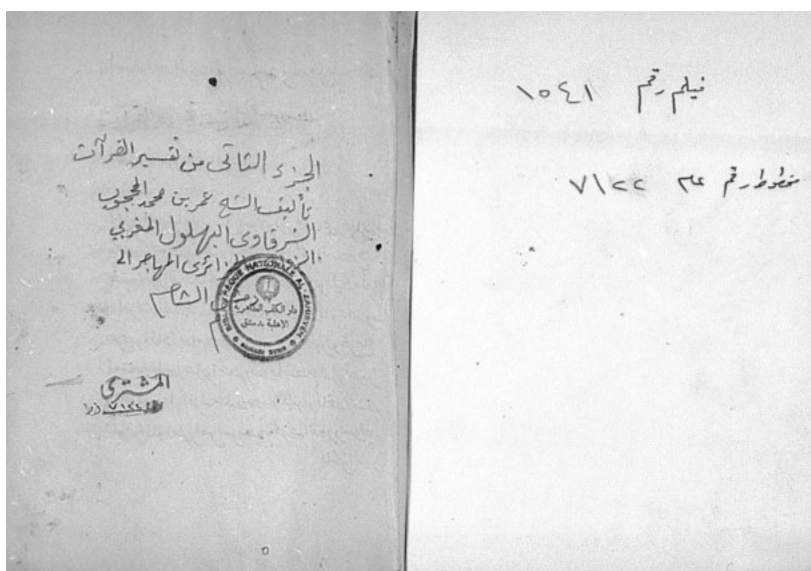
الصفحة الأولى من المجلد الأول



الصفحة الأخيرة من المجلد الرابع والأخير

....

تفسير البهلول نسخة المكتبة الظاهرية


فيلم رقم ١٠٤١

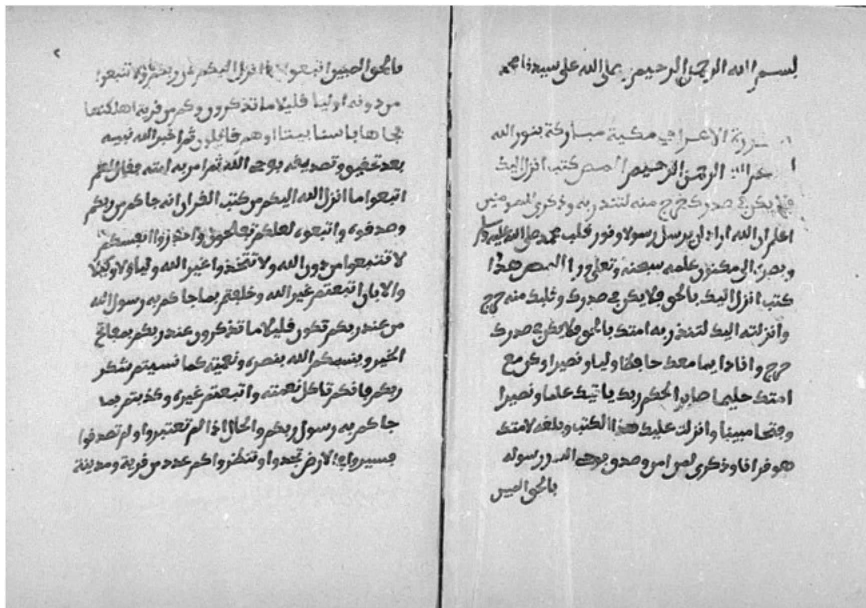
مخطوط رقم عام ٧١٢٢

الجزء الثاني من تفسير القرآن

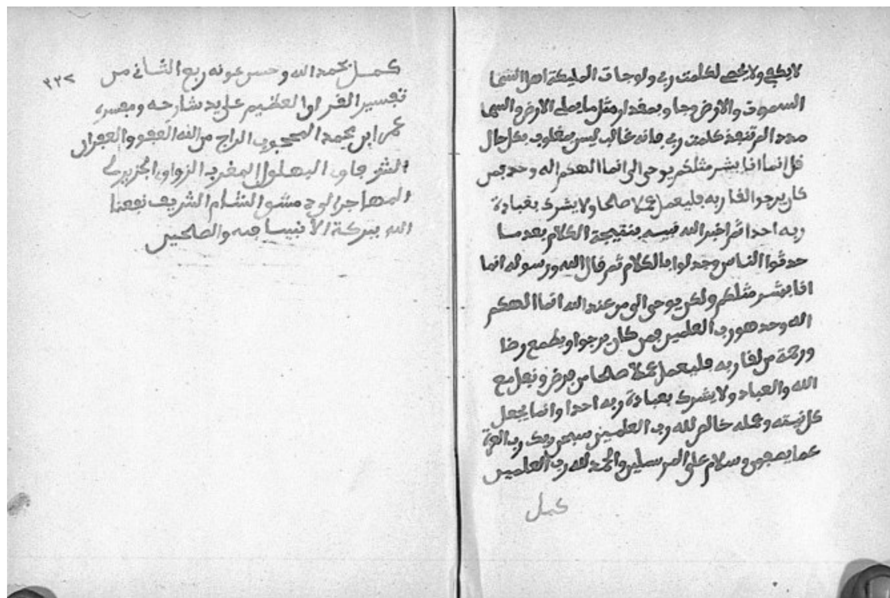
تأليف الشيخ عمر بن محمد المحجوب

الشرقاوي البهلول المغربي

الصفحة التوثيقية



الصفحة الأولى من المجلد الثاني والوحيد



الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني والوحيد

.....

شرح المنظومة العقائدية



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الحرم



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الدوحة

شرح المنظومة الفقهية

1

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ عمر بن محمد المجوب بن علي الشرفاوي البهلول اصلح
اللهم اغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين امين
الحمد لله على نعم مدا اصل صلوة وسلام على محمد وسبل
وعلى جميع اخوانه نبي ومرسل ورضي الله عن جميع اصحاب الرسول
اعلم ان الله سبحنه وتعلى يستحق جميع المحامد او مملوك لله تعلى
ومن جملة نعامه تعلى هو ارسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الخليق
هو اصل النعم ونحمد الله دايما حين جعلنا من امته وجب علينا صلوة وسلام
عليه ومعنى الصلوة من الله هو زيادة الرحمة ومن العباد هو دعا واستغفار
وسلام هو زيادة الامان على سيدنا محمد وعلى من امن به واستند بما جا به
من عند الله من قول وعمل وكذا الصلوة على جميع اخوانه من النبيين
والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ورضي الله ومعنى الرضى
هو

2

هو انعام واكرام من الله على جميع اصحاب الرسول اي جميع من استصحب رسول الله
في حياته وامن به ومات على ذلك اورا ثم امن به بعد ارتفاعه صلى الله عليه وسلم
وبعد فلت مستعينا بالله والرسول
ونحمد لله دايما نعمة الرسول ملتمسا مذهب مالك حال
اعلم بعد قصد ذكر البسملة والحمدلة والصلوة على نبي محمد صلى الله عليه وسلم
التمست دايما نعمة طريقه وشريعته على مذهب امام مالك حالة
كوني معتقدا بوحدنية الله وتصديق رسوله ومن تبعه الى يوم الدين
باب طهارة من خبث وحدث ما منه دم غايط بول
اعلم ان الله سبحنه وتعلى جعل لكل اسس اصل ومسلك له باب وطريق
يوصل الى مقصد معرفته وحكمته تعلى والوصل اليه يستوجب طهارة
قلب وبدن من جميع الدنس والزلل الذي جرى الله عادته في الانس وغيره
وجب على كل عاقل ان يتطهر من خبث اي من جميع ما يخرج من باب بدنه
غايط من دبره وبول من قبل ومنه هو حدث اصل كل حيوان جعل الله اصله منه لحكمته تعلى

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الملك سعود

أطلس أعلام المفسرين في الجزائر

د. سواق فاطمة الزهراء، كلية العلوم الإسلامية،
جامعة الجزائر 01 ، الجزائر

مقدمة:

لقد اكتسبت الأطالس أهمية بالغة في نشر المعرفة الموسوعية وتقديم المعلومات المرجعية المتنوعة في مختلف العلوم، ولم تعد محصورة في نمط معرفي واحد يتعلق بالمحددات الجغرافية وما يرتبط بها من تضاريس ومناخ وموارد طبيعية... وما إلى ذلك، بل تعدت إلى توثيق حياة الإنسان تاريخيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ومعرفيا..

وفي هذا السياق تأتي محاولة صنع هذا الأطلس الذي يوثق حركة التفسير في الجزائر من خلال الأعلام الجزائريين الذين شاركوا فيها باستحضار الجغرافيا والتاريخ والتفاعل الثقافي والمعرفي الذي رافقها.

تهدف فكرة انجاز وإعداد هذا الأطلس إلى تصور خارطة تاريخية وجغرافية للمناطق والمدن الجزائرية التي شهدت بروز هؤلاء الأعلام الجزائريين الذين كانت لهم مشاركة في علوم التفسير تدريسا أو تصنيفا، أو حتى الذين وصفوا بأنهم مفسرون فقط أو لهم مشاركة في التفسير، ولم تبين الكتب التي ترجمت لهم الكيفية التي خدموا بها تفسير القرآن الكريم، لكن تصور هذه الخارطة لن يكون مفصولا عن الأحداث التاريخية والسياسية والثقافية التي سادت البيئة الجغرافية التي

احتضنت هذا المفسر من حيث الميلاد أو النشأة أو الاستضافة العلمية لكون هذه العناصر من المحركات الأساسية في تنشيط حركة الإنتاج والإبداع المعرفي في مختلف العلوم والفنون المعرفية.

إنّ صنع هذه الخارطة بتتبع الأماكن التي ولدوا فيها، أو التي تلقوا فيها التفسير وعلومه على أيدي شيوخهم، أو التي مارسوا فيها التفسير تدريسا، أو التي عُلم أنها صنفوا تفاسيرهم فيها يعطي صورة واضحة عن المناطق الجزائرية التي ازدهر فيها علم التفسير عبر التاريخ، وأيها حظيت بالقدر الأكبر من الإنتاج والإبداع فيه، كما أن مراقبة الانتقال الجغرافي لمراكز النشاط التفسيري عبر القرون المختلفة يساعد في فهم تطور علم التفسير وازدهاره في الجزائر، والتفاعل المعرفي بين المفسرين في مختلف ربوع البلاد، مما يساهم في التأريخ لعلم التفسير في الجزائر وضبط مراحله بشكل دقيق .

أما طريقة العمل في هذا الأطلس المختصر فتتمثل في:

1) ضبط قائمة الأعلام الجزائريين الذين ارتبطت أسماؤهم بالتفسير وعلومه في المصادر التي ترجمت لهم عبر التاريخ، سواء كانوا من المصنفين في التفسير، أو من المدرسين له، أو من جمعوا بينهما، أو من الذين وصفوا بأنهم مفسرون أو لهم مشاركة ما في التفسير، ولم تبين هذه التراجم طبيعة خدمتهم للتفسير وعلومه.

2) تتبع التوزيع الجغرافي لهؤلاء الأعلام المفسرين بحسب التاريخ الزمني في حدود ما كان يعرف قبل التقسيم الحديث بالمغرب الأوسط وصولا إلى الجزائر الحديثة بعد أن اكتسبت هذا الاسم وترسّمت حدودها وتمايز موقعها عن بقية أقاليم المغرب الكبير.

3) صياغة بطاقة علمية لكل مفسر تضم ما يلي:

- اسمه.
- تاريخ ومكان ميلاده ووفاته بحسب ما تيسر من المعلومات.

- بيان طبيعة خدمته للتفسير تصنيفا أو تدريسا أو جمعا بينهما إن توفرت معلومات تثبت ذلك، أو الاكتفاء بما يؤكد اشتغاله بالتفسير إن لم تحمل تلك التراجم إشارات واضحة تبين كيفية خدمته للتفسير وعلومه.

- لمحة مختصرة وواضحة عن البيئة الزمانية والمكانية التي ولد ونشأ فيها هذا المفسر، لاسيما فيما يتعلق بالجانب العلمي والمعرفي، مع عدم تكرار المعلومات عند تكرر ذكر المدينة، أو استمرار الوضع التاريخي والمعرفي نفسه، كل ذلك بالاستعانة بالصور والرسومات والبيانات والخرائط الموضحة.

4) تزويد هذا الأطلس بمختلف الخرائط والرسومات البيانية التي تبسِّط وتوضِّح بالأرقام والنسب مسار حركة التفسير في الجزائر من حيث الكم والنوع.

5) ضبط قائمة التفاسير الجزائرية المحفوظة والمفقودة، مع توفير ما تيسر من المعلومات عنها.

أولا: قائمة بأعلام المفسرين الجزائريين بحسب وفياتهم

لقد تطلّب ضبط هذه القائمة التي تضم أسماء المفسرين الجزائريين قراءات متكررة في المصادر التاريخية لاسيما في المراحل التاريخية المتقدمة التي لم تكن فيها حدود الجزائر متمايزة في إطار المغرب الكبير الذي كان يتكون من ثلاثة مغارب متداخلة حدودها هي: المغرب الأقصى، المغرب الأوسط، المغرب الأدنى، يضاف إلى ذلك أن المفسر في التراجم قد ينسب باعتبار أصله، ومنهم من نسب باعتبار مولده ونشأته، ومنهم من نسب باعتبار مقامه واستقراره، وقد كان كثير من هؤلاء المفسرين يتنقلون في طلب العلم بين حواضر المغرب الكبير وغيرها من المدن الإسلامية، فينسبون إليها لوفودهم عليها واستفادتهم وإفادتهم فيها، وعليه فإن تصنيف المفسرين الجزائريين وضبط أسمائهم في هذه القائمة كان من الصعوبة بمكان.

وعليه فقد تمت الاستعانة بالجهود المعاصرة التي كان لها بدورها مراجعات تاريخية في هذه التراجم سواء المتخصصة في المفسرين أو التي تناولت الأعلام الجزائريين عموما قبل الرجوع إلى المصادر المتقدمة للتوثق وزيادة الاطلاع، ولقد تمثلت المراجع المعاصرة التي اعتمدت عليها أساسا وأصلا في إحصاء المفسرين في هذه القائمة في:

- ✓ كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العاصر الحاضر.
- ✓ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العاصر الحاضر .

وكلاهما من تأليف عادل نويهض الذي عاش فترة من الزمن في الجزائر.

- ✓ كتاب التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا.

الرقم	اسم المفسر	الرقم	اسم المفسر
1	عبد الرحمان بن رستم الفارسي الإباضي (ت 171هـ)	33	علي بن موسى أبو الحسن المطغري (ت951هـ)
2	عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (ت بين 188هـ إلى 208هـ)	34	محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني (ت1001هـ)
3	هود بن محكم الهواري الأوراسي (القرن الثالث الهجري)	35	أحمد بن محمد ين يحيى المقري التلمساني (ت1041هـ)
4	أحمد بن علي بن أحمد الباغاني الأندلسي (401هـ)	36	علي بن عبد الواحد السجلماسي الجزائري (1057هـ)
5	أحمد بن نصر أبو جعفر الداودي (ت 402ه)	37	يحيى بن محمد النايلي الشاوي الملياني (ت 1096هـ)

6	يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت570هـ)	38	أحمد بن قاسم التميمي البوني (1139هـ)
7	الحسن بن علي بن محمد المسيلي (ت نحو 580هـ)	39	الحسين بن محمد العنابي الجزائري (ت1150هـ)
8	علي بن عبد الله بن ناشر الوهراني (ت615هـ)	40	محمد بن محمد الحسني البليدي (1176هـ)
9	أحمد بن علي بن يوسف البوني (ت 622هـ)	41	أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت1199ه)
10	عبد الرحيم بن علي البوني (القرن السابع الهجري)	42	عثمان بن سعيد المستغانمي (القرن الثالث عشر هجري)
11	يحيى بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني (ت652هـ)	43	يوسف بن عدون بن حمو (بعد 1223هـ)
12	سليمان بن علي الكومي التلمساني (ت 690هـ)	44	أحمد بن محمد بن المختار التجاني (ت 1230هـ)
13	محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المقري (759هـ)	45	محمد بن أحمد الراشدي المعسكري (ت1238هـ)
14	أحمد بن العباس أبو العباس النقاوسي(765هـ)	46	علي بن محمد الجمالي الميلي (ت 1248هـ)
15	محمد بن أحمد المعروف بالشريف التلمساني (ت771هـ)	47	محمد بن علي السنوسي الخطابي (ت 1276ه)
16	محمد بن أحمد بن مرزوق الجد الخطيب (ت 781هـ)	48	محمد بن عيسى الجزائري ثم التونسي (1310هـ)

17	عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي (ت786هـ)	49	محمد بن أبي القاسم بن رجيح الهاملي (ت1315هـ)
18	سعيد بن محمد التجيبي التلمساني (ت811هـ)	50	محمد بن يوسف أطفيش الوهبي (ت1332هـ)
19	عبد الرحمان بن محمد التلمساني (ت826هـ)	51	محمد بن مصطفى بن باكير بن الخوجة (ت1333ه)
20	أحمد بن محمد أبو العباس البسيلي (ت830هـ)	52	صالح بن عمر بن داود بن صالح (ت 1347هـ)
21	محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الحفيد (ت842هـ)	53	أحمد بن مصطفى المستغانمي العلاوي (ت 1353هـ)
22	أحمد بن محمد ابن زاغو المغراوي التلمساني(845هـ)	54	عبد الحميد بن باديس الصنهاجي القسنطيني (1359هـ)
23	محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان التلمساني (845هـ)	55	عمر راسم بن علي البجائي (ت1379هـ)
24	قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (854هـ)	56	إبراهيم بن محمد أطَّفيِّش(1385هـ)
25	إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني (ت 857هـ)	57	محمد البشير الإبراهيمي (1385هـ)
26	محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي (ت865هـ)	58	إبراهيم بن عمر بن باية الملقب بيّوض (1401هـ)
27	عبد الرحمان بن محمد الثعالبي الجزائري (ت 875هـ)	59	جابر بن موسى أبو بكر الجزائري (معاصر)

28	محمد بن قاسم التلمساني الرصاع التونسي (ت894هـ)	60	الأخضر بن قويدر الدهمة الجزائري (معاصر)
29	محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (ت895هـ)	61	عمار الطالبي (معاصر)
30	أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت 899هـ)	62	سي حاج محند الطيب (معاصر)
31	محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (909هـ)	63	التواتي بن التواتي (معاصر)
32	محمد بن عبد الرحمان بن أبي العيش التلمساني(ت 911هـ)		

ثانيا: الخارطة التاريخية والجغرافية لحركة التفسير في الجزائر

انطلقت حركة التفسير في الجزائر في القرن الثاني الهجري مع عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن كسرى الفارسي الإباضي الذي أسس مدينة تاهرت أو تيهرت، وعاش فيها إلى أن توفي سنة 171ه، له كتاب في التفسير لتشهد الجزائر بتصنيفه في هذا الفن ـــ رغم أنه فارسي الأصل ـــ أول عمل علمي على أرضها في هذا الجانب من خدمة القرآن الكريم.

ثم اتصل المسار في البقعة ذاتها بسير ولده وخلفه في حكم الدولة الرستمية عبد الوهاب على نفس دربه في العناية بالتفسير وعلومه، وكذلك التصنيف فيه، حيث تذكر التراجم في آثاره تفسير القرآن الكريم، وقد عرفت أسرتهم في مجملها بأنها بيت علم في فنون مختلفة من العلوم الشرعية،من بينها التفسير والأصول والفقه والنحو... توفي بتاهرت، وقد اختلف في سنة وفاته ما بين سنة 188ه وبين 208ه.

وغير بعيد عن حاضرة تيــهـرت وبقية المدن الخاضـــعة لحكم الدولة الرستمية، وفي الفترة الزمنية ذاتها شاركت أيضا في حركة التفسير الجزائري جبال الأوراس الشامخة التي قطنتها بطونا من قبيلة هوارة التي ينتسب إليها المفسر المصنِّف هود بن المحكّم الهواري الأوراسي الإباضي الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وحظي تفسيره المحفوظ بوصف أقدم تفسير جزائري وصلنا .

ثم جاء بعدهم أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الباغاني الأندلسي المتوفى سنة 401ه، فهو باغاني مولدا ونشأةً وأندلسي مقرا ومقاما، كان على مذهب الإمام مالك رحمه الله،وقد نعت بأنه كان لا نظير له في علم القرآن وقراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه، وهو ممن صنف في التفسير، حيث نسب إليه كتاب حسنٌ في أحكام القرآن.

وفي العهد ذاته أنارت المسيلة بميلاد العالم الفقيه المالكي المجتهد أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي، وقيل ولد بواحة ليانة ببسكرة حيث يوجد هناك مسجد ومقبرة يحملان اسمه، وقد أقام بطرابلس الغرب طالبا للعالم، ثم قصد تلمسان فرارا من الفاطميين ــــ وقد كان من أشد المتصدين لدعوتهم في بلاد المغرب ــــ، واستقر بها إلى أن توفي بها سنة 402 هـ، أما اشتغاله بالتفسير فإن تراجمه لا تذكر أنه كان مفسرا، لذا لا نجد له ترجمة في طبقات ومعاجم المفسرين العامة أو الخاصة بمفسري الجزائر وغرب إفريقيا، إلا أن المؤرخ المعاصر يحيى بوعزيز في كتابه "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة"(ص30) ذكر في آثاره تفسيرا للقرآن مستندا إلى نقول عبد الرحمان الثعالبي عنه في الجواهر الحسان.

ومن المسيلة أو جارتها بسكرة انتقلت حركة التفسير الجزائري إلى ورجلان في الجنوب الشرقي بمشاركة الفقيه الإباضي يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت 570ه) في التصنيف في التفسير، ويبدو أنه ممن كان له نفس طويل في التصنيف حتى وصف البرادي تفسيره بأنه كبير جدا، لم ير أضخم منه قط .

ثم تواصل المسار في الشرق الجزائري، لكن إلى مدينة بجاية الساحلية التي نشأ وتوفي فيها سنة 580ه المفسرُ الحسن بن علي بن محمد أبو علي المسيلي أصلا ونسبةً، وقد صنف في معاني القرآن ومقاصده كتابا على نسق إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، فلقب لأجل ذلك بأبي حامد الصغير .

ثم انتقلت حركة التفسير في الجزائر إلى ساحل الغرب الجزائري، وتحديدا مدينة وهران التي نشأ فيها علي بن عبد الله بن ناشر الوهراني (ت615هـ) قبل أن يرحل إلى دمشق ويستقر فيها، و هو ممن صنف في التفسير .

عاد بعدها نشاط الحركة التفسيرية في الجزائر إلى الشرق مجددا لما احتضنت بونة في القرن السابع ميلاد المفسر الصوفي أحمد بن علي بن يوسف البوني الذي توفي بالقاهرة سنة 622ه، مخلفا وراءه كتبا في كشف بعض أسرار القرآن الكريم، وقد كان من أشهر المصنفين العرب في العلوم الخفية وعلم الحروف .

وقد شهدت بونة علما آخر كتب في أسرار القرآن، وهو عبد الرحيم بن علي البوني الذي لا تذكر مصادر ترجمته تاريخ وفاته، وإنما تتفق على مشاركته في التفسير، وتنسب له كتاب "منافع القرآن"، وإن كان الباحث توفيق الفهد في كتابه "الكهانة العربية قبل الإسلام " نسب في الصفحة مائة واثنتين وسبعين، منه هذا الكتاب للبوني دون بيان تفصيل اسمه، مع كتاب آخر في الفن نفسه "سر المكتوم من العلم المكنون وخواص القرآن"، وذكر أن وفاته سنة 625 ه، وأشار في الهوامش إلى مخطوطتي الكتابين في جامعة كتبخانة التركية.

ثم تحول المسار مجددا إلى الغرب الجزائري، ولكن إلى حاضرة التفسير الأولى في الجزائر ومركز إشعاعه "تلمسان" بمشاركة عدد من الأسماء العلمية الثقيلة في فنون العلم في حركة التفسير. **وهم بحسب تتابعهم الزمني :**

- يحيى بن محمد بن موسى (أو يوسف) التجيبي التلمساني المتوفى سنة 652ه، نشأ وتعلم بتلمسان قبل أن يجاور بمكة، ثم يقيم بالإسكندرية، وهو ممن صنف في التفسير.

- سليمان بن علي الكومي التلمساني المتوفى سنة 690ه، مفسر صوفي، من قبيلة كومة التي هي من أعمال تلمسان، له تفسير سورة الفاتحة.

- محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المقري أبو عبد الله التلمساني المتوفى سنة 759هـ، أخذ العلم عن علماء أجلاء في تلمسان، وكان صاحب عبادة وتصوف، عينه المرينيون قاضيا على فاس، وكانت له مشاركة في علوم متنوعة، وقد وصف بالقيام على التفسير أتم القيام، وهو ممن صنف فيه .

- أحمد بن العباس النقاوسي (ت 765هـ) نسبة إلى نقاوس في جنوب غرب باتنة، سكن تلمسان واعتبرته التراجم من أهلها، ثم رحل إلى تونس، وقد وصف بأنه كان ذا إحاطة بالتفسير .

- محمد بن أحمد بن علي بن يحيى المعروف بالشريف التلمساني، أخذ عن علماء أجلاء في تلمسان، وأخذ عنه العلم أعلام مشهورون، فسّر القرآن خمسا وعشرين سنة بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصالحين وطلبة العلم، منها تفسيره للقرآن في دار السلطان المريني أبي عنان حتى شهد له بقوله : "إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره"،استدعاه الأمير الزياني أبو حمو موسى بن يوسف إلى تلمسان فقدمه، وزوجه ابنته، وبنى له مدرسة لبث يدرس فيها إلى أن توفي سنة 771ه.

- محمد بن أحمد بن مرزوق الجد الخطيب(ت 781هـ)، ولد بتلمسان، ثم رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى تلمسان وأخذ عن علمائها الأجلاء، وولي أعمالا علمية وسياسية، وقد برز في فنون متنوعة، منها المشاركة في التفسير.

- تتوقف مسيرة سرد تتابع المفسرين في تلمسان مؤقتا، لتتجه البوصلة إلى بجاية التي ضم ترابها شيخ الجماعة في بجاية في عصره أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي(ت786هـ)، والذي وصف بأنه كان فقيها أصوليا محدثا مفسرا.

- سعيد بن محمد العقباني التلمساني التجيبي (ت811هـ)، من أهل تلمسان، ولد وتوفي فيها، اشتغل بالقضاء نيف وأربعين سنة، وشارك في علوم التفسير، حيث يذكر في آثاره: تفسير سورة الأنعام، وتفسير سورة فتح .

- عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن علي التلمساني، أخذ العلم عن والده الشريف التلمساني والمفسر سعيد العقباني التجيبي السالف ذكره وغيره، وصف بالعالم المفسر، وبأنه أيضا آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن، وهو ممن صنف في التفسير، توفي بتلمسان سنة826هـ .

- تتجه حركة التفسير مؤقتا إلى إقليم الزاب قبل العودة إلى سرد مفسري تلمسان، وتحديدا إلى المسيلة التي ينتسب إليها المفسر أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس البسيلي المتوفى سنة 830 ه، والبسيلي أصلها المسيلي، نسبة إلى المسيلة، وقد قلبت ميمها باء، وهو أمر معهود في لغة العرب، وقد وقعت نسبته صريحا إليها في بعض تراجمه، وهناك تراجم تذكر أنه من أهل تونس، ولعل نسبته ترجح القول الأول، وجمع بينهما بأنه قد يكون ولد في المسيلة وعاش في تونس، أو أن أصوله تعود للمسيلة، ولكنه ولد وعاش في تونس، وهو ممن صنف فيالتفسير،له تقييدان كبير وصغير عن شيخه ابن عرفة .

- محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني الحفيد، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان قبل أن يرحل في طلب العلم إلى تونس وفاس والحجاز والمشرق، وبتلمسان توفي سنة 842هـ، برز في فنون كثيرة، منها التفسير، وهو ممن صنف فيه، وقد وصف ابن بابا التكروري في نيل الابتهاج (1/ 500) علمه بالتفسير بكلام جميل مفاده أنه لو رآه كبار المفسرين المتقدمين لشهدوا له بعلمه في

فهم كتاب الله تعالى، فقال : ((فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لاقاه مقاتل لقال تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم أنه كشف النكت على الحقيقة ...)) .

- أحمد بن محمد ابن زاغو المغراوي التلمساني(845هـ)، فقيه عابد مفسر، أخذ عن علماء تلمسان، منهم المفسرين سعيد العقباني والشريف التلمساني، وأخذ عنه من مفسري تلمسان أحمد بن محمد بن زكري الذي سيأتي ذكره قريبا، وصف بأنه كان أعلم الناس بالتفسير وأفصحهم في وقته، وهو ممن صنف فيه .

- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان أبو الفضل التلمساني (845هـ)، عالم بالفقه والتفسير ومشارك في علوم أخرى، من أقران ابن مرزوق الحفيد، وأخذ عن سعيد العقباني وغيره، وهو ممن صنف في التفسير.

- قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني، ولد ونشأ وتولى القضاء وعكف على التدريس في تلمسان إلى أن توفي فيها سنة 854ه، أخذ عن والده سعيد العقباني، وحج وزار مصر والتقى بابن حجر وغيره، وأخذ عنه جمع من أهل العلم، منهم ابن زكري المفسر وغيرهم، وهو ممن صنف في التفسير.

يتوقف سرد مفسري تلمسان مؤقتا، لأن الشرق الجزائري عاد للمشاركة في حركة التفسير مجددا من خلال الفقيه المفسر إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني (ت 857هـ) الذي ولد في جبال جرجرة، وتعلم القرآن الكريم والفقه في حاضرتها بجاية، ثم رحل في طلب العلم إلى تونس، ثم عاد إلى بجاية مرة أخرى، قبل أن ينتقل إلى قسنطينة ويستقر بها، فينسب إليها، وقد لقي ابن مرزوق الحفيد لما قدم عليهم قسنطينة، وأخذ عنهم علوما متنوعة ، وهو ممن صنف في التفسير، له تفسير القرآن .

• ثم تتجه المسيرة إلى بجاية مع المفسر المحدث الفقيه الأصولي محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي نسبة إلى مشذالة، وهي قبيلة من بلاد زواوة التي تحيط بجبال جرجرة، ولد ببجاية، وتعلم بها وبتلمسان التي رحل إليها طالبا للعالم مستزيدا منه، فأخذ عن جمع من علمائها، منهم من كانت لهم مشاركة في التفسير كابن مرزوق الحفيد وابن زاغو وغيرهم، توفي سنة 865 ه .

• وتتصل المسيرة في ربوع زواوة لتصل إلى ناحية وادي يسر في شمال شرق الجزائر، حيث ولد المفسر الصوفي الذي ينتهي نسبه إلى جعفر الطيار رضي الله عنه، وهو عبد الرحمان بن محمد الثعالبي الجزائري، رحل في طلب العلم إلى بجاية وتونس والمشرق وتركيا والحجاز، وأخذ عن علماء أجلاء، ولقيفي طريق رجوعه للجزائر بتونس شيخه ابن مرزوق الحفيد فأخذ عنه، ثم استقر عند عودته في مدينة الجزائر، وآلت إليه رئاستها ما يقرب من اثنين وثلاثين عاما، وحاله ما بين التصنيف والتدريس والخطابة في المسجد العتيق، إلى أن توفي سنة 875ه، ودفن بزاويته في قصبة الجزائر، وهو ممن صنف في تفسير القرآن، وغريبه، وإعرابه ...وغيره .

• محمد بن قاسم التلمساني الرصاع التونسي (ت894هـ)، أصله من تلمسان وولد بها، ولكنه ارتحل في حداثة سنه إلى تونس عاصمة الدولة الحفصية آنذاك، فأخذ عن مشاهير علماء الزيتونة، ثم استقر في تونس مدرسا في مدارسها ومساجدها، ثم مفتيا وخطيبا في جامع الزيتونة إلى أن توفي، وقد وصف بأنه عارف بالتفسير والحديث إلى جانب الفقه، وهو ممن صنف في التفسير .

• محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (ت895هـ)، عالم تلمسان في عصره، برع في فنون متنوعة، منها التفسير والحديث والتوحيد...، له مناقب كثيرة تدل على زهده وورعه وصلاحه وعبادته، وهو ممن درّس التفسير، حيث ذكر صاحب نيل الابتهاج أنه ((لما وصل في تفسيره سورة الإخلاص، وعزم على قراءتها يوما والمعوذتين يوما سمع بها الوزير وأراد حضور الختم، فبلغه ذلك، فقرأ السور الثلاثة يوما واحدا خيفة حضوره عنده))، وكذلك صنف فيه .

- أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت 899هـ)، عالم تلمسان ومفتيها في وقته، له مشاركة في علوم متنوعة منها التفسير، تولى ابن زاغو تفقيهه وتأديبه، وقد أخذ أيضا عن ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني.

- محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (909هـ)، من أهل تلمسان، ولد ونشأ وتوفي فيها، وهو مفسر وفقيه مالكي، أخذ عن الإمامين الثعالبي والسنوسي وغيرهم، وهو ممن صنف في التفسير .

- محمد بن عبد الرحمان بن أبي العيش الخزرجي التلمساني(ت 911هـ)، أصله من إشبيلية بالأندلس، ولكنه ولد ونشأ وتعلم في تلمسان، وفيها درّس وأفتى، جمع بين التفسير والفقه والأصول والأدب، وهو ممن صنف في التفسير، له تفسير القرآن .

- علي بن موسى أبو الحسن المطغري (ت 951ه)، من أهل مطغرة تلمسان، فقيه مفسر مشارك في علوم متنوعة، رحل إلى فاس ، ولازم العلامة ابن غازي المكناسي نحوا من تسع وعشرين سنة، وكان هو قارئ دروسه في المدونة والموطأ والعمدة والتفسير وغيرها، وهو ممن صنف في التفسير، له تفسير القرآن.

- محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني(ت1001ه)، هاجر من تلمسان بعد خضوعها للخلافة العثمانية، واستقر بالمغرب الأقصى، اشتغل بالتدريس والفتوى والخطابة، ووصف بأنه عالم بالتفسير .

- أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقري التلمساني، صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ولد ونشأ في تلمسان وغرف من علم عالمها عمه سعيد المقري ، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى سائرا بين مدنه طالبا للمعارف قبل أن يشد الرحال إلى مصر،

والشام، والحجاز، وقد توفي بالقاهرة سنة1041هـ، ووصف بأنه كان آية في علم الكلام والتفسير والحديث، وهو ممن صنف في بعض أبواب علوم التفسير كإعراب القرآن وتوجيهه.

ثالثا: الجزائر في العهد العثماني (924 ـــ 1245هـ/1518 ـــ 1830م)

منذ بزوغ فجر العهد العثماني في الجزائر تغيرت بوصلة حركة التفسير في الجزائر إلى حواضر علمية جديدة غير التي كانت سائدة فيما سبق، وعلى رأسها مدينة الجزائر التي توافد عليها الناس من أجل طلب العلم، ومن هؤلاء علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري الجزائري الذي ولد بتافيلالت ونشأ بسجلماسة وعاش بفاس في المغرب الأقصى قبل أن يزور الجزائر ويستقر فيها إلى وفاته سنة 1057هـ، فينسب إليها، وقد أخذ عن علماء كثر، منهم الشهاب المقري السالف ذكره، له مشاركة في علوم كثيرة، منها التفسير، وهو ممن صنف في التفسير وعلومه .

ومنهم : يحيى بن محمد النايلي الشاوي الملياني الذي ولد بمليانة، وقصد مدينة الجزائر للتعلم، فأخذ عن علمائها كعبد الواحد السجلماسي، وعيسى الثعالبي وغيرهم قبل أن يقيم بمصر في طريق عودته من الحج، وقد تصدر فيها للإقراء بالأزهر، كما كانت له رحلة أيضا إلى سوريا وتركيا، وفي تركيا قرئ عليه تفسير سورة الفاتحة من تفسير البيضاوي فأجاز القارئين، ليعود إلى مصر فيتولى فيها التدريس في مدرسة الأشرفية وغيرها، توفي سنة 1096ه،وهو ممن صنف في التفسير.

ثم تتجه البوصلة شرقا إلى عنابة التي لم يأفل نشاطها، حيث ولد ببونة أحمد بن قاسم التميمي البوني (ت1139هـ)، وهو فقيه مالكي، عالم بالحديث ومفسر، رحل إلى المشرق، والتقى في مصر بيحيى الشاوي بعد تصدره للإقراء في الأزهر فأخذ عنه، ثم عاد إلى الجزائر، وهو ممن صنف في التفسير.

وبعده من موطنه الحسين بن محمد المعروف بابن العنابي الجزائري (ت1150هـ)، فقيه حنفي، مفسر، له معرفة واسعة في علوم الشريعة، سكن مدينة الجزائر، وتولى الإفتاء ة فيها أربع مرات، وهو ممن صنف في التفسير، له تفسير القرآن.

ثم تتجه البوصلة شرقا إلى عنابة التي لم يأفل نشاطها، حيث ولد ببونة أحمد بن قاسم التميمي البوني (ت1139هـ)، وهو فقيه مالكي، عالم بالحديث ومفسر، رحل إلى المشرق، والتقى في مصر بيحيى الشاوي بعد تصدره للإقراء في الأزهر فأخذ عنه، ثم عاد إلى الجزائر، وهو ممن صنف في التفسير.

وبعده من موطنه الحسين بن محمد المعروف بابن العنابي الجزائري (ت1150هـ)، فقيه حنفي، مفسر، له معرفة واسعة في علوم الشريعة، سكن مدينة الجزائر، وتولى الإفتاء ة فيها أربع مرات، وهو ممن صنف في التفسير، له تفسير القرآن.

ومن البليدة إلى قلعة بني حماد التي ينسب إليها المفسر المتكلم الأصولي الفقيه أبو الحسن بن عمر بنعلي القلعي (ت1199ه)، وقد رحل إلى مصر سنة 1154ه واستقر بها، وأخذ عن علمائها، وهو ممن صنف في التفسير .

ثم يتجه المسار نحو مستغانم في الغرب الجزائري التي ينتسب إليها المفسر النحوي الفقيه عثمان بن سعيد أبو سعيد المستغانمي الذي عاش في القرن الثالث عشر هجري، من آثاره تفسير للقرآن الكريم كبير وصغير .

ثم يتجه المسار نحو مستغانم في الغرب الجزائري التي ينتسب إليها المفسر النحوي الفقيه عثمان بن سعيد أبو سعيد المستغانمي الذي عاش في القرن الثالث عشر هجري، من آثاره تفسير للقرآن الكريم كبير وصغير .

ثم إلى وادي مزاب حيث عاد نشاط الإباضية إلى المشاركة في حركة التفسير الجزائري مع يوسف بن عدون بن حمو الذي توفي بعد سنة 1223ه،استخلفه شيخه عبد العزيز الثميني لما أسنّ في مسجد بني يسجن بالقرب من غرداية، لقي كبار علماء الأزهر في رحلة عودته من الحج بالقاهرة التي أقام فيها أربع سنوات، وهو ممن صنف في التفسير.

وغير بعيد عن مدينة غرداية ساهمت مدينة عين ماضي بالأغواط في حركة التفسير، حيث ولد فيها شيخ الطائفة التجانية الذي له مشاركة في التفسير والأدب والأصول والفروع : أحمد بن محمد بن المختار التجاني (ت 1230هـ)، تعلم بفاس، وأقام مدة طويلة بتونس، كما أقام بتلمسان مدة درّس فيها التفسير والحديث وغيرها من العلوم.

ثم يتجه المسار إلى بايلك الغرب كما كانت التسمية في التقسيم الإداري العثماني، وتحديدا إلى معسكر التي ينتسب إليها المفسر المؤرخ محمد بن أحمد الراشدي المعسكري أبو راس الجزائري (ت1238هـ)، وهو ممن له مشاركة في علوم متنوعة، منها التفسير، ويذكر في مؤلفاته تفسير القرآن الكريم المسمى:" الإبريز والإكسير في علم التفسير"

ثم تتغير الوجهة نحو مدينة ميلة بالقرب من قسنطينة، والتي إليها ينتسب المفسر الفقيه المتكلم علي بن محمد الجمالي الميلي، استوطن مصر، وبها توفي سنة 1248هـ، وهو ممن صنف في التفسير .

ثم ينقلب اتجاه الحركة غربا إلى مستغانم التي ولد بها مؤسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي الخطابي الذي قضى حياته متجولا ما بين البلدان إلى أن استقر بزاوية الجغبوب في جنوب شرق ليبيا، وفيها توفي سنة 1276ه، وهو ممن صنف في التفسير وعلومه .

ثم يتحول المسار إلى عاصمة البلاد الجزائر التي ولد ونشأ وتعلم بها محمد بن عيسى الجزائري قبل أن يغادر إلى تونس ويستقر بها حتى وفاته سنة 1310ه، فينسب إليها، وقد كان من العارفين بعلوم اللغة والتفسير، وله في التفسير رسالتان مطبوعتان.

ومن العاصمة إلى مدينة الحامدية القريبة من حاسي بحبح في ولاية الجلفة، والتي ولد فيها محمد بن أبي القاسم (أو ابن محمد بن أبي القاسم كما في بعض التراجم) بنرجيح الهاملي، وقد برع في علوم التفسير، والحديث، والأصول ...، تعلم في بعض زوايا البلاد، ثم أسس زاويته المعروفة بزاوية الهامل سنة 1279ه في قرية الهامل بمدينة وسعادة، توفي سنة 1315ه .

ثم يعود قصر بني يسجن في وادي ميزاب إلى النشاط مجددا، وتعود المدرسة الإباضية إلى التصنيف في التفسير من خلال المصلح الذي عرف بشدة عدائه للاحتلال الفرنسي والعلامة الذي جمع ما بين التفسير والفقه والأدب : محمد بن يوسف أطفيش الوهبي (ت1332هـ)، أخذ عن علماء بلده واشتغل بالتأليف والتدريس، وكان من المكثرين في التصنيف، وقد صنف في التفسير متوسعا ومتوسطا، وجميع آثاره في التفسير محفوظة مطبوعة .

ثم إلى مدينة الجزائر مجددا التي ولد ونشأ وتعلم بها الشاعر والكاتب والمفسر محمد بن مصطفى بن باكير بن الخوجة المشهور بالشيخ الكمال، له مواقف معروفة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وقد كانت مشاركته في التفسير من خلال تدريسه له في جامع سفير الذي عين مدرسا فيه سنة 1313ه، كما قام بنشر تفسير " الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمان الثعالبي بعد مقابلته على سبع نسخ مخطوطة، توفي بالجزائر سنة 1333ه.

تعود القافلة سريعا لتحط الرحال مرة أخرى في بني يسجن الذي ولد ونشأ وتعلم بها المفسر الإباضي صالح بن عمر بن داود بن صالح بن يحمد الأعلى (ت 1347هـ)، حج مرتين وتفاعل علميا مع علمائها ومع المجاورين في أرض الحرمين، وفي طريقه إليه حضر دروسا في الأزهر

الشريف، أنشأ معهدا للعلوم الشرعية والعربية في مسقط رأسه، وقد تولى فيه التدريس بمفرده، كما صنف في التفسير كتابا لم يكمله .

ومن بني يسجن إلى مستغانم التي ولد ونشأ فيها المفسر الصوفي الفقيه الشاعر أحمد بن مصطفى المستغانمي العلاوي (ت 1353هـ)، قبل يشد الرحال إلى عدد من المدن الإسلامية، ثم يعود إلى مسقط رأسه مستغانم ويتوفى فيها، وهو ممن صنف في التفسير .

ثم تعود حاضرة قسنطينة التاريخية لحركة التفسير بمساهمة قوية فريدة قادها أحد رجالات الإصلاح في العالم الإسلامي، ورائدها في الجزائر، ومؤسس حركة العلماء المسلمين الجزائريين : عبد الحميد بن محمد المصطفى باديس بن مكي بن باديس الصنهاجي القسنطيني، ولد في قسنطينة وأخذ علومه الأولى على يد علمائها، ثم أتم دراسته في الزيتونة واستفاد من علمائها، وعلى رأسهم المفسر محمد الطاهر بن عاشور، ثم جال بعدها في بعض المدن الإسلامية، حيث حج، وزار لبنان وسوريا ومصر، حصل على شهادة العالمية من الأزهر بإجازة الشيخ بخيت، أما خدمته للتفسير فقد كانت من خلال ختمه للقرآن درسا في الجامع الأخضر في خمس وعشرين سنة، لكن لم يصل من تفسيره إلا ما خطه بأنامله وأسلوبه البليغ في افتتاحيات مجلة الشهاب باسم مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، حيث جردت تلك المجالس من المجلة وجمعت في كتاب مستقل نشر عدة مرات، توفي بقسنطينة سنة 1359هـ.

ومن قسنطينة إلى مفسر تعود أصوله إلى بجاية، وإليها ينسب، ولكن مولده وتعليمه ووفاته بمدينة الجزائر، وهو الصحفي الخطاط المشهور عمر راسم بن علي البجائي (ت1379هـ)، وقد عرف عنه أنه كان من الرعيل الأول في الإصلاح والكفاح، وقد سجنه المدمِّر الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد لقي في فترة سجنه محنة شديدة أثرت في بقية حياته، وفي فترة سجنه تذكر مصادر ترجمته أن صنف تفسيرا للقرآن .

ثم إلى بني يسجن مجددا بمساهمة المفسر الأديب الإباضي إبراهيم بن محمد أطَّفَيِّش (ت1385هـ) في حركة التفسير الجزائري، لازم عم والده المفسر محمد بن يوسف أطفيش وأخذ عنه التفسير وعلوما أخرى، ثم حضر دروسا في جامع الزيتونة بتونس، ولما شارك في الحركة الوطنية المجابهة للاحتلال أبعدته فرنسا، فتوجه إلى القاهرة ومات فيها ، كانت له نشاطات كثيرة علمية وسياسية، أما خدمته للتفسير فتمثلت في تحقيقه لتفسير القرطبي خلال عمله في دار الكتب المصرية.

ثم تتجه البوصلة نحو مدينة رأس الوادي بناحية سطيف، أين ولد ونشأ محمد البشير الإبراهيمي صاحب درب ابن باديس في حركة الإصلاح وشريكه في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وقد كان عالما فقيها مفسرا نحويا أديبا مربيا مصلحا، أما مشاركته في التفسير فكانت من خلال تدريسه في دار الحديث بتلمسان، كما حدث بذلك عن نفسه، حيث نقل عنه ولده أحمد طالب في الكتاب الذي جمع فيه آثار والده "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" 5/ 283 قوله : ((وما لبثت إلا قليلا حتى أنشأت فيها مدرسة الحديث ...، وتوليت بنفسي تعليم الكبار من الوافدين وأهل البلد، فكنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب والعشاء))، توفي بمنزله في سطيف سنة 1385ه .

بعدها تعود المدرسة الإباضية لخدمة التفسير، وتحديدا من القرارة بغرداية التي ولد ونشأ وتعلم ودرّس فيها المفسر إبراهيم بن عمر بن باية الملقب بيّوض، وهو ممن ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وقاد النهضة الإصلاحية في القرارة ، كما واجه الاحتلال الفرنسي سياسيا وثوريا، أما علميا فقد نشط في الدروس والمحاضرات الشفهية، مخلفا مئات الأشرطة المسجلة، أشهرها ما كان في تفسير القرآن، حيث فسره كاملا زهاء خمسين سنة في المسجد الكبير بالقرارة مخاطبا السامعين بالفصحى والدارجة واللهجة الميزابية، لكن المسجل منه يبدأ من سورة الإسراء، وهو الذي تم تحريره في تفسير مطبوع، توفي بالقرارة سنة 1401هـ.

ثم تسير قافلة التفسير نحو مدينة طولقة ببسكرة التي احتضنت ميلاد جابر بن موسى أبو بكر الجزائري سنة 1344ه، وبها تلقى تعليمه الأول قبل أن ينتقل إلى بسكرة ليتلقى بعض العلوم العقلية والنقلية على مشايخها، ثم ليشد بعدها الرحال إلى المدينة المنورة فيقيم بها دارسا ثم مدرسا في المسجد النبوي ودار الحديث والجامعة الإسلامية، وقد كانت له حلقات في التفسير في المسجد النبوي، كما صنف تفسيره المعروف "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، توفي سنة 1439ه.

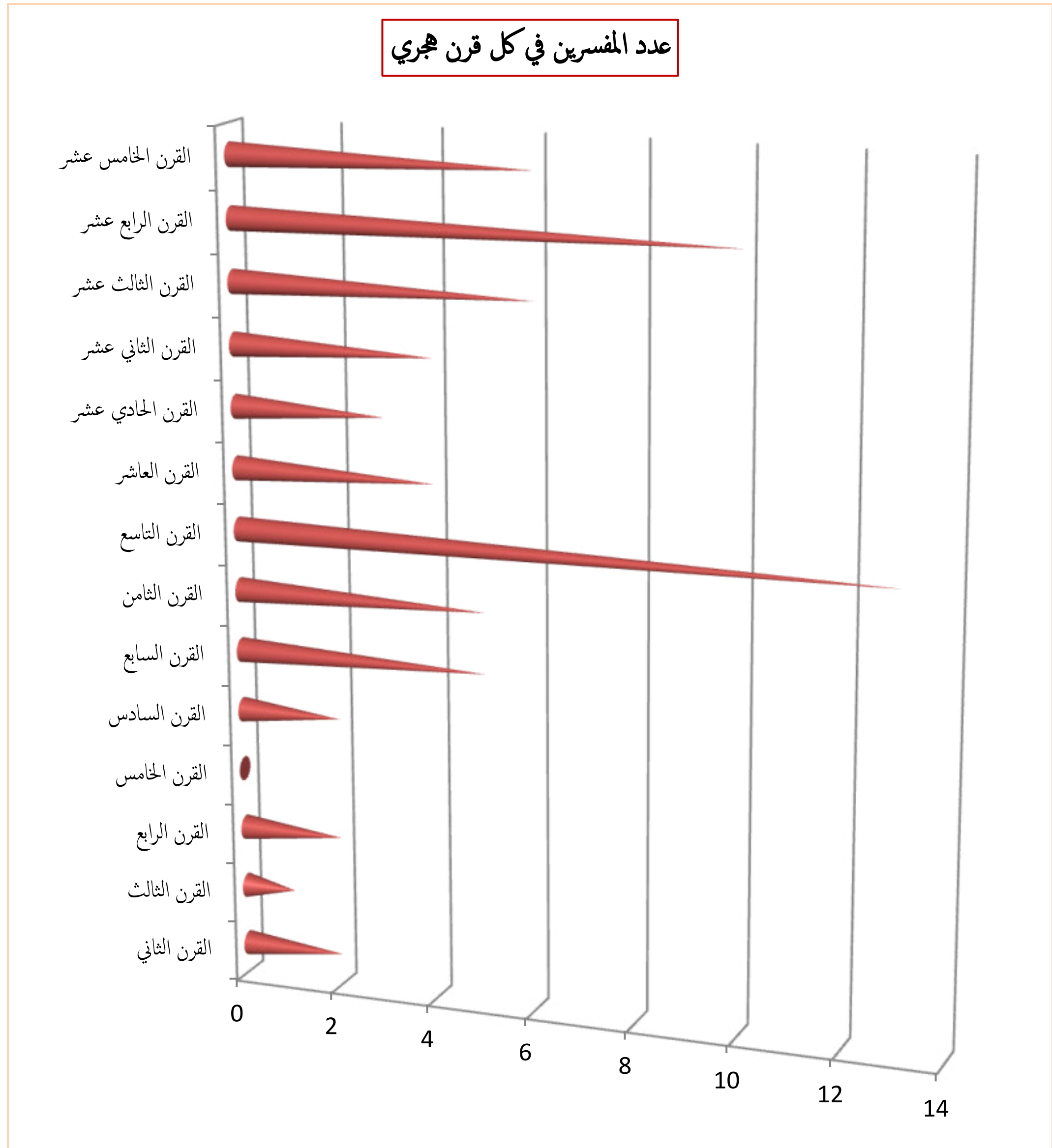
ثم يتجه المسار إلى متليلي الشعانبة التابعة إداريا لولاية غرداية، والتي ولد فيها الأخضر بن قويدر الدهمة المتليلي الجزائري سنة 1344ه، وبها نشأ وحفظ القرآن وأخذ مبادئ الفقه الإسلامي قبل أن يرحل إلى مدينة غرداية لدراسة الفقه المالكي واللغة العربية، ثم إلى الزيتونة لاستكمال تعليمه، اشتغل بعد الاستقلال بالتدريس، والتفتيش التربوي، والتفتيش على مستوى وزارة الشؤون الدينية في غرداية، بالإضافة إلى دروسه التفسيرية التطوعية مند الثمانينات في مساجد متليلي وغرداية، وقد تمّ له في مجالسه التي كان يعقدها غالبا قبل صلاة الجمعة وبعد صلاة الفجر تفسير الفاتحة والبقرة مع آيات من سورة آل عمران والنساء وبعض سور المفصل، وقد أخرج تفسيره للفاتحة ولبعض سور المفصل لاحقا في تفسير مطبوع.

ثم تعود الأوراس لخدمة التفسير مع البروفيسور عمار الطالبي المولود سنة 1353ه بخنشلة، وهو أستاذ الفلسفة في جامعة الجزائر ونائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد ساهم في خدمة التفسير الجزائري بتحقيق تفسير الثعالبي، وكذلك وبتقديم وإخراج تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس .

ثم تعود الأغواط للمساهمة في هذه السلسلة المباركة في خدمة كتاب الله العزيز من خلال المفسر والفقيه الدكتور التواتي بن التواتي الذي ولد سنة 1362ه، متخصص في القراءات والدراسات النحوية والأحكام الفقهية، أخرج دروسه التفسيرية الشفهية التي كان يلقيها في المساجد إلى تفسير مطبوع باسم "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" .

وفي بادرة نوعية تختم بلاد زواوة في العصر الحاضر حركة التفسير الجزائري بمشاركة أحد أعلام وعلماء تيزي وزو " الشيخ سي حاج محند الطيب " المولود سنة 1353ه، وهو حاصل على ليسانس آداب من جامعة الجزائر، وقد عمل أستاذا في الثانوية، ثم مفتشا في التعليم المتوسط حتى سن التقاعد، حيث كلل ترجمته لمعاني القرآن للأمازيغية بتفسير باللغة الأمازيغية مكتوبا بالخط العربي .

عرفت وتيرة نشاط حركة التفسير في الجزائر تذبذبا ما بين القرون تصاعدا ونزولا ، حيث كانت الانطلاقة بمفسرين في القرن الثاني، وبلغ النشاط التفسيري أوجه في القرن التاسع الهجري بثلاثة عشر مفسرا، وشهد نشاطا معتبرا في القرن الرابع عشر هجري، في حين غاب النشاط تماما في القرن الخامس الهجري، وسجلت القرون الأخرى ما بين واحد إلى ستة من المفسرين.



رابعا: التفاعل المعرفي بين مفسري الجزائر

شهدت الفترة الزمنية التي حكمت فيها الدولة الزيانية المغرب الأوسط نشاطا علميا كبيرا في حاضرتها تلمسان، فساهم علماؤها في وأعلامها في إثراء مختلف المعارف والعلوم تدريسا وتصنيفا، وصارت قبلة للوافدين، وقد تناقلت هذه المعارف من خلال اللقاءات العلمية وحلقات التتلمذ على يد المشايخ جيلا بعد جيل .

شجرة التفاعل المعرفي بين مفسري الجزائر في عهد الدولة الزيانية

شجرة التفاعل المعرفي بين مفسري الجزائر في عهد الدولة الزيانية

....

شهد أيضا القرنان الحادي العشر والثاني عشر حلقات من التفاعل المعرفي بين مفسري الجزائر من خلال تتلمذ بعضهم على بعض، سواء بالرحلة في طلب العلم أو توافد بعضهم على الجزائر، لاسيما على عاصمة البلاد خلال الفترة العثمانية .

شجرة التفاعل المعرفي بين مفسري القرنين الحادي والثاني عشر

ساهمت أيضا في حلقة التفاعل المعرفي بين مفسري الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست بمساهمة ثلة من رواد الإصلاح الذين كان لهم أيضا نشاط معتبر في حركة التفسير، على رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس الذي فسّر القرآن الكريم درسا زهاء ربع قرن في الجامع الأخضر بقسنطينة، ورفيقه محمد البشير الإبراهيمي الذي درّس التفسير في دار الحديث بتلمسان، وإبراهيم بيوض أحد المساهمين في تأسيس الجمعية، وقد فسّر القرآن درسا زهاء خمسين سنة في المسجد الكبير بالقرارة، تلاهم أعلام عايشوا الاحتلال والاستقلال، وقد تتلمذوا في مدارس ومعاهد الجمعية، وقد كان التفسير على رأس المواد المدرسة في برنامجها التعليمي، ومن المفسرين الجزائريين الذي تلقوا تعليمهم الأول في مدارس ومعاهد الجمعية أثناء الاحتلال سي حاج محند الطيب والتواتي بن التواتي، وآخرون حملوا فكرها وواصلوا عهدها في مرحلة البناء المستمر بعد استقلال الجزائر، ومن أعلام الجزائر المعاصرين المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين ممن ساهم في حركة التفسير في الجزائر نائبُ رئيس الجمعية اليوم عمار الطالبي .

خامسا: حركة التفسير في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

....

سادسا: تصنيف المفسرين الجزائريين بحسب جهودهم في التفسير

تنوعت جهود العلماء الجزائريين في خدمة تفسير القرآن الكريم وعلومه، فمنهم من وجّه جهده إلى التصنيف والتأليف، ومنهم من اعتنى بتدريسه في حلقات العلم ومجالس الذكر، ومنهم من جمع بين التدريس والتصنيف، وهناك ثلة أخرى كانت لهم مشاركة في التفسير إما تحقيقا ونشرا، وإما كانت لهم مشاركة فيه أو وصفوا بأنهم مفسرون ولم تبين مصادر تراجمهم كيف خدموا التفسير، وقد يكونوا ممن درسوا التفسير، أو عرف عنهم التدريس عموما، ولكن المعول عليهم في هذا التصنيف هو ما نصت التراجم صراحة بأنهم درسوا التفسير أو صنفوا فيه أو جمعوا بين الأمرين، وعموما فإن التصنيف قد استحوذ على القدر الأكبر من جهود الجزائريين في خدمة

التفسير، وحلَّ ثانيا الجمع بين التصنيف والتدريس، تلاهم في المرتبة تلك الثلة التي كانت لهم مشاركة في التفسير وفق ما ذكرنا سابقا، وحلَّ التدريس في آخر الترتيب.

1ـ المصنفون

إبراهيم بن فائد الزواوي، أبو الحسن بن عمر القلعي، أحمد بن علي الباغاني، أحمد بن علي البوني، أحمد بن قاسم البوني، أحمد بن محمد البسيلي، أحمد بن محمد ابن زاغو، أحمد بن محمد المقري، أحمد بن مصطفى المستغانمي، أحمد بن نصر الداودي، الحسن بن علي المسيلي، الحسين بن محمد العنابي، سعيد بن محمد التجيبي، سليمان بن علي الكومي، سي حاج محند الطيب، عبد الرحمان بن رستم، عبد الرحمان بن محمد التلمساني، عبد الرحمان بن محمد الثعالبي، عبد الرحيم بن علي البوني، عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، عثمان بن سعيد المستغانمي، علي بن عبد الله بن ناشر الوهراني، علي بن عبد الواحد السجلماسي، علي بن محمد الجمالي، علي بن موسى المطغري، عمر راسم البجائي، قاسم بن سعيد العقباني، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان التلمساني، محمد بن أحمد الراشدي، محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد، محمد بن عبد الرحمان بن أبي العيش، محمد بن عبد الكريم المغيلي، محمد بن علي السنوسي الخطابي، محمد بن عيسى الجزائري، محمد بن قاسم التلمساني، محمد بن محمد الحسني البليدي، محمد بن محمد القرشي المقري، محمد بن يوسف أطفيش، هود بن محكم الهواري، يحيى بن محمد بن موسى التجيبي، يوسف بن إبراهيم الورجلاني، يوسف بن عدون بن حمو .

2ـ مفسرون جمعوا بين التصنيف والتدريس

الأخضر بن قويدر الدهمة، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، التواتي بن التواتي، صالح بن عمر بن داود ، عبد الحميد بن باديس، محمد بن يوسف السنوسي، يحيى بن محمد الشاوي.

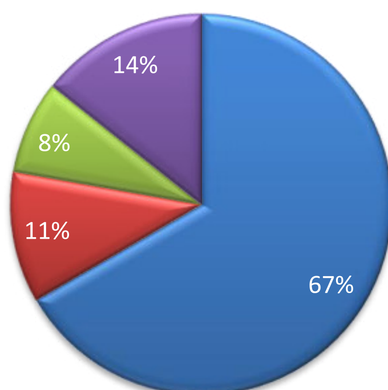
3ـ المدرسون

إبراهيم بن عمر بيّوض، أحمد بن محمد بن المختار التجاني، محمد بن أحمد المعروف بالشريف التلمساني، محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن مصطفى بن باكير بن الخوجة

أعلام لهم مشاركة في التفسير أو وصفوا بأنهم مفسرون

إبراهيم بن محمد أطَّفيِّش، أحمد بن العباس النقاوسي، أحمد بن محمد بن زكري ، عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي، عمار الطالبي، محمد بن أحمد بن مرزوق الجد، محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني، محمد بن أبي القاسم بن رجيح الهاملي، محمد بن محمد المشذالي.

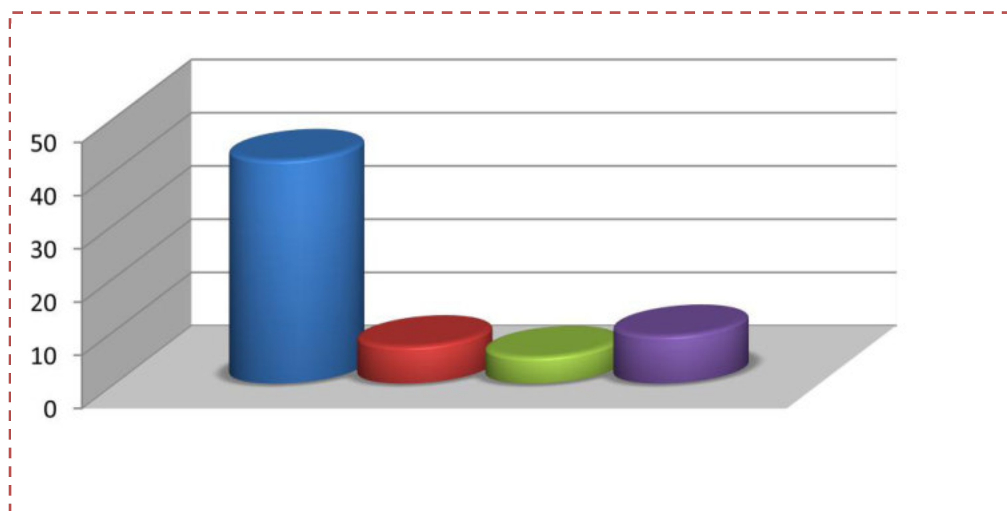
التوزيع النسبي للمفسرين الجزائريين بحسب جهودهم



بلغ عدد المفسرين الجزائريين الذي صنفوا في التفسير وعلومه المختلفة اثنان وأربعون مفسرا، أي بنسبة (67٪) من أصل ثلاثة وستين مفسرا شملتهم القائمة المحصاة في هذا الأطلس، وعدد المدرسين خمسة، أي بنسبة (8٪)، وعدد من جمع بين التدريس والتصنيف سبعة، أي بنسبة (11٪)،

والبقية أعلام كانت لهم مشاركة ما في التفسير، أو وصفوا بأنهم مفسرون ولم تذكر تراجمهم طبيعة خدمتهم للتفسير، وعددهم تسعة، أي بنسبة (14٪) من مجموع عدد المفسرين.

التوزيع العددي للمفسرين الجزائريين بحسب جهودهم



المفسرون المصنفون

مفسرون جمعوا

بين التصنيف والتدريس

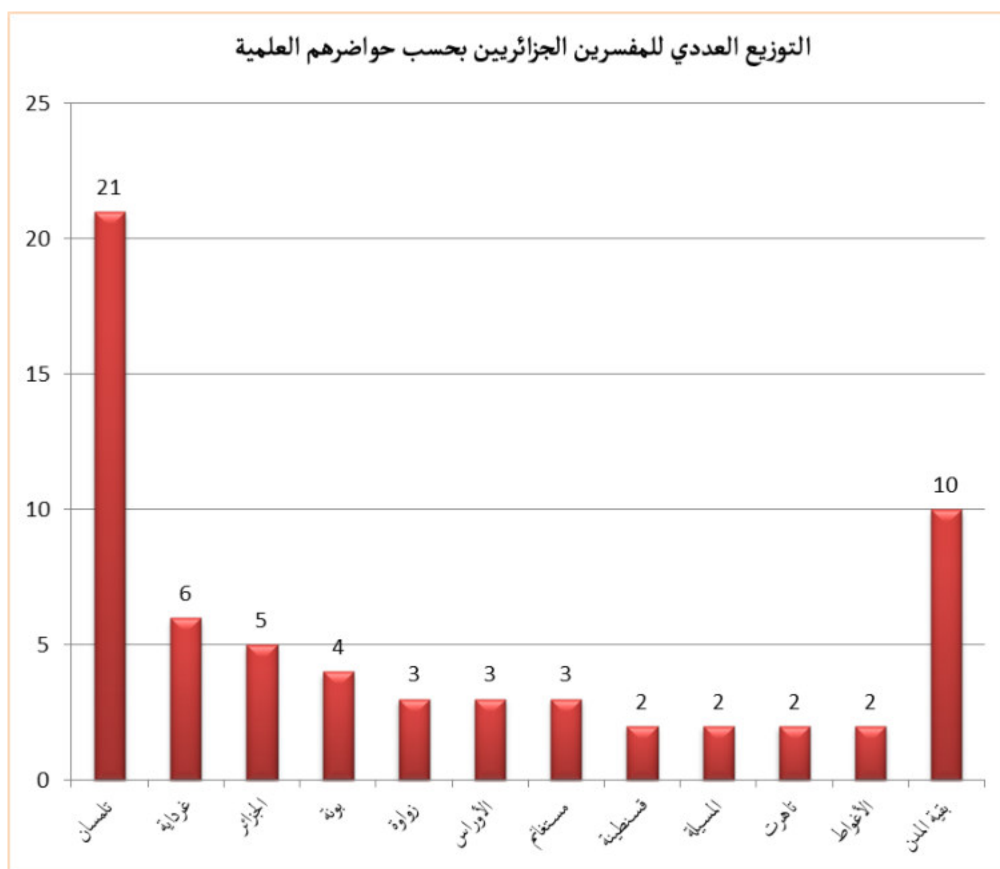
المفسرون المدرسون

أعلام لهم مشاركة

في التفسير أو وصفوا بأنهم مفسرون

سابعا: تصنيف المفسرين الجزائريين بحسب حواضرهم العلمية

حظيت حاضرة تلمسان بمرتبة الفضل في عدد المفسرين الذين ولدوا أو نشئوا أو وفدوا إليها، لاسيما في عهد الدولة الزيانية التي اتخذت تلمسان عاصمة لها، وكان لغرداية ولمدينة الجزائر في عهد الدولة العثمانية ولبونة مشاركة قوية في حركة التفسير الجزائري، تلتهم كل من زواوة والأوراس ومستغانم، وبعدهم كل من قسنطينة والمسيلة وتيهرت والأغواط، وشاركت مدن جزائرية أخرى بمفسر واحد لكل مدينة، وهي : بسكرة، البليدة، تيزي وزو، الجلفة، سطيف، مليانة، معسكر، ميلة، ورقلة، وهران، والحقيقة أن هناك صعوبة فائقة في تصنيف المفسرين بحسب حواضرهم العلمية، فمنهم من نسب باعتبار أصله، ومنهم من نسب باعتبار مولده ونشأته، ومنهم من نسب باعتبار مقامه واستقراره، وقد كان كثير من هؤلاء المفسرين يتنقلون في طلب العلم بين حواضر المغرب الأوسط وحواضر المغرب الكبير وغيرها من المدن الإسلامية، فينسبون إليها لوفودهم عليها واستفادتهم وإفادتهم فيها، وعليه فإن تصنيف المفسرين الجزائريين بحسب حواضرهم العلمية نسبي وتقديري ولا يقوم على أسس دقيقة تتوافق فيها المعطيات في جميع الأحوال.


التوزيع العددي للمفسرين الجزائريين بحسب حواضرهم العلمية
25
20
15
10
5
0
21
6
5
4
3
3
3
2
2
2
2
10
تلمسان
غرداية
الجزائر
بونة
زواوة
الأوراس
مستغانم
قسنطينة
المسيلة
تاهرت
الأغواط
بقية المدن


التوزيع النسبي للمفسرين الجزائريين بحسب حواضرهم العلمية
33%
10%
8%
6%
5%
5%
5%
3%
3%
3%
3%
16%
تلمسان
غرداية
الجزائر
بونة
زواوة
الأوراس
مستغانم
قسنطينة
المسيلة
تاهرت
الأغواط
بقية المدن

ثامنا: آثار أعلام الجزائر في تفسير القرآن الكريم وعلومه

خلّف المفسرون الجزائريون الذين صنفوا في التفسير آثارا علمية متنوعة من حيث مضمونها وأسلوبها، لكن مع الأسف فإن معظم هذه قد التفاسير غاب أثرها لفقد أصولها، أو ربما لم تر النور بعد لعدم إخراجها من خزائن المخطوط إلى دور الطباعة والنشر والتحقيق، أو لم تفهرس بعد في كشافات المخطوطات .

1ـ التفاسير المحفوظة

المفسر	عنوان الكتاب	معلومات حوله
هود بن المحكم	تفسير كتاب الله العزيز	نشرته دار الغرب الإسلامي بتحقيق بالحاج بن سعيد شريفي سنة 1990م، بعد أن ظل مغمورا منسيا ما يزيد على أحد عشر قرنا من تصنيفه، وقد وفِّق محققه إلى مخطوطات متفرقة في بعض الخزائن الخاصة في مدن وادي ميزاب جنوب الجزائر، وفي جزيرة جربة التونسية.
عبد الرحيم بن علي البوني	ــ منافع القرآن ــ سر المكتوم من العلم المكنون وخواص القرآن	توجد نسخة من مخطوطيهما في مكتبة كتبخانة التركية (انظر ترجمة المفسر في هذا الأطلس).
أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي	ــ التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد ــ نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد	ــ نشره عبد الله بن مطلق الطوالة في إطار مشروعه لنيل الدكتوراه من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، وقد صدرت طبعته الأولى سنة 1412ه في مجلدين . ــ اختصره من تقييده الكبير عن شيخه ابن عرفة وزاد عليه، وقد نشر في المغرب بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 1429ه في ثلاثة أجزاء، بتحقيق محمد الطبراني وطبع مطبعة النجاح

		الجديدة بالدار البيضاء .
محمد بن مرزوق الحفيد	اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة	ـ هو ليس تفسير خالص، وإنما هو أجوبة على أسئلة وردت عليه من عالم قفصة أبي يحيى بن عقيبة في فنون العلم، وقد أدرجته هنا لما قال صاحب نيل الابتهاج (1/ 507) : "وهو أجوبة على مسائل في الفقه **والتفسير**"، توجد نسخة من مخطوطه في الإسكوريال بإسبانيا رقم 503.
أحمد بن زاغو	اختتام التفسير	توجد نسخة منه بالإسكوريال (الفهرس الشامل 1/ 461) .
عبد الرحمان الثعالبي	ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ـــ معجم في شرح الألفاظ الغريبة ـــ الذهب الإبرير في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز ـــ نفائس المرجان في قصص القرآن	ـ طبع أكثر من مرة، أولها طبعة قديمة دون تحقيق في المطبعة الثعالبية سنة 1327ه، وله طبعة أخرى قديمة نشرها محمد بن مصطفى بن الخوجة بالجزائر بعد مقابلتها على سبع نسخ سنة 1328ه، ثم نشرته المؤسسة الوطنية للكتابفي أربعة أجزاء سنة 1406ه بتحقيق عمار الطالبي، والمكتبة العصرية ببيروت بتحقيق محمد الفاضلي سنة 1417ه، ودار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ببيروت سنة 1418ه في خمس مجلدات بتحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة . ـــ طبع ذيلا على تفسير الجواهر الحسان . ـــ طبعته دار بن مرابط بالجزائر سنة 2014م بتحقيق عبد الحميد حاجيات باسم الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز، ولكن مضمونه هو نفسه مضمون معجم شرح الألفاظ الغريبة الذي طبع مع التفسير، والأصل أنهما كتابان مستقلان، ثم طبع بالعنوان المثبت في الخانة بتحقيق محمد شايب شريف وأبي بكر بلقاسم ضيف في دار الكتب العلمية ببيروت سنة 2018م . ـــ توجد نسخة منه في المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة تونس .
محمد بن يوسف	تفسير سورة الفاتحة	وقد وصله بالآيات الأولى من البقرة إلى قوله تعالى﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة5]، توجد نسخ منه بالخزانة الحسينية،

السنوسي		وبالفاتيكان، وخزانة تطوان، والخزانة العامة بالرباط، والإسكوريال (الفهرس الشامل 1/ 508) .
محمد بن عبد الكريم المغيلي	تفسير الفاتحة	طبع بالجزائر سنة 2013م من طرف مؤسسة البلاغ بتحقيق علال بوربيق .
أحمد بن محمد المقري	توجيه القرآن	توجد نسخة منه بالمكتبة الأزهرية (الفهرس الشامل 2/ 684) .
يحيى بن محمد الشاوي	المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري	هي عبارة عن تعليقات ليحيى الشاوي على اعتراضات ابن حيان في تفسيره على ابن عطية والزمخشري في تفسيريهما، طبعته دار الكتب العلمية سنة 1430 هفي مجلدين بتحقيق محمد السيد عثمان
أحمد بن قاسم البوني	خواص البسملة	توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية (الفهرس الشامل 2/ 754).
محمد بن محمد الحسني البليدي	حاشية على تفسير البيضاوي	في ثلاث مجلدات، توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية (الفهرس الشامل 2/ 770) .
علي بن محمد الجمالي الميلي	تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾	توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية (الفهرس الشامل 2/ 806).
محمد بن عيسى الجزائري	ــ الثريا لمن كان بعجائب القرآن حفيا ــ الماس في احتباك يعجز الجنة والناس	ـــ طبعت هذه الرسالة في حياته في تونس سنة 1306ه. ـــ وهي رسالة في تفسير الآية 33 من سورة النور﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقد طبعت في حياته سنة 1307ه.
محمد بن يوسف أطفيش الوهبي	ـ هميان الزاد إلى دار المعاد	ــ له طبعة قديمة في المطبعة السلطانية بزنجبار صدرت في عهد المصنف تباعامنذ 1305ه، ثم طبع مرة أخرى بإشراف وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ابتداء من سنة 1408هـ في

	ـ تيسير التفسير -داعي العمل ليوم الأمل	ثلاثة عشر مجلد . ــ هو مختصر هميان الزياد، طبع قديما سنة 1326ه بالجزائر في سبع مجلدات، ثم طبعته مطبعة البابي الحلبي بمصر في أربعة عشر جزء بإشراف وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ثم أعادت نشره محققا في سبع عشر جزء بتحقيق إبراهيم طلاي . ـــ تفسير واسع من سورة الرحمان إلى سورة الناس ولم يكمل ، حيث توقف في سورة المزمل، توجد نسخة من مخطوطه في مكتبة القطب، وأخرى في مكتبة الشيخ حمو بابا وموسى بغرداية .
أحمد بن مصطفى العلاوي	ـــ لباب العلم في تفسير سورة ﴿والنجم﴾ ـــ مفتاح علوم السر في تفسير سورة ﴿والعصر﴾	ـــ تفسير بالإشارة، وقد تم طبعه في المكتبة العلاوية بمستغانم . ـــ تفسير بالإشارة، وقد تم طبعه في المكتبة العلاوية بمستغانم .
عبد الحميد بن باديس	مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير	نشره أحمد بوشمال مقتصرا من تلك المجالس على آيات مختارة من سورة الفرقان، وقد طبع في المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة 1367ه، ثم نشر ثانية بجهد الأستاذين محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين الذين جردا المجالس من مجلة الشهاب، ولم يفتهما منها إلا القليل، وقد طبعت هذه النسخة مطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة 1384ه ونشرتها دار الكتاب الجزائري، ثم نشرت ضمن آثار ابن باديس التي جمعها عمار طالبي، وقد صدرت طبعتها الأولى سنة 1388ه، ثم طبعته دار البعث بقسنطينة سنة 1403ه بإشراف وزارة الشؤون الدينية، ثم نشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1416ه مصورة عن النسخة الثانية، ثم نشر محققا بعناية أبي عبد الرحمان محمود سنة 1430ه من طرف دار الرشيد بالجزائر .
إبراهيم بيوض	في رحاب القرآن	هو في الأصل عبارة عن سلسلة من الدروس التفسيرية الشفوية

		المسجلة من الآية سبعين من سورة الإسراء إلى آخر القرآن في نحو 1500 ساعة، قام تلميذه "عيسى بن محمد الشيخ بالحاج " بإفراغها وتحريرها في تفسير مطبوع، أصدرت جمعية التراث بالقرارة منه أربعة عشر جزء إلى حد الآن، ضم الجزء الرابع عشر تفسير يس والصافات .
أبو بكر الجزائري	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير	تفسير كامل سهل ميسر للقرآن الكريم، طبع الجزء الأول منه الذي يضم تفسير ثلث القرآن سنة 1406ه، ثم طبع كاملا في العام الذي بعده في خمس مجلدات، وفي طبعته الثالثة 1410ه ألحق به هامشا ضمنه إضافات لغوية وبيانية وتعليقات جانبية وتصويبات وتوضيحات وغيرها، وسماه "هامش نهر الخير على أيسر التفاسير"، وقد طبعته راسم للدعاية والإعلان بجدة .
الأخضر بن قويدر الدهمة	قطوف دانية من سور قرآنية	تفسير لسورة الفاتحة وبعض قصار المفصل، طبعته مطبعة مداد بغرداية في جزأين سنة 1431ه ــ 2010م .
التواتي بن التواتي	الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين	تفسير كامل للقرآن طبعته دار الحكمة والنشر بالجزائر في عشرين مجلدا سنة 2016م .
سي حاج محند الطيب	التفسير الميسر لكلام الله الموقر	تفسير مبسط بالأمازيغية مكتوب بالخط العربي، صدرت أول طبعة منه سنة 2019م ووزعت نسخها مجانا برعاية الجمعية الوطنية للتنمية المحلية المستدامة "نماء"، وطباعة دار النشر "ديوان" بروبية، وتصفيف دار الأمل بتيزي وزو .

2ـ التفاسير المفقودة أو ما في حكمها

التفسير	عنوانه	معلومات حوله
عبد الرحمان بن رستم	تفسير القرآن	قال بالحاج بن سعيد شريفي محقق تفسير هود بن محكم الهواري (الهامش1/ 85) : ((إننا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري إلا تفسيرا نسب إلى الإمام عبد الرحمان بن رستم، وآخر إلى الإمام عبد الوهاب، وليس ببعيد أن يكون الهواري اطلع

		عليهما، وليس بين أيدينا الآن فيما بحثت وعلمت شيء من تفسيريهما حتى نتمكن من المقارنة بين هذه التفاسير .
عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم	تفسير القرآن	راجع الكلام السابق للدكتور بالحاج شريفي .
أحمد بن علي الباغاني	أحكام القرآن	/
أحمد بن نصر الداودي	تفسير القرآن	نقل عنه عبد الرحمان الثعالبي عددا معتبرا من النصوص في الجواهر الحسان، وقال في موضع منه (1/ 430) : "ومهما ذكرتُ الداودي في هذا المختصر فإنما أريد أحمد بن نصر الفقيه المالكي، ومن تفسيره أنقل" .
يوسف بن إبراهيم الورجلاني	تفسير القرآن	فيه سبعون جزءا، قال البرادي :"حررت أنه يجاوز سبعمائة ورقة أو أقل أو أكثر، فيه تفسيرالكتاب والبقرة وآل عمران..، فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدر في لغة وإعراب، أو حكم مبين، أو قراءة ظاهرة، و لا شاذة، أو ناسخ، جميع العلوم منه ...))، معجم المفسرين (2/ 809) .
الحسن بن علي المسيلي	التفكر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات	/
عليين عبد الله بن ناشر الوهراني	تفسير القرآن	/
أحمد بن علي بن يوسف البوني	ــ تحفة الأحباب ومنية الأنجاب في أسرار بسم الله وفاتحة	/

	الكتاب . ـ فتح الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب . ـخصائص سر الكريم في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم	/ /
يحيى بن محمد بن موسى	تفسير القرآن	/
سليمان بن علي الكومي التلمساني	تفسير سورة الفاتحة	/
محمد بن أحمد المقري	الجامع لأحكام القرآن	/
سعيد بن محمد العقباني	ـ تفسير سورة الأنعام ـ تفسير سورة الفتح	/ ـ قال الداوودي في طبقات المفسرين (1/ 190): "أتى فيه بفوائد جليلة ".
عبد الرحمان بن الشريف التلمساني	تفسير سورة الفتح	قال مخلوف في شجرة النور الزكية (1/ 362) : "على غاية من التحقيق".
محمد بن مرزوق الحفيد	ـ البرق اليمانية في الأسرار القرآنية ـ تقييد على سور	ـ قال الأدنه وي في طبقات المفسرين (ص442) : "هو كتاب في خواص القرآن العظيم وبيان أسراره وكيفية الوصول إليها". ـ ذكره أبو جعفر البلوي في ثبته (ص294)، وورد في نسخة خطية لكتاب "المناقب المرزوقية" لابن مرزوق الحفيد ملحق بعناوين

	من الكتاب العزيز ـ جزء في الكلام على ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾	مؤلفات ابن مرزوق الجد وابن مرزوق الحفيد، قال ناسخها ـــ وهو عبيد أحمد بن الرحمان التجاني ـــ : "التفسير، رأيت منه تفسير المائدة ومريم، ما صنف مثله " (المناقب المرزوقية ص 315) ـ ذكره البلوي في ثبته (ص 294)، وقال ابن مريم المديوني: "تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء" (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص 211)
أبو الفضل التلمساني	أبحاث في التفسير	قال أبو العباس التكروري في نيل الابتهاج (ص 522): "له كلام وأبحاث في التفسير تكلم فيها من الإمام المقري في مسائله التفسيرية، مفيدة ، كتبتها في غير هذا الموضع مع ما كتبت من فوائده التفسيرية.
أحمد ابن زاغو التلمساني	تفسير الفاتحة	قال أبو العباس التكروري في نيل الابتهاج (ص 119) : "إنه في غاية الحسن كثير الفوائد ".
إبراهيم بن فائد الزواوي	تفسير القرآن	/
عبد الرحمان الثعالبي	تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن	/
محمد بن قاسم الرصاع	ـــ تفسير القرآن ـــ الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب	ـــ قال السخاوي في الضوء اللامع (8/ 287) : "بدأه ولم يتمه ". ـــ رتب فيه آي مغني اللبيب على السور، ثم فسرها (معجم المفسرين 2/ 606)
محمد بن يوسف	ـــ تفسيرسورة ص وما بعدها	/ /

السنوسي	ــ مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف	
محمد بن عبد الكريم المغيلي	البدر المنير في علوم التفسير	/
محمد بن أبي العيش	تفسير القرآن	/
علي بن موسى المطغري	تفسير القرآن	/
أحمد بن محمد المقري	إعراب القرآن	/
علي بن عبد الواحد السجلماسي	ــ تفسير القرآن ــ شرح منظومة في التفسير	ــ قال مخلوف في شجرة النور الزكية (1/ 446) : "منها تفسير بلغ فيه: ﴿وَلَكِنَ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾"[البقرة 189] /
أحمد بن قاسم البوني	ــ إتحاف الأقران ببعض مسائل الأقران ــ تحفة الأريب بأشرف الغريب	/ ــ اختصر فيه غريب القرآن للعزيزي كما جاء في معجم المفسرين (2/ 762)
الحسين ابن العنابي	تفسير القرآن	/
أبو الحسن القلعي	خواص سورة يس	/
محمد بن علي	ــ شرح البسملة	/

السنوسي الخطابي	ـــ نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن	/
عثمان بن سعيد المستغانمي	تفسير القرآن	تذكر تراجمه أن له تفسير القرآن كبير وصغير، فهما إذا تفسيران (معجم المفسرين 2/ 786).
يوسف بن عدون بن حمو	حاشية على تفسير البيضاوي	/
محمد بن أحمد الراشدي المعسكري	تفسير القرآن	/
صالح بن عمر بن داود	القول الوجيز في كلام الله العزيز	لم يكمله (نهضة الجزائر الحديثة 2/ 144)

قائمة المصادر والمراجع:

تنقسم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إعداد هذا الأطلس إلى ثلاثة أنواع : مصادر ومراجع في التعريف بالمفسرين ومعرفة تفاسيرهم، في التعريف ببيئة المفسرين، والتفاسير الجزائرية المطبوعة .

أولا : في التعريف بالمفسرين ومعرفة تفاسيرهم :

1. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م .

2. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1995م) .

3. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط 1 (1426ه) .

4. ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، أبو جعفر البلوي، تحقيق : عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1403هـ ــ 1983م) .

5. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، تعليق : عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1(1424هـ ــ 2003م).

6. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1 (1417هـ ــ 1997م).

7. طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1403هـ ــ 1983م) .

8. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن ـ مخطوطات التفسير وعلومه)، مؤسسة آل البيت، عمان، 1989م .

9. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العاصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط 2 (1400هـ ـ 1980م) .

10. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العاصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط 3 (1409هـ ــ 1988م) .

11. المناقب المرزوقية، محمد بن مرزوق التلمساني، تحقيق : سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية، ط1 (1429هـ ــ 2008م) .

12. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التكروري، عناية وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، ط2 (2000م) .

ثانيا : في التعريف ببيئة المفسرين :

1. بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، عبد العزيز فيلالي، دار الهدى، الجزائر، 2014م.

2. تاريخ أفريقيا العام (أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، ج . ت، نياني، منشورات اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام التابعة لليونسكو، 1988م .

3. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1998م) .

4. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2(1384هـ ـ 1965م).

5. تاريخ بجاية، محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، دار الفاروق، الجزائر، ط1(1436هـ ـ 2015م).

6. تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، يحيى بوعزيز، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، 2011م الخلافة الفاطمية بالمغرب، فرحات الدشراوي، ترجمة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1994م) .

7. الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، محمود إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة، الدار البيضاء بالمغرب، ط2(1406هـ ــ 1985م) .

8. الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، محمد عيسى الحريري، دار القلم، الكويت، ط3(1408هـ ــ 1987م) .

9. السلطنة الحفصية، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ ـ 1986م .

10. صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، نور الدين عبد القادر، دار الحضارة، الجزائر، 2006م .

11. مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، العربي ايشبودان، ترجمة جناح مسعود، دار القصبة، الجزائر 2007م .

12. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية،ط1 (1385هـ ـــ 1965 م).

ثالثا : التفاسير الجزائرية المطبوعة :

1. معلومات هذه التفاسير مثبتة في جدول التفاسير المحفوظة ضمن مبحث آثار أعلام الجزائر في التفسير وعلومه .

المحور الثالث:

مناهج البحث اللغوي والبياني عند المفسرين (تدريسا وتأليفا)

منهج البحث اللغوي عند المفسرين

أ.د. حمو عبد الكريم ، المركز الوطني للبحث في
الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران الجزائر

مقدمة:

إنَّ إبراز منهج اللغة في التفسير القرآني والبحث في مشاغل المفسرين اللغويين أمثال الطبري(ت:310 هـ) والزمخشري(ت 538هـ) وابن عطية(541هـ) والقرطبي وأبوحيان (ت:745 هـ)... وغيرهم لأمر جدير بالاهتمام والملاحظة، فما قدموه من جهد فكري في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية لا ينكره أحد، فغايتهم ترشيد الناس إلى هذا الكتاب العزيز وإبراز أسرار إعجازه وعظيم بيانه ومعانيه.

وإنَّ علماء التفسير والمشتغلين على القرآن الكريم يرون أنَّ وجه الإعجاز القرآني كائن في رسمه وأسلوبه، وفي «طرائق نظمه ووجوه تراكيبه، ونسق حروفه في كلماته وفي جمله، ونسق هذه الجمل هو وجه الكمال اللغوي»[1].

وقد شكلت مباحثهم منطلق جديد في الدراسات اللغوية فتناولوا الحروف وتآلفها، والمفردة القرآنية ودقة اختيارها واستقرارها في موضعها من النظم القرآني، والفاصلة، والمقابلة، والتكرار، والقصة، والمثل القرآني، والمباحث التي شكلت فيما بعد علم البلاغة، كالمعاني النحوية والتشبيه

[1] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، القاهرة، ط3، 1928، ص 214.

والاستعارة والكناية وغيرها؛ وبالتالي أصبح للدراسات القرآنية مناهج تقوم عليها وبالأخص المنهج اللغوي الذي لا يستغني عليه دارس القرآنيات. والسؤال الذي يطرح في هذا المقام هو كيف وظف أهل التفسير اللغة كمنهج بحث في التفسير القرآني؟

أولا: اللغة منهج ونظام

ومن هنا فاللغة العربية كغيرها من اللغات يتحكم فيها منهج علمي قويم، «وقد أصبحت دراسة اللغة "عِلْمًا" من العلوم، له ما لأي علم مستقل موضوعه ومنهاجه ووسائله»[2]. وتكاد تجمع التعريفات الحديثة على أنَّ اللغة نظام، ولكل نظام لغوي عناصره الأساسية المكونة له بصورة عملية؛ إذْ لا بد لكل عنصر لغوي من صورة مادية تمثله، كما أنَّ له قيمة ودوراً معيناً، فاللغة «نظام يتألف من علامات أو وحدات لغوية ومتواليات صورية قائمة على أسس صوتية وصرفية ونحوية معينة»[3].

فاللغة تسير وفقاً لأصول محددة، نظام متفاعل الأجزاء يتبادل كل نظام فرعي ضمنه التأثير والتأثر مع الأنظمة الأخرى التي تشكل في مجموعها نظام اللغة المتكامل، والمتكلم بأي لسان كالعربية يصدر سلسلة من الأصوات المتتابعة، إذ أنَّ الصوت الإنساني هو مادة الكلام أو هو المظهر المادي للغة، وهذه الأصوات تتقاطع أو تتابع وفق نظام معين يهدف إلى دلالة يقصدها المتكلم، ولا تتحقق هذه الدلالة إلا إذا تآلفت الأصوات المنطوقة التي نصوّرها كتابة بالحروف، وكونت مقاطع، ومن المقاطع تتكون أبنية أو صيغ نسميها كلمات ترتبط هي الأخرى في علاقات تركيبية ودلالية نسميها جملاً، وهذا هو تسلسل النظام اللغوي بمستوياته المختلفة.

ويقول عبد العزيز مطر: «علم اللغة هو العلم الذي يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها: الصوتية

---

[2]– علم اللغة، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ، ص11.

[3]– منطق اللغة، ياسين خليل، جامعة بغداد، 1963، بدون تاريخ، ص 18.

والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض وتربطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع وبالبيئة الجغرافية»[4].

والحق أنَّ هذه المستويات تمثل وحدة متكاملة ولحمة مترابطة، تجمع بينها علاقة عضوية، فتتلاحم وتنصهر لتصب في بوتقة النظام اللغوي للعربية وتظهر خصائصه وميزاته. وهذه المستويات ـ كما نرى تشمل علوم اللغة العربية جميعها، فإنَّ« في القرآن نظاماً محكماً شديد الصرامة، منتشراً في جميع أجزائه، بحيث أنَّ اللفظ – مفردة كان أو حرفاً- والترتيب والتسلسل المعيَّن للألفاظ في كل تركيب هو جزء من هذا النظام، والخطأ في تصوّر شيء منه في أي موضع يؤدي إلى الخطأ في تصور فروع كثيرة متصلة بذلك الموضع»[5].

فاللغة متعدد الأنظمة؛ لها نظامها الصوتي، بحيث لا يتعارض فيه صوت مع آخر، ولها نظامها التشكيلي وفق ضوابط في الصيغ المختلفة، ولها نظامها النحوي بحيث لا يصطدم فيه باب مع آخر، ولها نظامها المعجمي في تنويع المعنى وتوليده، ولها نظامها البلاغي بحيث يراعى فيه صورة اللفظ وتأدية المعنى. فهي منظومة من النظم، ويؤدي كل نظام منها وظيفته بالتعاون مع النظم الأخرى.

ولقد دعت الحاجة إلى تفسير القرآن تفسيراً لغوياً يزيل الابهام، وكثرت الحاجة إلى معرفة مفردات القرآن ومعانيه، والتفت العرب إلى ديوانهم الشعري لما يحويه من صيغ وتراكيب واستعارة ومجاز، تساعد في استنباط ما يحتاجون إليه في فهم كتابهم العزيز.

وهكذا قام البحث اللغوي من قبل علماء اللغة ممّا أدّى إلى ابتعاث اللغة ودراستها دراسة وضحّت معاني مفرداتها، ومعالمها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والبيانية، وتعاقب على تلك الدراسة أجيال من الباحثين لجعل اللغة علماً منضبطاً يَسْهُل تعلُمها وتعلِيمها، يحقق علماؤها الهدف الذي قامت من أجله دراستهم تلك، وهو الحفاظ على (القرآن الكريم) من كل تشويه أو

[4]– علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح، عبد العزيز مطر، قطر، 1985، ص 102.

[5]– النظام القرآني، سبيط النيلي، مكتبة بلوتو، ط2، 2003، ص12.

لحن، وبقيت اللغة طوال هذه القرون خادمة للقرآن الكريم بعدما أكسبها التهذيب والفصاحة والديمومة.

فلغة القرآن الكريم هي النموذج الأمثل للضبط و للقياس اللغوي، ولم يكن انشغال اللغويين في بداية الأمر من أجل اللغة ذاتها، «بل كانت من أجل التفسير ومصدر الفتوى، ومن ثم كان من الضروري تحقيق أكبر قدر من الضبط والتحديد للدلالة اللغوية»[6].

وقد تطورت هذه الحركة العلمية اللغوية التي دارت على فهم رسالة القرآن الكريم، على يد علماء الدين الذين عكفوا على تلاوة القرآن وتدبر آياته آناء الليل وأطراف النهار، المهم عندهم تبليغ مقصود الآيات للناس أجمعين. و«لقد اتصل الدّين باللغة اتصالاً وثيقاً في العصور الإسلامية كلها، وكان الباعث على اهتمام علماء اللغة بجمع الشواهد اللغوية وتقعيد اللغة باعثاً دينياً، وهو ضبط نصوص القرآن الكريم وتعليم الطلاب لغة القرآن، وجرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية على المزج بين المعارف الدينية واللغوية، ومِنْ ثَمَّ كان اللغوي غالباً رجلَ دِيْنٍ، ولا ترى عالماً من علماء اللغة القدامى، إلاّ كان مُقْرِئاً أو مفسِّراً أو مُحَدِّثاً أو متكلِّماً أو فقيهاً»[7].

ولجهود علماء غريب القرآن الأثر البليغ في استقصاء اللفظ القرآني من مضانه الأولى، ولقد بدأت الدراسة في ميادين اللغة بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة، وتوضيح معانيها ومراميها وأساليبها، وتأييد ذلك التفسير والتوضيح بالشواهد من شعر العرب. «بل لقد كان هذا اللون من البحث الذي أقيمت عليه الدراسات اللغوية عندهم بصورة عامة، غداة شرعوا في التماس المعاني الدقيقة لما غَمض واشتبه عليهم من ألفاظ القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأفردوا لهذا

6- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، مطابع الوطن، الكويت، ط1، 2001، ص 228.

7- المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية، عبد المجيد عابدين، مطبعة الشبكشي، مصر، ط،1951، ص102.

الغرض الكتب المطولة التي ما زالت مراجع لا غنى عنه للاطمئنان إلى سلامة الدّلالة اللغوية وصحتها عند تحري الدّقة وصحة الاحتجاج في قضايا الغريب»[8].

ونجد أيضا طائفة كبيرة تناولت البحث في غريب القرآن أمثال: أبان بن تغلب(ت:141 ه) الذي قال فيه ياقوت الحموي(ت:622ه) «صنّف [أبان] كتاب الغريب في القرآن وذكر شواهده من الشعر»[9]، ثم تعاقبت كتب كثيرة في غريب القرآن ومن الذين ألفوا فيه يحيى بن المبارك(ت:202ه) والنضر بن شميل (ت:204ه)، وأبو عبيدة (ت:213ه)، والأخفش الأوسط (ت:215ه)، والقاسم بن سلام (ت:224ه)، وابن سلام الجمحي (ت:231ه)، وابن قتيبة (ت:276ه)، وثعلب (ت:291ه).

كذلك من الذين أُثِرَ عنه العمل في مجال تفسير القرآن الكريم الصحابي عبد الله بن عباس(ت:68ه) في كتابه (اللغات في القرآن). فإبان القرن الأول والثاني الهجري وجدنا أعمالاً غزيرة عالجت الألفاظ ودلالتها، ومنهم أيضا البلخي (ت:150ه) وهشام بن محمد الكلبي (ت:204ه)، والهيثم بن عدي (ت:209ه)، والفراء (ت:209ه) وأبو زيد الأنصاري (ت:215ه) وعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت:216 ه)[10].

ثانيا: مسائل اللغة في التفسير:

علم التفسير هو من أهم العلوم التي انصرفت إلى النظر في ألفاظ القرآن الكريم من جانب عنايته بالآيات وما يتعلق بها من معان وتأويلات، ويهمّنا في هذا المقام من اتخذ المنهج اللغوي

[8]– أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982، ص 315.

[9]– معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 1 / 38.

[10]– ينظر: الفهرست، ابن النديم، تحقيق، رضا تجدد، مطبعة مصر، 1971، ص 37/ 38، وينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، مطبعة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، 1/ 75.

بساطاً لتفسيره، وأول من قام بتفسير مفردات القرآن الغامضة تفسيراً لغوياً الصحابي عبد الله بن عباس، وكان يعتمد على الشعر القديم في تفسير عربية القرآن، وفي الإتقان روى أبو عبيدة أنَّ ابن عباس يقول: «إذا أُشكل عليكم الشيء في القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنَّه ديوان العرب»[11]، وكان يُسْأل عن القرآن فينشد الشعر[12]. وقد عدّت العلوم اللازمة للمفسر بخمسة عشر علماً، كانت منها ثمانية من علوم العربية، وهي: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات[13]. يقول محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ): «على المدقق أنْ يُفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أنْ يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأنْ يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ "الهداية" وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا أنَّ القرآن يفسر بعضه بعضاً»[14]، وبالتالي فالمرجع الأول في معرفة مدلول الآية هو القرآن الكريم، ثم السنة النبوية المطهرة.

ولقد كانت مباحث اللغة في القرآن الكريم مثار بحث وجدل بين المفسرين والنحويين والبلاغيين، ومن شواهد ذلك ما أورده أبو الخطاب عن أبي العالية، أنَّه سئل عن معنى "سَاهُوْن" في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[15]، فقال: «هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر. قال الحسن، مه يا أبا العالية! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: "عنْ صلاَتِهِمْ" فلمّا لمْ يتدبر أبو العالية حرف "فِيْ" و "عَنْ" تنبه له الحسن، إذْ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: "فِيْ صَلاَتِهم"، فلما قال: "عَنْ صَلاَتِهم" دل على أنَّ المراد به الذهاب عن الوقت. ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ

[11]- الإتقان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات الإسلامية، السعودية، 1/ 112.

[12]- ينظر: الفاضل في اللغة والأدب، العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، طبعة الهيئة المصرية للكتاب، 1975، ص10.

[13]- ينظر: الاتقان، السيوطي، 2/ 1209.

[14]- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، ط2، 1947، 1/ 21-22.

[15]- سورة الماعون، الآية: 5.

شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[16]، أنه من عَشَوت، أعشو عشواً: إذا نظرت، وغلطوه في ذلك، وإنما معناه: يعرض، وإنما غلطك لأنَّه لم يُفرق بين عشوتُ إلى الشيء، وعشوت عنه»[17].

وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[18]، حتى سمعت ابنة ذي يَزَن الحميري وهي تقول: أُفَاتِحُكَ، يعني أُقَاضِيْكَ، وفي قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[19]، يعني متى هذا القضاء[20].

أيضا من جملة العلوم التي يحتاجها المفسر في تبيان خواص اللفظ والمعنى، علم المعاني والبيان والبديع، ويعطي الزركشي الأهمية الكبرى لعلوم البلاغة فيقول:«واعلم أنَّ معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة»[21].

فالقرآن الكريم هو معجزة اللغة العربية الخالدة، وقد جاء بأفصح الكلم وأبلغ النظم، فكان لزاماً على المفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، واللف والنشر وغيرها من القضايا البلاغية التي تخدم النظم و تأليف الكلام.

---

[16]- سورة الزخرف، الآية: 36.

[17]- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، مصر، القاهرة، 1/ 294-295.

[18]- الأعراف، الآية: 89.

[19]- سورة السجدة، الآية: 28.

[20]- ينظر: البرهان، الزركشي، 1/ 298.

[21]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،1/ 312.

ففي باب الحقيقة والمجاز مثلاً يرفض الطبري حمل لفظة "المِيْزَان" على المجاز في قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[22]، فالطبري يرى الصواب من القول ما ذكره عمرو بن دينار من أنَّ ذلك هو "الميزان" المعروف الذي يوزن به، وأنَّ الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات[23]. وقد وردت روايات بأنَّ الوَزْن هو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، قال مجاهد: الميزان هو الحَسَنات والسّيئات بأعيانها، وعنه أيضاً والضحاك والاعمش: الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء[24].

أيضا ضمن منهج التفسير اللغوي اعتماد المفسرين على المرويات من رسول صلى الله عليه وسلم في تبيان دلالة الألفاظ وغريبها، فهاهو القرطبي(ت:671 هـ) يستشهد بالحديث النبوي الشريف في قوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[25]، فبين أنَّ البعولة جمع البعل ومعناه الزوج، فالرجل بعْل المرأة، والمرأة بعْلَته، وباعل مباعلة إذا باشرها، والبعال: الجماع[26]. ويستشهد بقول النبي عليه السلام: في أيام التشريق:« إِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَبِعَالٍ»[27].

---

[22]- سورة الأعراف، الآية:8.

[23]- ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة، ط1، 2001، 10/ 69.

[24]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، 1938، 7/ 185.

[25]- سورة البقرة، الآية: 228.

[26]- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، 3/ 128-129.

[27]- الحديثُ ليس متفقاً عليه بل تفرد به مسلمٌ عن البخاري. ينظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، يوسف المزي أبو الحجاج جمال الدين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، رقم:11587، 9/ 6.

كما نجد استقصاء لقضايا اللغة من مضانها الأولى كأن يَعْتمد المفسر إلى توسيع المعاني البلاغية والبيانية للآيات انطلاقاً من المعنى اللغوي، ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[28]، يقول الزمخشري: «والذي يصِحّ منه أنْ يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، ومنه قول الشاعر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ   وَالبَحْرُ دُوْنَكَ زِدْتَنِي نِعَمَا[29]

وسمعت سَرَوِرَّيةً مُستَجْدِيَة بمكة وقت الظهر حين يُغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم، تقول: "عُيَيْنَتي نُوَيْظِرَةٌ إلى الله وإِلَيكُم"؛ والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلاّ من ربهم»[30]. غير أنَّ للسمين الحلبي(ت: 756ه) رأياً مخالف لما قدمه الزمخشري من أنَّ "نَاظِرَة" بمعنى "مُنْتَظِرة"، وقال: « ودخول "إلى" مع النظر يدل على أنَّه نظر العين، وليس الانتظار، ولو كان من الانتظار لم تدخل معه "إلى"، فمن قال أنَّ "نَاظِرَة" بمعنى مُنتظرة فقد أخطأ في المعنى وفي الإعراب، ووضع الكلام في غير موضعه»[31].

إنَّ مثل هذا التحليل الذي يمارسه المفسرون في فهم السور والآيات يجعلنا نقول إنَّ اللغة تأخذ حيزاً كبيراً في تبيان المعنى المقصود، وأنَّ المنهج الغالب الذي اتُبع في التفسير هو المنهج اللغوي الذي لا مناص منه، ويبقى على المفسر إعمال عقله واجتهاده وفهمه في طرحه لقضايا اللغة على النحو الذي يرتضيه.

---

[28]- سورة القيامة، الآية: 22-23.

[29]-تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي.675/ 3

[30]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998، 6/ 270.

[31]- الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ، 10/ 577.

كما نجد مناقشات لغوية مختلفة في تفسير بعض الألفاظ القرآنية، وإختلافاتهم في هذا الباب كثيرة، من ذلك ما نجد في قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[32] حيث ذكر المبرد والطبري إلى أنَّ الحمد والشكر سواء. « فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل: الحمد لله شكراً.. لأنَّ الشُكر لو لم يكن بمعنى الحمْد، كان خطأ أنْ يُصدر من الحمد غيرُ معناه وغيرُ لفظه»[33].

ويردُ القرطبي على هذا الرأي ويخالفه مستعيناً بموارد استعمال الكلمة لبيان معناها فيقول: «إنَّ الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سَبْق إحسان، والشكر ثَنَاء على المشكور بما أولى من الإحسان، وعلى هذا الحد قال عُلماؤنا الحمد أعَم من الشكر، لأنَّ الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد، وعلى الشكر، والجزاء مخصوص إنَّما يكون مكافأة لمن أولاك معروفاً فصار الحمد أعم في الآية لأنَّه يزيد على الشكر، ويذكرُ الحمدُ بمعنى الرضا، يقال: بَلَوته، فَحَمِدتُه، أي: رَضِيتُه»[34].

ثالثا: حقيقة الإعجاز عند البلاغين واللغويين:

إنَّ الذين تناولوا الإعجاز في القرآن الكريم كُثُر، ونكتفي في هذا المقام ببعض من أُشتهر منهم أمثال:

1ـ **الخطابي**: أكد أنَّ الإعجاز القرآني كائن في نظمه فقال: «واعلم أنَّ القرآن إنَّما صار معجزاً لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُتَضمنا أصح المعاني»[35].

وفي موضع آخر يتحدث عن بلاغة القرآن في حروفه ولفظه وتراكيبه؛ فيقول: «وإنَّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت

[32]- سورة الفاتحة، 02.

[33]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 1/ 138.

[34]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،1/ 207.

[35]- بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمّاني والخطابي و الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله و محمّد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1976، ص 26.

هذه الأمور منه في غاية الشَّرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصحْ ولا أجزلْ ولا أعذبْ من ألفاظه ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل، إنَّها هي التي تشهد لها العقول بالتَّقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى الدرجات الفضل في نعوتها وصفاته»[36].

2ـ **الرماني**: فقد حصر وجوه الإعجاز القرآني في سبعة وجوه، وهي ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة. وجعل القرآن أعلى رتبة من مراتب البّلاغة، إذْ نراه يُقسم البَّلاغة إلى ثلاث طبقات: «منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدني طبقة، ومنها ما هو في الوسط بين أعلي طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلى طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من النَّاس»[37]. وبالتالي فإن سرّ الإعجاز القرآني عند الرُّمَّاني يكمن في البديع، وفي وجوه البلاغة.

3ـ **الباقلاني**: حيث تكلم عن الإعجاز في كتاب سماه "إعجاز القرآن" رداً على منكري الإعجاز في عصره، وهو مِن أروع الكتب وأعزها، ولقد دار الكتاب على قضايا متعددة منها: بيان شرف القرآن الكريم، والإخبار عن الغيب وأميَّة الرسول التي تؤكد أنَّه لم يكن يعرف شيئاً عن كتب الأولين، والإنباء عن قصصهم وسيرهم، وذكر براعة نظم القرآن وبديع تأليفه وتناهيه في البلاغة[38]. ثم يعلق الباقلاني في سر التحدي الذي اختص به القرآن الكريم فيقول: «وإنما احْتيج في باب القرآن إلى التحدي، لأنَّ من الناس من لا يعرف كونه معجزاً، فإنما يُعرف أولاً إعجازهُ بطرق،

[36]- المصدر السابق، ص 27.

[37]- بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمّاني والخطابي و الجرجاني، ص 75.

[38]- ينظر: إعجاز القرآن، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ص47.

لأنَّ الكلام المعجز لا يتميزَّ من غيره بحروفه، وصورته، وإنَّما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى من معرفة كونه معجزاً»[39].

فالباقلاني يتفِق مع الرُّماني عندما جعل النَّاحية البلاغية وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وقد اعتبر أنَّ من يعرف أساليب البلاغة وآليات اللسان العربي وفنونها يدرك مقاصد القرآن الكريم وحواراته المتنوعة، فقال:« فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقها ومذاهبه- فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وُسْعُ المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوُسع، ويتجاوز حدود القدرة- فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر»[40].

4ـ **الجرجاني**: ألف كتابين في الإعجاز "الرسالة الشافية" و"دلائل الإعجاز"، وقد أعطى لفكرة النَّظم في القرآن صورة جديدة، ولعلها أروع صورة في تاريخ الإعجاز، بل هو مُؤسس علم الإعجاز مستفيداً مما سمعه من سابقيه ومستدركاً عما كتب في البَّلاغة وفي إعجاز القرآن. ولقد عمد الجرجاني إلى البَّحث في البلاغة ووجوهها وأساليبها للارتقاء بالذوق البَّلاغي عند القارئ، ومن ثَّم ليضع يده على مواطن البلاغة في كل كلام بليغ، سواء كان هذا الكلام شعراً أو نثراً أو خطبة، ويبرز وجه الحُسن في الكلام من خلال أمثلة مختارة، مُبيناً قضية اللفظ وخواص النظم الذي فيهما شحذٌ للبصيرة، وزيادة كشف عما فيها من السريرة، وبعد ذلك يلتفت من خلال تلك المقدمات، والأمثلة إلى تبيان إعجاز القرآن الكريم[41].

وقد انحصرت آراء الجرجاني في الإعجاز القرآني ضمن ثلاثة محاور:

أ- أنَّ القرآن الكريم معجز ببلاغته.

---

[39]- المرجع السابق، ص 496.

[40]- المرجع السابق، ص 286.

[41]- ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ص 249.

ب- أنَّ النَّظم هو الوجه الوحيد الذي حصل الإعجاز من جهته.

ج- بيان طبيعة النَّظم والتأليف وماهيتهما.[42]

ولم يكن عبد القاهر أول من جعل النَّظم وجها لإعجاز القرآن، وإنَّما هناك من سبقه إلى ذلك؛ وقد نفى أنْ يكون الإعجاز في الكلمات المفردة أو في ترتيب الحركات والسكنات أو المقاطع والفواصل أو في الاستعارة تمهيداً لبيان أنَّ الإعجاز قائم في النظم. وفي ذلك يقول: «واعلم أنَّ ليس النَّظم إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرُّسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها»[43].

رابعا: عناية المفسرين المعاصرين بقضايا الاعجاز القرآني:

أما أهل التفسير فقد تناولوا مسألة الإعجاز القرآني في تفاسيرهم باعتبار أنَّ القرآن معجزة من وجوه مختلفة، بعضها خاص بالعرب الذين درسوا اللغة العربية وتذوقوا بلاغتها، وبعضها الأخر عام يدركه العقلاء من النَّاس على اختلاف أجناسهم. فأما ما كان للعرب من ذلك فهو بديع نظمه وحسن تأليفه وسمو بلاغته إلى الحد الذي يعجز الإتيان بمثله.

وقد وضح الأستاذ شيخون أوجه الإعجاز وحدّها في:

أ- ما فيه من الأخبار عن المغيبات.

ب- ما فيه من الأخبار عن الماضي السحيق من حين خلق ادم إلى مبعث محمد عليه السلام.

ج- ما يتضمنه هذا الكتاب من التشريع العظيم الدقيق[44].

---

[42]- ينظر: الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، عبدالغني محمد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1989،1، ص 65.

[43]- ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 55.

[44]- ينظر: الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1978، ص 23.

فمن المفسرين من تناول أساليب الإعجاز القرآني في آيات التَّحدي مثلاً في سورة البقرة وسورة العنكبوت وسورة الزخرف...وغيرها. وقد اجتهدوا في بيان وجوه الإعجاز البياني والبلاغي والأسلوبي؛ كذلك عملوا على إبراز قيمة الحرف والمفردة والجملة في السياق القرآني، وهم في ذلك بين مطنب في عرضها ومقتصد، ومن أبرز هؤلاء: الزمخشري في الكشاف وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم...وغيرهم.

ومن المفسرين مَنْ أفرد في مقدمة تفسيره موضوعات تتعلق باللغة العربية والإعجاز القرآني، نذكر منهم: تفسير ابن عطية في المحرر الوجيز، وتفسير القرطبي في الجامع لأحكام القرآن. وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي... وغيرهم. أما في العصر الحديث فقد اهتم علماء التَّفسير بقضية الإعجاز نذكر منهم مصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب، ومحمد عبد الله دراز، والإمام الشعراوي.

1ـ**الرافعي**: يبدأ في حديثه عن الإعجاز بالحمل على جهود السَّابقين ممن أثاروا إشكالية الإعجاز، فقد أشَّار إلى أنَّهم أطالوا الخصومة وفخموا ما شاءوا ومضغوا من الكلام ما ملأ أفواههم وجاءوا بفلسفة ومنطق... بيد أنَّهم في كل ذلك إنما توافوا على صنيع واحد من الرد بعضهم على بعض، فمن فلج بحجته فقطع خصمه عن المعارضة وأفحمه دون المناضلة، وكان الرأي في الإعجاز ما رآه هو وكان أكبر برهان على صوابه عجز خصمه عن تخطئته[45]. ويرى الرافعي أنَّ نطاق الإعجاز في القرآن يتحدد في المعنى، فيقول: «وأما الذي عندنا في وجه الإعجاز وما حققناه بعد البحث -وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وما استخرجنا من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه- إنَّ القرآن مُعجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً»[46].

[45]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص 99.

[46]- المرجع السابق، ص 156.

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ومعجز في أثره الإنساني ومعجز كذلك في حقائقه. ويحدد الرافعي خصائص الأسلوب القرآني في وجوه ثلاث هي:

أ- إنَّ الأسلوب القرآني مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في خطابهم، وتنزيل كلامهم حيث نراه يجئ على نمط واحد من الدقة والإحكام لا تلمس فيه تفاوتاً بين موضع وموضع، ولا تحس فيه فتوراً ولا خللاً فكأنه قطعة واحدة مع طول القرآن.

ب- إنَّ الأسلوب القرآني فيه من اللّين والمطاوعة على التقليب والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتفاوتة على اختلاف العصور فهو يفسر في كل عصر حسب ما يتهيأ لأبناء هذا العصر من قدرة على الفهم.

ج- انسجام الأسلوب القرآني وخلوه من الغرابة فهو يسيل بسهولة، وهذه السهولة في كثير من الكلام، وكثير من أغراضه تقتضي الابتذال، ولكنها في القرآن كله وعلى تنوع أغراضه لا تقتضي إلا بالإعجاز، إنّها سهولة الأوضاع الإلهية التي يعرفها كل الناس ويعجز عنها كل الناس[47].

2ـ **سيد قطب**: تدور فكرة الإعجاز عنده في جمالية الأسلوب والتصوير الفني في القرآن، وقد تحدث عن التصوير فقال: «إنَّه تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع»[48]. ولقد أثرت آيات القرآن في نفس سيد قطب وأُعجب بحلاوته وطلاوته وفصاحته، لما له من سطوة على النُّفوس وما له من روعة في القلوب، والقرآن ينفذ بسلطانه إلى العقل والروح كما يقول: «إنَّ في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أنْ يبحث في مواضع الإعجاز فيها، إنَّه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أنَّ هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل في التعبير، وأنَّ هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه في كل حال موجود، هذا العنصر الذي

---

[47]- المرجع السابق، ص 205.

[48]- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط16، 2002، ص 102.

ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره، أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنَّها لشيء آخر وراءها غير محمود؟»[49].

فالفضل يعود للأديب سيد قطب في اكتشافه لقاعدة أساسية في أسلوب القرآن الكريم وهي قضية "التَصوير الفني". «فلم تكن مفردات القرآن وحدها شاغلة له بموسيقاها، ولا تراكيب القرآن مستأثرة باهتمامه بتناسقها وترابطها، وإنَّما كان نظره مركزاً في الأداة المفضلة للتعبير في كتاب الله، ولقد وجدها في التَّصوير، وراح يتحدث عنها بأسلوب شِّعري يستهوي النُّفوس ويهديها بحق إلى جمال القرآن»[50]. والإعجاز الصوتي، والإيقاع القرآني كان حاضران في كتابات سيد قطب خاصة عندما يتناول اللفظ القرآني وعلاقته بالنظم.

3ـ **محمد عبد الله دراز**: يرى أنَّ الإعجاز القرآني له ثلاثة وجوه: منها ما هو تشريعي، ومنها ما هو لغوي، ومنها ما هو علمي، ويبرز "دراز" أنَّ خصائص القرآن البيانية تتضمن أربع مراتب.

أ- القرآن في قطعة منه، وذكر من أوجه الإعجاز فيها القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، وخطاب العامة وخطاب الخاصة وإقناع العقل وإمتاع العاطفة والبيان والإجمال، والإيجار بالحذف مع الوضوح والطلاوة.

ب- القرآن في سورة منه، وذكر الانتقال من معنى إلى معنى اشق منه، وفي التنقل بين أجزاء المعنى الواحد، ونزول القرآن مفرقاً على تباعد زمني وتنوع موضوعي، ومع تلك العوامل جاء القرآن في قمة الترابط.

---

[49]- في ضلال القرآن، سيد قطب،دار الشروق، ط2، 2002، 7/ 605.

[50]- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زوزو، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998، ص 169.

ج- القرآن فيما بين السور.

د- القرآن في جملته[51].

4ـ **الإمام الشعراوي**: بذل الإمام جهداً كبيراً في إبراز جوانب الإعجاز في القرآن، ورأى أنَّه يحوى إعجازات كثيرة ومتنوعة، والإعجاز عنده ليس إعجازا في البَّلاغة فقط، ولكنه «يحوي إعجازاً في كل ما يمكن للعقل البشري أنْ يحوم حوله، فكل مفكر متدبر في كلام الله يجد إعجازاً، فالذي درس البلاغة رأى الإعجاز البلاغي، والذي تعلم الطب وجد إعجازاً طبياً في القرآن الكريم، وعالم النباتات رأى إعجازا في آيات القرآن الكريم، وكذلك عالم الفلك»[52]. ويبدو أنَّ الشعراوي سار على نهج سلفه الذين رأوا تنوع مصادر الإعجاز في القرآن، فلم يُصادر أراءهم، وإنَّما سار على خطاهم وأثبت الإعجاز، وألَّف في ذلك مؤلفات منها "معجزة القرآن"؛ فنظرته شمولية اتسعت تقريباً كل أجزاء الإعجاز خاصة منها الإعجاز اللغوي والبلاغي، حتى أصبح تفسيره يُنعت بالتفسير اللغوي والبلاغي لكثرة طروحاته اللغوية والبيانية والفنية والبديعية. وبالمجمل فإنَّ دراسات الشعراوي اللغوية والبلاغية لم تخرج عن جهود المفسرين الذين سبقوه، حيث يشترط الشعراوي في المعجزة شرطين يجب أنْ يتحققا:

أ- أنْ تكون خرقاً لقوانين البَّشر ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى الذي وضع هذه القوانين.

---

[51]- ينظر: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1984، ص 138-204.

[52]- تفسير الشعراوي، مراجعة: أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر،1991، 1/ 106.

ب- أنْ تكون مما نبغ فيه قوم النبي أو الرسول الذي ظهرت على يَّديه، حتى يكون التَّحدي نابغاً وقوياً وإثباتاً على قدرة الله سبحانه وتعالى[53]، وإلى المنحى نفسه ذكر هذا الزمخشري في الكشاف؛ إذ رأى أنَّ الإعجاز في القرآن على وجهين:

1- من جهة إعجاز نظمه.

2- من جهة نافيه من الإخبار بالغيب[54].

وقد ذكر الزمخشري أثناء تفسير قوله تعالى:﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[55]، أنه أنزل متلبساً بما لم يعلمه إلاَّ الله من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه[56].

فالإعجاز الموجود في القرآن هو في الأسلوب وفي حقائق القرآن وفي الآيات وفيما رُوِيَ لنا من قصص الأنبياء السابقين، وفيما صحح من التوراة والإنجيل، وفيما أتى به من علم لم تكن تعلمه البشرية وما زالت حتى الآن لا تعلمه، كل ذلك يجعل القرآن لا ريب فيه، لأنَّه لو اجتمعت الإنّس والجن ما استطاعوا أنْ يأتوا بآية واحدة من آيات القرآن، ولذلك كلما تأملنا في القرآن وفي أسلوبه وجدنا أنَّه بحق لا ريب فيه، لأنَّه لا أحد يستطيع أن يأتي بآية، فما بالك بالقرآن.

الخاتمة:

إنّ المنهج اللغوي ليس مطلوباً لذاته بقدر ما هو إلاَّ آلة يتوسل بها إلى تقريب معاني القرآن الكريم وبيان أسراره البيانية والإعجازية، وجميع العلوم المستحدثة التي أسسها العرب بعد نزول القرآن الكريم وخاصة العلوم الإسلامية والعلوم العربية كان مُنْطَلَقها القرآن، ويجب أن تكون في

---

[53]- ينظر: تفسير الشعراوي، 10/ 6375.

[54]- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 3/ 138.

[55]- سورة يونس، الآية: 39.

[56]- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 2/ 262.

خدمته ووفق ما دعا إليه. يقول الزرقاني(ت:1367هـ):«إنَّ علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله وكلام العرب، فإذا ثبت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وما قعدوا من قواعد، ووجب أنْ يراجعوهم بقواعدهم إليه لا أنْ نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه، وإلاَّكان ذلك عكساً للآية وإهمالاً للأصل في وجوب الرعاية»[57].

ويبذل المفسر جهداً كبيراً في إبراز المنهج اللغوي في الآيات القرآنية، فيخرج معاني الألفاظ من الغموض إلى الوضوح؛ فقد تكون الآية مبهمة لسبب نحوي فيرتفع بها ببيان حدود النحو فيها ويبرز أدائها الوظيفي، وقد تكون مفردات الآية غامضة فيرتفع لفك غريبها ومجهولها، أو تكون الآية غير معروفة بلاغياً فيرتفع ببيان ما في التركيب من مجاز أو دلالات بلاغية في الخبر والإنشاء وغير ذلك. وبالتالي فإنَّ القرآن وبحوثه شاهد على القاعدة الصوتية أو الصرفية أو النحوية، وشاهد على منزع في اللغة ينزع إليه واضع المتن والشَّارح، وإمَّا ضبطاً في تأليف الكلام ونظمه.

وقد جاء القرآن من نفس الحروف التي تحدث بها العرب، وشاء الله لحكمة يعلمها أنْ يجعل حروف وكلمات وآيات وأساليب القرآن غير قابلة للتقليد، وبهذا جاءت عظمة القرآن لا من ناحية المادة الخام التي تبني منها الكلمات وهي الحروف؛ بل المعاني والنسق الذي جاءت به الحروف، فالمادة الخام -وهي الحروف -واحدة، وصار القرآن معجزة؛ لأنَّ المتكلم هو الله سبحانه، والحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية نوعاً أخراً من التحدي الذي أسكت العرب وأفحمهم وهذا دليل على سبكه ونظمه وقوة إعجازه.

[57]- مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، القاهرة، ط3، 1/ 420.

قائمة المصادر والمراجع:

1. تفسير الشعراوي، مراجعة: أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر،1991.

2. التفسير العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، ط2، 1999.

3. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، ط2، 1947.

4. تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط1، 2008.

5. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

6. تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: صقر السيد أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978.

7. تفسير مجمع البيان، الطبرسي، تقديم: محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1995.

8. جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جيزة، ط1.

9. الجامع لأحكام القرآن، أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

10. معجزة القرآن، متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، ط1، 1993.

11. معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.

12. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، 1945.

13. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

14. ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

15. من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، 1982.

16. من بلاغة القرآن الكريم، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005.

17. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1986.

منهج الشيخ عبد الكريم المغيلي في الدرس التفسيري – تفسيره للفاتحة أنموذجا –

د. الدين مهداوي المركز الجامعي البيض، الجزائر

ط. د عبد القادر حسيني – جامعة أدرار، الجزائر

الملخص:

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مولدًا، التّواتي مدفنًا، من أبرز علماء المغرب الأوسط في النّصف الثاني من القرن السّادس الهجري، وهو من الفقهاء الأذكياء، ذوي الرؤية الثّقافية، والحكمة الصّائبة، و واحد من العلماء الذين كانت لهم مشاركة في تفعيل الحياة السّياسية والثّقافية في توات، وأرض السّودان الغربي، إضافة إلى شهرته الواسعة في الدّفاع عن الله و رسوله، وكرهه لأعدائه.

اشتهر الشيخ محمد بن عبد الكريم بعلمه الواسع، وفكره الشّاسع؛ وموقفه السياسي النّاصع، ونشاطه الإصلاحي المجدّد، تأتي هذه الورقة البحثية للكشف عن أشرف جانب من الجوانب العلمية للشيخ المغيلي ، وهو جانب تفسير القرآن الكريم، انطلاقا من من بيان حقيقة هذا المنهج العلمي التفسيري، ثم منهجُ قراءة النص الأثري التفسيري، و من ثم تسليط الضّوء على الشخصية العلمية المدروسة، وأهم مؤلفاته عمومًا؛ وتخصيصُ جهود الشيخ المغيلي في تفسير القرآن الكريم، ثم عقد أسطرٌ في بيان بعضِ القضايا العلمية التي تناولها الشيخ المغيلي في ميدان تفسير القرآن الكريم؛ كقضية المصطلح القرآني، وأبعادها، وتشوّفاته لإرسائها، وأثر ذلك على التوجيه

التفسيري، لتختم بمنهج الشّيخ المغيلي المنتخب في تفسيره لبعض الآيات القرآنية، وكيفية دراسته للنصوص التفسيرية، وتحليله للنص التفسيري.

المبحث الأول: الدّرس التفسيري

كان لعلماء التّفسير من العهود الأولى للتدوين قصب السّبق في ابتكار القواعد المنهجية الحديثة في البحث العلمي، تبعًا لما طوّروه من مناهج وطرائق، تأتي هذه الجزئية للكشف عن ماهية المنهج العلمي التّفسيري، عن طريق تحليل بنيته التّركيبية، وبيان حقيقتها لغة واصطلاحًا.

المطلب الأول: ماهية المنهج العلمي التفسيري

ويتفرّع عن هذا المطلب فرعين لاحتواء مادّته العلمية، وتحليلها إفراديًّا، فاختصّ الفرع الأول منهما بعرض حقيقة المنهج العلمي على سبيل الإفراد؛ مصطلح المنهج ثم مصطلح العلمي، وتناول الفرع الثاني؛ جملة من المعالم التنزيلية لحقيقة المنهج العلمي التفسيري انطلاقا من الشروط العامة التي اشترط العلماء ثبوتها في المفسر، وصولًا إلى منهج القراءة والنّظر في النّص التفسيري.

الفرع الأول : ماهية المنهج العلمي

أ. ماهية المنهج : يقصدُ به بصفة عامة الطّريق الواضح[1]، وترجعُ أصوله إلى اليونان، حيثُ نجدُ (أفلاطون) يستعمل المصطلح (المنهج) بمعنى البحث والنّظر، أما اصطلاحًا؛ فيعتبرُ وسيلة تحقيق الهدف، والخروج بنتائج فعلية[2]، والمنهجُ العلمي هو خطة منظمة لعدّة عملياتٍ، بُغية الوصول إلى كشف الحقيقة، والبرهنة عليها[3].

[1] ينظر؛ صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج1، ص435

[2] ينظر؛ الخولي، يمنى طريف، فلسفة كارل بوبر؛ منهج العلم منطق العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م، ص35

[3] ينظر؛ مدكور؛ إبراهيم، المعحم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1989م، ص195

ب. العلمي: تطلقُ كلمة (العلمي) وتنسبُ إلى العلم الذي يقصدُ به مجموعة المعارف الإنسانية؛ التي تتضمّنُ المبادئ والفرضيات، والحقائق والمفاهيم والقوانين، والنظريات التي كشفها الإنسان[4].

الفرع الثاني: مصطلح التفسير

قال ابن فارس: "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك فسر، يقاله: فسرت الشيء وفسرته"[5]، وجاء في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير[6]، والتفسير مصدر فسَّر بتشديد السين الذي هو مضاعف فَسَر بالتخفيف؛ من بابي نَصَر وضَرَب الذي مصدره الفَسْر، وكلاهما فعلٌ متعدّ فالتضعيف ليس للتعدية، والفسر الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسر عند السامع، ثم قيل المصدران والفعلان متساويان في المعنى، وقيل يختص المضاعف بإبانة المعقولات[7]، والتفسير في الاصطلاح؛ هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع[8]، وقيل: هو علمٌ يبحثُ فيه عن القرآن الكريم من حيثُ دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطّاقة البشرية[9]، وفي هذا دلالة على أن التّفسير إنما يختصُّ النّظر فيه من حيث الجانب الدّلالي على مراد الله تعالى، بقدر الطّاقة البشرية المحدودة، إذ لا سبيل لتعريف الدّلالة المقصودة إلا بطريق النّظر الذي حدّده العلماء

---

[4] ينظر؛ جودت عزة عطوي، البحث العلمي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص15

[5] ينظر؛ ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون الناشر، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج4، ص504

[6] ينظر؛ الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005م، ج1، ص456

[7] ينظر؛ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: 1984 ه، ج1، ص10

[8] ينظر؛ المرجع نفسه، ج1، ص10

[9] ينظر؛ الزرقاني؛ عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/ 1995م، ج2، ص6

وقيل في تعريفه الاصطلاحيِّ أيضًا؛ التّفسير علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النُّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب[10].

المطلب الثاني: منهج قراءة النص الأثري التفسيري

يتناول هذا المطلب منهج قراءة النص الأثري التّفسيري من خلال بحث الشّروط العامة التي اشترطها الفقهاء في المفسّر حتّى يكون ذا أهلية تمكنه من النّظر في كتاب الله عز وجل تفسيراً لمعانيه وبيانًا لمدلولاته، ثمّ تعرض جانبًا من المناهج العامة التي سلكها المفسّرون في هذا الفنّ حتى تكون توطئة للولوج إلى النّظر في (مختصر تفسير الفاتحة) عند الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

الفرع الأول: شروط المفسّر

وضع العلماء شروطًا معينة للمتصدّي لكلام الله جلّ وعلا؛ باعتبارها وسائل منهجية لفهم كلامه عز وجل، واستفادة مدلوله، وتحقيق مقصده الشّرعي؛ وبيان هذه الشّروط التي ينبغي توفرها في المفسّر كالتّالي:

1)- العلمُ باللغة العربية؛ لأنّ بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد : "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[11]، ثمّ إنه لا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا؛ وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

2)- العلم بالمسائل النّحوية (أصولاً؛ وفروعًا)؛ لأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره؛ أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن

[10] ينظر؛ السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، ج4، ص194

[11] ينظر؛ ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، ج4، ص213 وما بعدها

المنطق ويقيم بها قراءته؛ فقال: "حسن، فتعلّمها؛ فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها"[12].

3)- العلم بالتّصريف؛ لأنّ به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس: "ومن فاته علمه فاته المعظم؛ لأن "وجد" مثلا كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها"[13].

4)- العلمُ بالاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح؟[14].

5)- العلمُ بالمعاني والبديع؛ لأنه يعرف بالأول (المعاني) خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثاني (البديع) وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم[15].

6)- الإحاطةُ بعلمِ القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض[16].

7)- الإحاطة بعلم أصول الدّين؛ بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز[17].

8)- الإحاطة بعلم أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط[18].

[12] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص213

[13] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص213

[14] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص214

[15] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص214

[16] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص215

[17] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص215

9)- معرفة أسباب النزول والقصص؛ إذ بسبب النزول يُعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه[19].

10)- معرفة الناسخ والمنسوخ؛ ليُعلم المحكم من غيره.

11)- العلم بالفقه، والعلم بالأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم[20].

الفرع الثاني: منهج المفسّر

أولا: منهج النظر في المفردات القرآنية

ويرتكز هذا المنهج على قواعد مركزية؛ تَبينُ من الشّروط العامة التي يستلزمُ توفّر دواعيها فيه حقيقة، ويمكنُ إجمال منهجه في النّظر في النقط المحورية التالية:

1)- النظر في المفردة القرآنية نظرة تحليلية قائمة على ثلاثة حيثيات أساسية؛ من حيثية احتمال اللغات ابتداء، ثم من حيثية الأبنية والصّيغ، ثمّ من حيثية الاشتقاق.

2)- النظر المقاصدي؛ بتحصيل الدّلالة التي تدلّ عليها المفردة القرآنية، بشقيها اللّغوية، والشّرعية عموماً (العقدية، الفقهية، الأصولية).

3)- النّظر في الوجوه التي تحتملها القراءات القرآنية، والإحاطة في ذلك بالمتواترة والشّاذة؛ لاحتمال استفادة الحكم منها على بعض المذاهب.

4)- النظر في أسباب النزول والقصص، وتبيّنُ الناسخ والمنسوخ وغيره.

ثانيًا: منهجُ النظر في الاتّجاهات التّفسيرية

---

[18] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص215

[19] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص215

[20] ينظر؛ المرجع نفسه، ج4، ص215

ويرتكز هذا المنهج على ثلاث مناهج مشهورة، بيانها مجملة كالتالي:

1)- منهجُ التّفسير بالمأثور؛ أو التّفسير بالرّواية[21]؛ و يقصدُ به ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه[22]، وهو على نوعين:

النوع الأول: أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله، وهذا لا يليق بأحد رده، ولا يجوز إهماله وإغفاله، ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدي القرآن، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن.

النوع الثاني: ما لم يصح لسبب من الأسباب (كاختلاط الصحيح بغير الصحيح، ونقل كثير من الأقوال المعزوة إلى الصحابة أو التابعين من غير إسناد ولا تحر؛ مما أدى إلى التباس الحق بالباطل.. وغيرها)، وهذا يجب رده، ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به، اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه على ضلاله وخطئه، حتى لا يغتر به أحد[23]، ومن أهمّ كتب التّفسير بالمأثور التي دُوّنت في التفسير هو جامع البيان عن تأويل آي القرآن والمعروف بتفسير الطبري؛ وقد طبع عدة مرات آخرها بتحقيق وتعليق: الشيخ محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله تعالى- وصدر منه ستة عشر مجلدا حتى الآن وتوقف عند الآية 28 من سورة إبراهيم أما الطبعة التي لم

[21] ينظر؛ الزُّرْقاني؛ محمد عبد العظيم (ت1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة، ج2، ص11

[22] ينظر؛ المرجع نفسه، ج2، ص11

[23] ينظر؛ الماتريدي؛ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، ج1، ص266

تحقق فكاملة[24]، وتفسير أبي الليث السمرقندي، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وغيرها[25].

2)- منهج التّفسير بالرأي؛ و المراد بالرأي هنا: الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد مُوَفقًا؛ أي مستندًا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدا عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود وإلا فمذموم[26]، ثمّ إنّ التّفسير بالرأي المذموم على خمسة (5) أنحاء؛ بيانها كالتّالي[27]:

النحو الأول: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

النحو الثاني: تفسير المتشابه لا يعلمه إلا الله.

النحو الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا، فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفا.

النحو الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

النحو الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى، والقارئ للنصّ التفسيري عليه أن يُلمّ بمناهج النّظر، ومعالم الأثر، حتى يحسن له أخذ الطّيب من العِبر، والأمثل والمعتبر.

المبحث الثاني: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وجهوده العلمية

اقتضت سنّة الاصطفاء الرّبانية، ومنّة الهداية النّورانية؛ أن قيّضَ المولى جلّ وعلا، لهذه الشّريعة السّمحاء حماةً عدولاً، ينفون عنها ما غلث فيها، فرفعوا لواء العلم والمعرفة في شتّى أقطار

[24] ينظر؛ الرومي؛ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 5/ 8/ 1406 الطبعة: الأولى 1407هـ- 1986م، ج1، ص42

[25] ينظر؛ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مرجع سابق، ج1، ص266

[26] ينظر؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص49

[27] ينظر؛ الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج4، ص219-220

المعمورة، وحواضرها العلمية والمعرفية، ومن بين ذلك حاضرة تلمسان التي بزغ فيها مترجمنا؛ وتوات التي احتضنته منافحًا، ومكافحاً، وعالما على أرضها، وشرفت باحتضان جثمانه تربتُها، تكتنزُ هذه المساحة المعرفية، جانبًا من الحياة العلمية للشّيخ عبد الكريم المغيلي، وجهوده في خدمة العلم

المطلب الأول: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

أهّل الله عزّ وجلّ حماة عدولاً للنّظر في هذه الشّريعة بعين التّعظيم، ومكّنهم، وأهّلهم، و وفّقهم لدرك المعاني القرآنية، وفهم مقاصد الرّسالة السّماوية من ذلك شيخنا محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي تكشف هذه الجزئية من الدّراسة عن حياته العلمية والمعرفية.

الفرع الأول: اسمه ونسبه

اتفقت كتب التراجم والفهارس في اسمه، فهو: محمد بن عبد الكريم بن محمد، أبو عبد الله، محيي الدين، المغيلي، التلمساني، التواتي، الجزائري؛ فاسمه محمد، وأبوه عبد الكريم، وجده محمد.

وهناك من كتب التراجم والفهارس من تحصر اسمه في: "محمد بن عبد الكريم المغيلي" فقط، دون إضافة اسم الجد، وهناك من المؤلّفات من عمَد فيها أصحابها ذكرَ اسم الجد وَفق صيغة "محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي"[28].

أما نسبه الكامل فهو: "محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن يخلف بن علي بن الحسين بن يحيى بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السّري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر -مكررة- بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر

---

[28] ينظر؛ باجي، عبد القادر، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة الشّؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط2011م، ج1، ص103-127

بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السّبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم سيدنا محمد عليه وآله أفضل الصّلاة و التسليم"[29].

ويُكْنَى بأبي عبد الله، و هو أحدُ أولاده السّتة، وهم: عبد الله، وعلي، محمد عبد الجبار، والثلاثة من زوجته الأولى؛ وهي زينب بنت الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي، وأحمد وعيسى والسّيد الأبيض؛ من زوجته الثّانية وهي من بلاد السُّودان الغربي[30].

الفرع الثاني: مولده ونشأته العلمية

ولد الشّيخ عبد الكريم المغيلي في مطلع القرنين التّاسع الهجري والخامس عشر الميلادي 9هـ/ 15م استنادًا إلى تاريخ وفاته[31]، ولقّب بالمغيلي؛ بفتح الميم والغين المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها واللام المخففة في آخرها، نسبةً إلى مغيلة؛ وهي: "قبيلة من البربر"، كما قال: أبو محمد بن أبى حبيب الأندلسي/ فيما ذكر عنه ابن ناصر الحافظ[32]، نشأ الشّيخ عبد الكريم المغيلي؛ في قرية مغيلة، في أسرة عرفت بالعلم والأخلاق الفاضلة، فأبوه من المشتهرين بالعلم والصّلاح، والورع والتّقوى، كما اشتهرت أمه بأنها سيدة فاضلة؛ تعطِفُ على الفقراء والمساكين، ثمّ تعلم في المراحل الأولى؛ القرآن الكريم على يد والده، بالإضافة إلى مبادئ اللغة العربية من صرف ونحو وبيان، كما قرأ عليه أيضا موطأ الإمام مالك، وكتاب ابن الحاجب الأصلي[33]، ثم واصل

---

[29] ينظر؛ عبد الرحمن حمّادو الكُتبي، مع المغيلي ابن عبد الكريم الإمام صاحب نازلة يهود توات حقائق و وثائق، مؤسّسة البلاغ للنّشر والدّراسات والأبحاث، الجزائر، 2013م، ص59

[30] ينظر؛ مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التّاريخية، طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب، 1422هـ-2002م، ص43

[31] ينظر؛ يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر، حسين داي، الجزائر، 2009م، ج2، ص143

[32] ينظر؛ السّمعاني؛ عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد (ت562هـ)، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1962 م، ج12، ص373

[33] ينظر؛ الإمام المغيلي عصره وحياته، مرجع سابق، ج1، ص115

تعليمه على يد الشّيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي؛ الشّهير بالجلّاب[34] (ت875هـ)؛ الذي أخذ عنه أمهات الكتب الفقهية؛ من بينها أن ختم عليه المدوّنة مرتين، ومختصر خليل، والفرائض من مختصر ابن الحاجب، والرّسالة لابن أبي زيد[35].

كما تفقّه على كثير من الفقهاء من بين الشّيخ عبد الرحمن الثّعالبي، وعن الشّيخ يحيى بن يدير التّلمساني التواتي الذي قرأ عليه من كتب الحديث الصّحيحين، وكتب السنن، وموطأ مالك، وأمّهات كتب الفقه المالكي[36]، وتميّز برحلاته العلمية العديدة من تلمسان إلى توات ثم إلى مصر، ثم إلى فاس، ثم إلى توات[37]، وهذا ما أهّله إلى مرتبة التمكّن وجودة النظر في الفروع الفقهية، والمسائل العلمية بشتى دروب الحياة الثقافية، الاجتماعية، السّياسية، ومكنه من النظر في مناهج التفسير، وغيرها، وهذا كله ما عكسه يراعه التأليفي البديع في شتى صنوف المعرفة.

المطلب الثاني: مؤلفات الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي

تعدّدت مؤلّفات الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي؛ وتنوّعت، وتميّزت بخصائص يعرضها هذا المطلب المعرفي، ويعرض جوانب من مؤلفاته على سبيل التّمثيل.

الفرع الأول: خصائص مؤلفات الإمام المغيلي

1)- كثرة التواليف وتعدّد مجالاتها

[34] الفقيه العالم العلامة أحد شيوخ الونشريسي والإمام السنوسي، كان السنوسي يقول عنه: "إنه حافظ لمسائل الفقه"، قال الملالي: "ختم عليه السنوسي المدونة مرتين، وله فتاوى في المازونية والمعيار و وصفه المازوني: "بصاحبنا الفقيه"، قال الونشريسي في وفياته: "شيخنا الفقيه المحصل الحافظ"، توفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000م، ج1، ص552

[35] ينظر؛ الإمام المغيلي عصره وحياته، مرجع سابق، ج1، ص116

[36] ينظر؛ المرجع نفسه، ج1، ص117-118

[37] ينظر؛ التلمساني؛ محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به: أحمد بن أبي شنب، المطبعة الثّعالبية، الجزائر، طبعة 1326هـ-1908م، ص255

تميّزت مؤلفات الإمام المغيلي من ناحية الكمّ بالكثرة حتى بلغت ثمانية وأربعين مؤلّفاً (48)، توزّعت على مختلف العلوم الدّينية: من تفسير، وحديث، وفقه، لغة، بلاغة، منطق، وسياسة شرعية[38].

2)ـ منهج الاختصار في التحرير

تميّزت تواليف الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بمنهج الاختصار؛ هذا المنهج الذي ذكر فيه النووي قوله : " اختلفت عبارات العلماء في معنى المختصر؛ فقال الشيخ أبو حامد الإسفرايني : حقيقة الاختصار ضمّ بعض الشيء إلى بعض، قال : ومعناه عند الفقهاء؛ ردّ الكثير إلى القليل وفي القليل معنى الكثير، قال: وقيل؛ هو إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى"[39]، ومن خلال ما ذكره النووي يتضح أن معنى الاختصار فيه معنى ضمّ الشيء إلى الشيء وجمعه، و ردّ الكثير إلى القليل.

قال الدسوقي: "فالمختصر ما كثر لفظه وقلّ معناه، أو قلّ لفظه ومعناه"[40]، فالمختصر باللفظ القليل يعرّف المعنى الكثير، و الاختصار تقليل اللفظ مع كثرة المعنى، أو تقليل اللفظ مطلقا؛ أي سواء كثر المعنى أم لا[41]، وسيأتي التّفصيل في هذه الميزة.

3)- الدّقة في الأجوبة عن النّوازل والمسائل الفقهية.

[38] ينظر؛ بوربيق، علال، شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتراثه العلمي، تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السّنوسي، مؤسسة البلاغ للنشر والدّراسات والأبحاث، وزارة الثّقافة، طبعة خاصة، 2013م، ص99

[39] النووي؛ أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، د ت، ج1 من القسم الثاني، ص90-91

[40] الدسوقي؛ شمس الدين محمد عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية، د ت، ج1، ص18

[41] ينظر؛ المرجع نفسه، ج1، ص19

الفرع الثاني: بعضُ مؤلفات الإمام المغيلي[42]

1)- البدر المنير في علوم التّفسير.

2)- مصباحُ الأرواح في أصول الفلاح.

3)- شرحُ مواضع من المختصر.

4)- حاشية على المختصر.

5)- شرح بيوع الآجال من مختصر ابن الحاجب.

6)- الجمل في المنطق، ومنظومة فيه، وثلاث شروح عليهما..

المبحث الثالث: منهج الدرس التفسيري عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

يعرضُ هذا المبحث أصول الدّرس التّفسيري عند الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي؛ ابتداء من الحديث حول المخطوط وتحقيقه المتعلق بــ(مختصر تفسير الفاتحة) للشيخ وصولا إلى أصول ومنهج الدّرس التّفسيري.

المطلب الأول: نسخة تفسير الفاتحة

الفرع الأول: وصف النسخة الخطية

يتميّز المخطوط الذي ينسبُ للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، والمتعلّق بتفسيره للفاتحة بالخط المغربي ذو النوع المجوهر أو الزّمامي؛ وهو نوعٌ من الخطوط المغربية التي كانت تحرّر بها الرّسائل الخصوصية والعمومية، وتكتبُ به الظّهائرُ الملوكيّة، وهو أكثرُ الخطوط استعمالاً، لأنه استُخدمَ

[42] ينظر؛ مخلوف؛ محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (ت 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003م، ج1، ص395

للمقيّدات الشّخصية، والوثائق العدلية[43]، والنّاظر في زخرفته التي تألقت بها حروفه وتسامت يرجع الخطّ الذي ارتسمت به إلى هذا النوع من الخطوط المغربية؛ الخطّ المجوهر أو الزّمامي.

يحتوي المخطوط على سبعة عشر (17) لوحة، حيث تحتوي كلّ لوحة على 22 سطرًا، وهو مخطوط ملك خاص بالأستاذ نذير أو سالم مدير المركز الإسلامي التّابع لوزارة الشّؤون الدينية بمدينة وهران بالجزائر، كما ذكر أحدُ البحاثة أن هناك مخطوطة موجودة بخزانة تمنطيط لشيخها سيدي أحمد ديدي البكراوي بولاية أدرار، وأنّ هناك نسخة بموريتانيا عند الشّيخ بداه ولد البوصيري[44]، وقد حقّق هذا المخطوط ودرسه الأستاذ علي بوربيق ضمن ثنايا كتابه شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتراثه العلمي (تفسير الفاتحة ومراجعات السّنوسي)، مؤسّسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، طبعة وزارة الثقافة، طبعة خاصة، سنة 2013م، في الفصل الثاني منه من الصفحة 187 إلى الصّفحة 242 ، وهو اجتهاد رفيع، وتفسير بديع؛ إلاّ أن الذي عنَّ للباحثين حين نظروا في هذا التحقيق أن الأنسب من عنوان: (تفسير الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني)؛ قولُ: (مختصرُ تفسير الفاتحة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني)؛ وذلك لتصريح الشيخ نفسه بذلك في قوله: "أما بعد؛ أعانناَ الله، وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جُملة مختصرة من تفسير فاتحة الكتاب، ذكرى لأولي الألباب"[45]، ولاحتمال أن يكون للشيخ تفسير مطوّل للفاتحة لكنه لم يصل إلينا، أو لا يزال حبيس المخازن ينتظرُ من يحييه. والله أعلم.

---

[43] ينظر؛ الطّباع، إياد خالد، المخطوط العربي، دراسة في أبعاد الزمان والمكان، منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، 2011، ص27

[44] ينظر؛ عبد الكريم حمو، منهجية التّفسير القرآني في سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، مجلد: 08، عدد 03، السنة: 2019، ص45

[45] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص217–218

صورة للمخطوط (الصفحة الأولى)	صورة للمخطوط (الصفحة الأخيرة)

الفرع الثاني: توثيق اسم الكتاب

هناك أدلة متضافرة تدل على إثبات هذا الكتاب للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، من ذلك ما يلي:

أولا: العبارة التي جاءت على طرة النسخة الخطية، والتي فيها نسبة الكتاب إليه، والتي جاء فيها: "قال الشّيخ الفقيه، الإمام العالم العلامة، شمسُ الدّين أبو عبد الله، سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، لطف الله به وبجميع أحبابه".

ثانياً: أنّ بعض من ترجم للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم في كتابه البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وهو يعدد مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (تفسير الفاتحة)[46]؛ إلا أن الأنسب لهذا المخطوط عنوان (مختصر تفسير الفاتحة)، لاحتمال ضعيف هو أن يكون هو غير المراد قي تعداد مؤلفات صاحب البستان.

المطلب الثاني: المنهج التفسيري لسورة الفاتحة

الفرع الأول: الناحية البنيوية

يختصُّ هذا الجزء من الدّراسة لعرض الناحية اللغوية التي تم انتهاجها من قبل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أثناء بناءه مختصر تفسيره لسورة الفاتحة، ويتمّ التركيز فيها على جملة من الأساسيات.

1)- الصّياغة : جاءت صياغة الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لموضوعه التفسيري على شكل جواب مختصر على طلب أحد المهتمين بعلم التّفسير؛ يأتي تصريحه بذلك في قوله: "أما بعد؛ أعانناَ الله، وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جُملة مختصرة من تفسير فاتحة الكتاب، ذكرى لأولي الألباب"[47]؛ وتميّزت هذه الصّياغة بمجموعة من المميزات؛ أهمها : الاختصار؛ الذي قال الدسوقي فيه : "فالمختصر ما كثر لفظه وقلّ معناه، أو قلّ لفظه ومعناه"[48]، فالمختصر باللفظ القليل يعرّف المعنى الكثير، و الاختصار تقليل اللفظ مع كثرة المعنى، أو تقليل اللفظ مطلقا؛ أي سواء كثر المعنى أم لا[49]، وقد سلك الشيخ محمد بن عبد الكريم

---

[46] ينظر؛ ابن مريم؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشّريف المليتي المديوني التلمساني (المتوفي: 1014هـ)، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ج1، ص255

[47] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي-، مرجع سابق، ص217-218

[48] الدسوقي؛ شمس الدين محمد عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية، د ت، ج1، ص18

[49] ينظر؛ المرجع نفسه، ج1، ص19

المغيلي وفق هذا المنهج في صياغته لكتابه المتن المدروس (تفسير الفاتحة)؛ والنّاظر في هذا المنهج (الاختصار) الذي تبعه الشّيخ يجدُ فيه عمقًا علميًّا؛ يتجلّى في كثرة المعلومات، وتنوّعها، وترتيبها، إضافة إلى ما فيها من الفوائد والإضافات التي توجدُ في المطوّلات، ثمّ إنّ منهج الاختصار يكوِّنُ صورة مُجْملة للفنّ الذي أُلّفت فيه، حتى يتمكّن الطالب من الإحاطة بها في زمنٍ قليل، وما هي إلا مَدْخل للعلوم، وليست هي الغاية، وإليها النّهاية، بل هي الأساسُ والبداية[50]، وهذا هو الحال بالنّسبة لتأليف الشّيخ، فالناظر في تفسيره للفاتحة، يلفت نظره ما يتجلّى في طيّاتها من عمق علمي بديع، وما تكتنزه من كثرة المعلومات، وتنوعها، وسيأتي ذكرُ بعضها، ثم إنه يهدف من خلاله إلى تكوين صورة مجملة لفنّ التّفسير على منحى التطبيق لا التنظير، وأساسًا قويا يتبعه المتعلم، وينتهي إليه المتمرس المتفنّنُ في فن التفسير، والناظر في تفسير الفاتحة يلحظُ أن لغة سليمة، وأسلوب واضحا، إضافة إلى اجتنابه ذكر المصطلحات الغامضة والألفاظ النّادرة إلا نادرًا، إضافة إلى بيان مدلول ما غمض منها، وتحليل جزئياته، مع حوصلة عامة لبيان المقصود منه؛ ومن أمثلة ذلك قوله: "والصّراطُ لغةً؛ هو الطّريقُ الواضح، أصله: بالسّين من سَرَط اللقمة إذا ابتلعها؛ لأنّ الطّريقَ يبتلعُ سالكيهِ بالابتعادِ في جوف البراري والبلاد، ثمّ أُبدلَ بالصّاد لمناسبتهما في الإطباق"[51].

2)- انتهاجه لمنهج التّلخيص وشمل ذلك كلّ مباحث الكتاب؛ إضافة إلى تفنُّنه في الأساليب البلاغية في عرض المادة المعرفية، ومن بينها أسلوب اللف والنشر المرتب من بين ذلك على سبيل التمثيل، قوله في تحليل مصطلح الهداية: "فالأولى لعموم الخلق، والثّانية للمؤمنين فقط"[52].

3)- استخدام النّصوص الشّرعية من القرآن والسّنة أثناء بيانه للمسائل التّفسيرية في كتابه.

4)- الخلوّ من التّعقيد اللّفظي، والمعنوي.

[50] ينظر؛ الشّمراني؛ عبد الله بن محمد، المدخل إلى علم المختصرات، دار طيبة، ط1، 1429هـ، ص124

[51] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص231

[52] ينظر؛ المرجع السابق، ص231

الفرع الثاني: الناحية التركيبية

يقصدُ بالنّاحية التّركيبية في هذا الفرع؛ الأسلوب الذي بنى عليه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، كتابه (مختصر تفسير الفاتحة)، ويمكنُ تصنيفُ بعض المناحي التّركيبية البلاغية على النّحو التالي:

1)- الأسلوب التقريري.

إنّ الناظر في هذا الكتاب يجدُ أن صاحبه قد بناه وفق أسلوب مُحكم البناء تأخذ فيه الألفاظُ بعجُز بعضها، بأسلوب تقريريّ يبتعدُ فيه عن الإيحاء؛ والصّور البلاغية إلا نادراً؛ يضعُ فيه للقارئ مجموعة من المعلومات، ثمّ يبسُّطها كحقائق، لإقناع القارئ فمثلا يقول في تحليله لمصطلح (يوم الدين)[53]: "والدّينُ يجيئ بمعنى الملة" – مُدلّلاً على ذلك من القرآن- "وبمعنى الجزاء" – مدلّلا على ذلك من لغة العرب- ثمّ يستنتجُ قاعدة من ذلك مفادُها أن المقصود من مصطلح (يوم الدين) أي: يوم الإسلام ويوم الجزاء.

2)- أسلوب الفنقلة.

وهو: أسلوب تعليمي مشهورٌ عند المتقدمين والمتأخرين؛ قائمٌ على السؤال والجواب المحقّق، وتكونُ بسبقِ رأي السّائل بعبارة (فإن قلتَ كذا) أو (فإن قيل كذا)، ونحو ذلك؛ ثمّ إنّ الفنقلة أو الفنقلات هي: عبارة عن مسائل ونكاتٍ تُطرحُ في أسلوب الحوار والجدال العلمي[54]، ونجد الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي يستعملُ هذا الأسلوب في طيّ تفسيره لسورة الفاتحة؛ من ذلك قوله: "فإن قلتَ ليس الضّلال من صفة اليهود .... قلتُ: لم كان غالبُ حال اليهود في كُفرهم العِناد لا

[53] ينظر؛ المرجع السابق، ص228-229

[54] ينظر؛ العبدلي، خلود شاكر فهيد، فنقلات المفسرين، مجلة العلوم الشّرعية، جامعة القصيم، 2019م، المجلد12، العدد3، ص1550

عتدائهم"[55]، وفي قوله : "قلتُ: وعلى تعريف الحمد بما قرّرناه عوّل المتحقّقون من المتأخرين"[56]، وغير ذلك مما لم يذكر.

المبحث الرابع: مرتكزات الدرس التفسيري عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

المطلب الأول: الجانب الاصطلاحي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

الفرع الأول: المصطلح

المصطلح لغة مشتقّ من فعل (صلح)؛ والصّلاح ضد الفساد[57]، أما اصطلاحً؛ فيمكنُ تعريفه على أنه صورة لغوية، قد تكون كلمة مفردة، أو عبارة مركبة من كلماتٍ متعدّدة، أو رمزًا، تدلُّ على مفهومٍ مجرّد أو محسوس ضمن حقل موضوعيّ محدّد، وقد يوصفُ بأنه قويّ إذا حاز على اتّفاق المتخصّصين في ذلك المجال، وبأنه ضعيفٌ إذا لم يحُز على ذلك[58].

من خلال ما سبقَ يتّضح أنّ من شروط المصطلح؛ دَلالته على مفهوم، سواء كان هذا المفهوم مجرّدًا أو محسوسًا، وأن يكون ضمن حقلٍ موضوعيّ محدّد، حتى يكتسب بذلك قوته الاستيعابية، لأنه باختلاف الحقل، تختلف وجهات النّظر للمصطلح، ومن ثمّ فصوغُ المصطلح في حقلٍ غير حقله ينتج عنه اختلافٌ في بنيته الدّلالية، ومن ثمّ ينعكسُ هذا الاختلاف إلى اختلاف في محامله، والمسائل التي تندرج تحت صيغته المفهومية، "فالمصطلح هو فقرات صلب العلم، وليس أدلَّ على ذلك من أننا إذا جرَّدنا أي علم من مصطلحاته فلا يبقى منه بعد ذلك شيء، وذلك أمر مطّرد في جميع العلوم لا يند عنه منها شيء. فإذا كان "من العلم ما هو صلب العلم، ومنه ما هو ملح العلم[59]،

---

[55] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص235

[56] ينظر؛ المرجع السابق، ص225

[57] ينظر؛ ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص462

[58] ينظر؛ قاسم طه السّارة، مبادئ علم المصطلحات، دار السلام، ط1، 1438هـ–2017م، ص16

[59] ينظر؛ الشاهد البوشيخي، مصطلحات النّقد العربي لدى الشّعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج، دار الغرب، بيروت، ط1، ص7

والناظر في كتاب تفسير الفاتحة للشيخ عبد الكريم المغيلي يلفتُ نظره تعدّد المصطلحات في حقول شتى؛ منها مصطلحات ذات دلالة لغوية، ومصطلحات ذات دلالة كلامية، ومصطلحات ذات دلالة بلاغية، ومصطلحات ذات دلالة تفسيرية، مصطلحات ذات دلالة فقهية، مصطلحات ذات دلالة أصولية، وهذا مما يميّزه هذا المختصر صغير الحجم كبير المعاني والدّلالات الإيحائية في حقول مترامية الأطراف، وفنون غير متناهية المباحث.

الفرع الثاني: التحرير الاصطلاحي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

المصطلحات هي مفاتيح العلوم على حدّ تعبير القدماء، ومن كشف المصطلح ومدلوله حصّل العلم ومقصوده، لأنّ المصطلحات نصف العلم، وقد اعتنى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بالمصطلح عناية خاصّة، يمكنُ ذكرُ أبرز معالم منهجه الاصطلاحي فيها في النّقط الثلاث التّالية :

1)- الرّبط بين المدلول اللّغوي والاصطلاحي للمصطلح.

من بين أبرز معالم المنهج الاصطلاحي لدى الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في تعامله مع المصطلحات أنه يربطُ بين المدلول اللّغوي والاصطلاحي للمصطلح الواحد فنجدهُ مثلا عند تعرّضه لأي مصطلح يكشف عن نكته اللّغوية والبلاغية التي يكتنزها ثمّ يعلّق عن استغراقه الاصطلاحي الذي عوّل عليه المحقّقون؛ ويستخرجُ دلالة اصطلاحية خاصّة للمصطلح يراها خلاصة ما اكتنزه المصطلح ونتاج دراسته، ومثال ذلك مصطلح الحمد[60]؛ الذي يظهر فيه هذا المعلم جليًّا حيث يربطُ فيه بين المدلول اللّغوي والاصطلاحي؛ ليستخلص في الأخير؛ "أنّ الحمدَ هو: الثّناءُ بجميل أزليٍّ أو اختياريّ تعظيمًا"[61].

[60] يرجع؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص221، 222، 223

[61] ينظر؛ المرجع نفسه، ص223

2)- رصد المصطلحات في الأدبيّات العربية.

قد اهتمّ العربُ بالمصطلحات العلمية والفنية منذُ عهد مبكر، وازدادت أهمية المصطلحات حينما نشطت الحركة العلمية والفكرية، وبدأ عهدُ التّرجمة واحتاج المؤلّفون والمترجمون إلى ألفاظ تدلُّ بدقّة على العلوم والفنون، وأصبحَ المصطلحُ مهمًّا في تحصيل العلوم، لأنه يحدّدُ قصد المؤلّف أو المترجم، وأخذ المهتمون بالعلوم يعنون به كثيراً[62]، وقد عرف العربُ منذُ عهد مبكر ما في لغتهم التي نزل بها القرآن الكريم من قدرة على النمو والازدهار، و وجد الأدباء والعلماء الأبواب مشرعة أمامهم، فطوفوا في آفاق واسعة، وصوّروا ما في أحاسيسهم، وسجّلوا آدابهم وعلومهم وفنونهم في طواعية اللّغة العربية ما أعانهم على ذلك[63]، والناظر في (مختصر تفسير الفاتحة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي) يلحظُ أنّ الشيخ كثيرا ما يسوق أبياتًا من الأدبيات العربية ليؤصّل بها استعمال المصطلح عند العرب؛ فمن ذلك قول الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:[64] "وبمعنى الجزاء كقول الشّاعر في بحر الكامل:

واعلم يقينًا أن ملكك زائل ... واعلم بأنّ كما تدين تدان[65]".

3)- التّدليل في سرد المصطلحات القرآنية.

4)- بيانُ معاني الأسماء، ومصدر تسميّتها في اللسان العربي؛ يقول الشيخ المغيلي في ذلك: "و أولُ ما يفتقرُ إليه النّاظر بعد تصحيح النّظر، معرفة معاني الكلمات"[66].

---

[62] ينظر؛ أحمد مطلوب، بحوث مصطلحية، مطبعة المجمع العلمي، منشورات المجمع العلمي، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق، 2006م، ص9

[63] ينظر؛ المرجع نفسه، ص17

[64] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص229

[65] وقد ورد هذا البيت في كتاب الكامل في اللّغة والأدب بلفظ: "واعلم وأيقن أن ملكك زائل ... واعلم بأن كما تدين تدان"؛ ينظر: المبرد؛ محمد بن يزيد، أبو العباس (ت285هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1417 هـ – 1997 م، ج1، ص259

المطلب الثاني: الجانب العلمي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

الفرع الأول: المسائل العلمية التي أشار إليها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

أولا: مسائل أصول النحو

يمكن القولُ أنّ علم أصولِ النّحو؛ هو تلك الأسس أو الأدلة النحويّة التي بنى عليها النحاة أحكامهم، معوّلين في ذلك على تلكمُ الشواهد القوية والحجج السليمة، فكان منهجاً علمياً، يقول في ذلك السّيوطيُّ: أصول النحوّ:" علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل[67] "، والناظر في هذا المختصر البديع يجدُ فيه أن الشّيخ المغيلي قد غرف من بحر علم أصول النحو؛ ويحسُنُ أخذ مسألة من ذلك على سبيل المثال لا الاستدلال؛ مسألة المعرّف ب(أل)؛ فقد اختلف النحويون في المعرف بـــ"أل" على ثلاث مذاهب؛ أحدها: أن المعرف "أل" والألف أصل، الثاني: أن المعرف أل والألف زائدة، الثالث: أن المعرف اللام وحدها، والاحتجاج لهذه المذاهب يستدعي تطويلا لا يليق بهذا الإملاء، وتنقسم "أل" المعرفه إلى ثلاثة أقسام؛ وذلك أنها إما لتعريف العهد، أو لتعريف الجنس، أو للاستغراق[68]، والمعرّف بــ "أل" المفيدة استغراق الجنس عند الشيخ المغيلي، وغيره من الأصوليين من صيغ العموم المتفق عليها، مثّل لذلك في قوله عند تحليله مصطلح الحمد المعرف ب(أل) : "وعلى الثالث (الاستغراق) يكونُ المعنى: "كلُّ حمدٍ راجعٌ في الحقيقة لله، وإنْ صُرف في ظاهر الكلام، وتخيُّلات الأوهام لغير الله؛ لأنّه إنْ كان على الكمال فلا كمال إلاّ لله، وإن كان على الافضال فلا فضل إلاّ من الله"[69].

---

[66] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص220

[67] ينظر؛ السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت911هـ)، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 2006م، ص13

[68] ينظر؛ عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383 ، 112

[69] ينظر؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص221

ثانياً: مسائل القراءات القرآنية

قال ابن فارس: "(قري) القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع؛ من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة: جمعته، وذلك الماء المجموع قري. وجمع القرية قرى، جاءت على كسوة وكسى. والمقراة: الجفنة، سميت لاجتماع الضيف عليها، أو لما جمع فيها من طعام"[70].

ثمّ إنّ القراءات القرآنية؛ هي: علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرهما، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف[71]، والنّاظرُ في (مختصر تفسير الفاتحة) للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي يلتمسُ سَعة اطّلاعه على هذا الفنّ، بيدَ أنّه سجّل اجتهاده في كتابه توجيه القراءة القرآنية للفظين فقط (ملك)[72]، و (عليهِم)[73]، ويمكنُ تعليل ذلك بكونه صنّف كتابه اختصارًا، فذكر مباحثه فيه على سبيل الاختصار والتوجيه.

أولا: مسائل علم المقاصد الشّرعية

والمقاصد في المنحى اللغوي جمع مقصد، والمقصد؛ مصدر ميمي مأخوذ من الفعل (قصد)، القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصدًا ومقصدًا ومقصدًا[74]، عرّفها ابن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العام: هي المعاني والحِكم الملحوظة للشّارعِ في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها

---

[70] ينظر؛ ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر، 1399هـ - 1979م، ج5 ص78

[71] ينظر؛ الصّباغ؛ محمد بن لطفي، لمحات في علوم القرآن واتّجاهات التّفسير، المكتب الإسلامي، الطّبعة الثالثة، 1990م، ص164

[72] يرجع؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص296

[73] يرجع؛ المرجع نفسه، ص233

[74] ينظر؛ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، ت؛ عبد السلام هارون، مصطفى البابي، مصر، ط1، بيروت، دار الفكر، 1399ه-1979م،ج5، ص94

بالكون في نوعٍ خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحِكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظةً في أنواع كثيرة منها"[75]، عقّب عبد الله بن بيه على هذا التعريف بقوله: (وهذا التّعريفُ الموسّعُ ليس حدًّا منضبطًا بالجنس والفصل لمقاصد الشريعة، وإنّما هو لنوعٍ من المقاصد؛ وهو المقاصد العامة)[76].

والنّاظر في (مختصر تفسير الفاتحة) للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، يجده لا يكادُ يغفلُ ذكر الجانب المقصدي الأساسي، فهو إنما صنّف كتابه لغرض الإجابة عن من طلب منه تفسير الفاتحة سالكًا في ذلك مسلك الاختصار ابتداء، ثمّ إن الشّيخ المغيلي لم يغفل في إجابته المقاصد الفردية؛ التي ركّز عليها المتقدمون؛ من ذلك قوله بعد سياقه للآيات القرآنية: "... فسياق الآيات الثّلاث أفهمَ على الاستدلال على الكمال، واستنهضَ العبادَ للإخلاص على حسب الأحوال..."[77]؛ وهذا فيه تعليق لمقصد الإخلاص وهو مقصد يحقّق حفظ الكليات كلّها من جانب الوجود، فإذا أخلص العبدُ في دينه تحقّق له حفظ الدّين، وإذا أخلص في ما يحفظُ به نفسه ونفس غيره من الهلاك؛ حقّق حفظ النّفس، وإذا أخلص في معاملاته المالية؛ حقّق حفظ المال.. وهكذا يتحقّق بالإخلاص في الأفعال حفظ المقاصد الفردية كلها؛ وإذا تحقّق حفظ المصالح الفردية حفظت بذلك المصالح العامة، وحقّق المقصد الأول من التّشريع.

الفرع الثاني: المسالك التفسيرية التي سلكها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

وهنا يحسُنُ عرض هذه المسالك على سبيل الإجمال؛ وبيانها كالتّالي:

[75] ينظر؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت؛محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط2، 2001، ص251

[76] ينظر؛ ابن بيه، عبد الله بن الشيخ المحفوظ، مشاهد من المقاصد، دار وجوه للنشر والتوزيع، ط2، 2012م، ص22

[77] يرجع؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي –تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي–، مرجع سابق، ص239

1)- المقدمة التمهيدية: واحتوت هذه المقدمة؛ أوّلا افتتاحه بالحمدلة والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه؛ وقد قدّم الآل لأنّ الصّلاة على الآل بطريق النصّ، وعلى الصّحب بطريق القياس[78]، ثمّ دعا الله تعالى التوفيق له وللسائل؛ الذي سأله أن يكتب له جملة مختصرة من تفسير فاتحة الكتاب، ذكرى لأولي الألباب[79].

2)- ذكر أسماء السّورة المتفق عليها والمختلف فيها؛ وبيّن وجه تسمية كلّ منها[80].

3)- بيان المكيّ والمدني؛ واختار من ذلك أشهر الأقوال: بأن ما نزل قبل الهجرة مكيًّا، وما نزل بعد الهجرة مدنيٌّ، ثمّ اختار من الأقوال قول ابن عباس رضي الله عنه بأنّ الفاتحة مكيّة[81].

4)- بيانُ ما ورد في السورة من فضل، ودلّل على ذلك بأربعة أحاديث لبيان فضلها[82].

5)- ذكره لمسألة فقهية متعلّقة بالفاتحة في قوله: "..وأنه لا تصحّ الصّلاة إلابها.."[83]؛ وهذا الفرع الفقهي متّفقٌ عليه، كما اتفق الفقهاء على وجوب اقتداء من لا يحسنُ قراءتها بمن يحسن، واختلفوا في ما سوى ذلك؛ قال القاضي عبد الوهاب: "ومن لا يحسن أم القرآن صلى خلف من يحسنها، فإن لم يقدر كبر واعتدل وسبح إن أحسن ثم ركع ولا يجزئه أن يقوم من يحسنها، وعليه أن

---

[78] يرجع؛ البكري؛ محمد بن علي بن محمد بن علان (ت1057هـ)، الفتوحات الرّبانية على الأذكار النواوية، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، 1971م، ج3-4، ص231

[79] يرجع؛ شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي -تفسير الفاتحة ومراجعاته مع الإمام السنوسي-، مرجع سابق، ص217-218

[80] يرجع؛ المرجع نفسه، ص202 و218

[81] المرجع نفسه، ص202 و218

[82] المرجع نفسه، ص218

[83] المرجع نفسه، ص218

يأتم به إلا ألا يصلح للإمامة، ويجوز أن يؤم مثله، ومن فرغ منهم من قراءة أم القرآن أمن المنفرد والمأموم والأفضل للإمام الإجزاء"[84].

6)- التّحليل اللّغوي والبلاغي والنحوي، والعقدي؛ وقد تقدّم بيان بعض ميزاته.

خاتمة الدراسة:

لم تكن إسهامات الشيخ المغيلي ذات طابع نظري في تفسير كلام الله ووضع لبنات منهجية لطلبة العلم فقط؛ بل امتد أثر علمه وعبقريته إلى ترجمة روح القرآن في محاربة أعداء الله والعقيدة من مروجي الدجل من اليهود وأعوانهم.

حيث مازال اليهود عبر التاريخ الطويل يتذكرون شكل وطريقة طردهم واختفائهم من الجنوب الجزائري، خاصة بمنطقة تمنطيط بأدرار، رغم أنهم أسسوا نظاما تجاريا هناك، وبنوا القصور ودور العبادة.

وقد أوضحت دراسة إسرائيلية حديثة أنّ معظم الأكاديميين في الجامعات الإسرائيلية منشغلون بشخصية العالم والزاهد عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي طردهم بحدِّ السيف من مناطق توات، كما يعملون على معرفة الكثير حول هذه الشخصية الجزائرية، ويبحثون عن آثار اليهود، محاولين وضع مخطط لمسح هذه الجهات الجغرافية ودراسة الآثار التي تركوها هناك، وتتميز هذه الأبحاث بالدقة والبحث المعمّق عن هذا الجانب الذي ينعته بعض الحاخامات بـ"الهام" بل ويصفه البعض بـ"الكنوز التاريخية لليهود عبر العالم".

حيث يعمل فريقٌ آخر من مؤرخين على البحث عن العرق الضائع بمنطقة تمنطيط بأدرار، حيث دخلها اليهود أثناء هجرتهم المعروفة، وكانت هذه المنطقة التي أصبحت بلدية تابعة لولاية

[84] ينظر؛ القاضي؛ أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (ت 422هـ)، التلقين في الفقة المالكي، تح: أبي أويس محمد بوخبزة الحسني التطواني، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1425هـ-2004م، ج1، ص45

أدرار حاليا، تشتهر بالمعاملات التجارية والاقتصادية، كما كانت منطقة مستقرة وآمنة، وحاضنة للعلم والعلماء وأهل الدين في السودان الكبير، مما جعل شيخنا العلامة عبد الكريم المغيلي يشتهر بها وبآرائه وأحكامه الشرعية، خاصة فتواه القاضية بجلاء اليهود من المنطقة الذين سيطروا على منطقتي تخفيفت وتمنطيط وأمسكوا قبضتهم عليها وعلى مداخلها وأسواقها.

ومن خلال هذه الشذرات والإشارات أصبح لزاما ونحن في مرحلة استجماع مآثر وإنجازات علمائنا في الجنوب الكبير، وعبر بقاع الأرض الطاهرة، توجيه دراسات أكثر عمقاٌ لنفض الغبار على درر ولآلئ ومآثر علماءنا ومشايخنا، وتوجيه الطلبة في رسالات التخرج والتعمق في مباحثهم ودروسهم الثرية تاريخيا وفكريا.

منهج الشيخين: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (ت 1914) والشيخ صالح بن عمر لعلي (ت 1928) في تفسير القرآن الكريم.

حاج أحمد بن حمو كروم، أستاذ الشريعة بمعهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية غرداية – الجزائر

مقدمة:

إن القرآن الكريم مرجعية كل مسلم على وجه الأرض إلى يوم القيامة، ولا يزال العلماء والباحثون عبر العصور الإسلامية يتنافسون في توضيح معانيه وأحكامه لأقوامهم بمختلف اللغات والتوجيهات والقناعات. وفي وطننا العزيز الجزائر رجال صادقون قاموا بتفسير كتاب الله العزيز في المساجد والمعاهد والزوايا والجامعات لطلابهم النجباء وللمريدين الأوفياء.

وأحد أول مفسر لكتاب الله هو الشيخ ابن المحكم الهواري في جبال الأوراس بالقرن الثالث الهجري.. مكتوبا باللغة العربية بعنوان «تفسير كتاب الله العزيز» حققه الشيخ بلحاج شريفي عام 1410/ 1990.

وآخر هؤلاء العظماء هو الشيخ محمد سعيد كعباش حفظه الله في كتاب «نفحات الرحمن رياض القرآن». وكنا حاضرين لبعض حلقاته في المسجد العتيق بمدينة العطف ولاية غرداية إلى أن أتمه كتابة وتسجيلا واحتفالا عام 2015 تقبل الله منه وأجزل مثوبته.

وبين الأولين والآخرين نجد علماء رابطوا وصبروا وصابروا في الجهد العظيم ظهرت منهم عبقريات أضافت لهذه المسيرة العلمية الخالدة أنوارا فوق أنوار.

وتثمينا لهذه الجهود النبيلة في هذا الميدان الكريم أشارك إخواني أعضاء موسوعة أعلام التفسير في الجزائر» بأن أعرفكم بعلمين من علماء التفسير في جنوب الجزائر هما:

1) الشيخ محمد بن يوسف اطفيش (ت 1914) وجهوده في التفسير.

2) الشيخ صالح بن عمر لعلي (ت 1928) وجهوده في التفسير.

وكلاهما من مدينة بني يزقن، والثاني تلميذ للأوّل.. وقد درست تفسيرهما دراسة موسعة في بحوث وتحقيقات لمدة عشرين عاما ووضعت لكلّ واحد منهما الخطة الآتية:

أ) الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وجهوده في التفسير وقسمته إلى مبحثين هما:

المبحث 1: الشيخ اطفيش في مسيرة حياته.

المبحث 2: منهج الشيخ اطفيش في تفاسيره الثلاثة:

- هميان الزاد إلى دار المعاد

- داعي العمل ليوم الأمل

- تيسير التفسير.

ب) الشيخ صالح بن عمر لعلي وجهوده في التفسير:

المبحث 1: الشيخ صالح لعلي في مسيرة حياته.

المبحث 2: منهج الشيخ صالح لعلي في تفسيره «القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز»

وقد اعتمدت في البحث على الأيام العلمية التي نظمت في حق الشّيخين.. كما اعتمدت على معاجم الأعلام.. وعلى تفاسيرهما وعلى دراسات جامعية أنجزت في حقهما.

المبحث الأول: ترجمة المؤلف: قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، اليسجني (1243-1332هـ/ 1824-1914م)[1]

المطلب الأول: مولده ونشأته:

ولد في مدينة غرداية العريقة[2] بشمال صحراء الجزائر، ولد الشّيخ امحمّد بن يوسف بن عيسى بن صالح، اطفيّش لقبا[3]، وهو من عشيرة آل با امحمّد ببني يزقن، وينتهي نسبه إلى الحفصيين بتونس[4].

والده من أعيان زمانه، مارس التجارة في شمال الجزائر ثمّ في مزاب وقد توفي 1248هـ/ 1829م. وأمّه هي السيدة: مامه ستّي بنت الحاج سعيد بن حمو بن عدّون، من عشيرة آل يدّر ببني يزقن، وكانت من خيرة نساء زمانها، قامت برعاية ابنها اليتيم أحسن رعاية مع إخوته الثلاثة: إبراهيم وموسى وعيسى ثم رجعت بهم إلى بني يزقن بعد وفاة والدهم.

المطلب الثاني: تعلمه:

في سنة 1248هـ/ 1829مألحقته أمّه بإحدى الكتاتيب القرآنية، فتخرّج فيها حافظا لكتاب الله ولمّا يبلغ التّاسعة من عمره، ثم أصبح يلازم حضور مجالس العلماء في دور العلم والمساجد، نذكر منهم:

1- أخوه الأكبر إبراهيم بن يوسف اطفيش ببني يزقن.
2- الشيخ الحاج محمّد بن عيسى أزبار، بمسجد بني يزقن.

---

[1]- صالح سيوسيو ،فهرس مخطوطات القطب اطفيش ص 5- 6 عام 2013/ 1434.

[2]- محمّد علي دبّوز نهضة الجزائر لمحمّد علي دبّوز، ج1/ ص 290.

[3]- هذه كلمة بربريّة مركبة تركيبا مزجيا معناها: (خذ – تعالى – كل)

[4]- وينهي القطب نسبه إلى عمر بن الخطّاب العدوي رضي الله عنه في قصيدة له. انظر أبو إسحاق إبراهيم في تقديمه للذهب الخالص.

3- الشّيخ الحاج سعيد بن يوسف ونتن، ببني يزقن.

4- الشّيخ سليمان بن عيسى عدون، في مسجد بني يزقن.

5- الشيخ بابا بن يونس، في المسجد العتيق بغرداية.

6- الشيخ الحاج أحمد بن داود أمعيز ببساتين مليكة.

7- الشيخ عمر بن سليمان نوح في داره ببني يزقن.

وفي أوقات الفراغ كان يغشى المكتبات القديمة ويوسع فيها معارفه التي تلقاها عن هؤلاء المشايخ وغيرهم.

زواجه: تزوّج القطب[ء] ثلاث نسوة من بنات العلماء ذوات الصلة بالعلم والكتب وجمع بينهنّ، وهو أب لتسعة أولاد.

المطلب الثالث: مهامه العلمية والاجتماعية:

1ـ **التدريس ونشر العلم**: فتح القطب داره للتعليم ولـمّا يبلغ العشرين من عمره، فتوالت على حلقاته العامرة طيلة حياته حشود من الطّلبة من جميع قرى وادي مزاب، ووارجلان، وجربه، وجبل نفوسة، ولم ينقطع عن ذلك إلى حين وفاته.فكانت دروسه تستمرّ طيلة أيّام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة.

2ـ **الفتـــــوى**: يخصّص الشّيخ الفترة المسائيّة من كلّ يوم للإجابة عن الأسئلة الفقهيّة، والنّوازل التي توجّه إليه من داخل مزاب وخارجه، ومن داخل الجزائر وخارجها: كعمان، وليبيا، وتونس، والمغرب وزنجبار، وحتّى من اسطنبول ومصر ومكة المكرّمة.

وعندما تقدّم به السّن اتّخذ كتّابا لتحرير الأجوبة ونسخ الكتب، ومن هؤلاء نذكر: الشيخ الحاج سليمان مطّهري، والشّيخ حمّو بابه وموسى، وغيرهم رحمهم الله.

[ء]- وأول من لقّبه بهذا اللقب صديقه العالم الشّيخ عبد الله بن حميد السالمي العلماني (ت: 1332هـ/ 1914م)

3ـ **الوعظ والإرشاد**: لقد انضم القطب إلى حلقة العزابة بمسجد بني يزقن في زمن الشّيخ الحاج سليمان بن عيسى عدون، فارتقى في مهام الحلقة إلى أن تولى مشيختها خلفا لشيخه الحاج محمّد أزبار (ت1872م/ 1296ه)ـ. فأصبح يلقي دروسا في المسجد بعد صلاة الصبح إلى شروق الشّمس، يتعرّض فيها لاستنهاض الهمم ونشر التّعاليم الإسلاميّة ومحاربة البدع والآفات الاجتماعية والحث على مقاومة الاستعمار الفرنسي والغزو الفكري.

4ـ **التحرير والكتابة**: أثناء هذا العمل الدؤوب كان القطب -رحمه الله- يخصص الحظ الأوفر من وقته للتأليف والتّحقيق، ويقول تلميذه الشّيخ أبو اليقظان: «إنّه لم يكن يؤلف كتابا بعد كتاب، بل كان يؤلّف عدّة كتب في فنون مختلفة في وقت واحد، حتّى إذا ملّ من فنّ روّح عن نفسه في مؤلّف آخر، وهكذا دواليك إلى أن ينتهي[6]».

5ـ **رحلاته**: لم يخرج القطب من وطنه الجزائر إلا عندما سافر إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحج مرّتين (1873م-1886م)، وقد زار في طريقه بعض الحواضر العلميّة مثل: جامع الزّيتونة بتونس، والجامع الأزهر بمصر، وألقى دروسا في الحرم المدنيوالمكي[7].

وكانت له زيارات محلية يقوم بها في فصل الخريف والربيع إلى القرارة وبريان وورجلان[8]. كما قام بذلك في مدينة بنورة عندما هاجر إليها في بداية جهاده.

6ـ **مراسلاته**:وقد ولع بالمراسلات العلميّة مع علماء عصره وملوكه، ومع أنصاره في الجزائر، وفرنسا، وبريطانيا، ومصر، والحجاز، وزنجبار، وعمان، والبحرين، وتركيا، وجبل نفوسة بليبيا، وتونس، والمغرب الأقصى.

---

[6]- أبو اليقظان ملحق السّير لأبي اليقظان ص 157.

[7]- محمد علي دبوزنهضة الجزائر، ج1 ص 352.

[8]- تاريخ بني مزاب للحاج سعيد، ص 136.

كما زاره بعض من أعيان زمانه مثل سليمان بن الناصر اللمكي أمير دار السلام بزنجبار سنة 1900م، وتلميذه الزعيم سليمان الباروني باشا سنة 1325هـ/ 1907م.

المطلب الرابع: محنته:

لقد تعرض الشيخ رحمه الله إلى محن كثيرة منها نفيه في بداية مشوار حياته العلمية إلى قرية بنورة قرب مسقط رأسه لبضع سنوات.. كما تعرض لسجن الاستعمار الفرنسي عام 1882م/ 1300هـ، كما صبر لمعارضة بعض تلاميذه نهج الإصلاح الاجتماعي الذي التزمه.

المطلب الخامس: آثاره العلمية[9]:

من آثار القطب في مسيرته العلميّة والعمليّة المباركة نذكر:

أ) **تلاميذه:** تخرج في حلقاته العامرة مشايخ وأئمة، ودعاة وأساتذة، وقضاة ومجاهدون، من الجزائر وتونس وليبيا وعمان ومكة والمدينة وزنجبار[10].

ب) **تآليفه**: ألّف القطب في كثير من علوم الشّريعة.

وقد عدّ بعضهم مؤلفاته فوجدها تتجاوز ثلاثمائة مؤلف ما بين صغير وكبير ومتوسط[11]

وأمّا الرّسائل والردود والأجوبة والفتاوى فهي تعدّ بالمئات، وقد جال بها في جميع أصقاع العالم آنذاك، وأذكر من هذه الفنون: البلاغة، النّحو، الصّرف، العروض، أصول الفقه، النّبات، التّاريخ،

[9]– للتوسّع في آثار القطب العلميّة: وفي شخصيته البارزة انظر الدّراسات الأكاديمية التي ألّفت حوله، ومنها: الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش لجهلان عدون رحمه الله، الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن الكريم (التيسير) مقارنة إلى تفسير أهل السنة للدكتور يحي بن يحي، آراء الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش العقديّة للدكتور مصطفى وينتن (المطبعة العربية ط1،غرداية 1996)، وكلّها رسائل ماجستير.

[10]– عن أسماء هؤلاء العلماء راجع المصادر المعتمدة في هذه الترجمة.

[11]– ملحقالسير: لأبياليقظان،غيرأنالباحثوينتنمصطفيحقّقأنّعددمؤلّفاتالقطبهو: 106 مؤلفا،إليجانبالمراسلات الكثيرة

الحساب، الفلك، التّفسير، الحديث، علم القراءات، الأخلاق، الطّب، السّير، المنطق، العقيدة، الهندسة والعمران، علم الكلام، علم الأديان، الفرائض.

الرقم	عنوان المؤلف	ملاحظة
	التفسير:	
01	هميان الزاد إلى دار الميعاد (كله موسع)	مطبوع
02	داعي العمل ليوم الأمل	(من الرحمن إلى الخاتمة)
03	تيسير التفسير	كله مطبوع
	الحديث:	
01	ترتيب الترتيب	(مطبوع)
02	جامع الشّمل في حديث خير الرّسل	(مطبوع)
03	وفاء الضّمانة بأداء الأمانة	(مطبوع)
	الفقه	
01	شرح النيل وشفاء العليل	(مطبوع)
02	الذهب الخالص	(مطبوع
03	شامل الأصل والفرع	(مطبوع)

	العقيدة	
01	الذخر الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى	(مطبوع)
02	شرح عقيدة التوحيد	(مطبوع)
03	شرح معالم الدين	(مخطوط)
	السيرة النبويّة	
01	الغسول في أسماء الرسول	(مطبوع)
02	إجابة الدعوة لإصابة الدعوة	(محقّق)
03	السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة	(مطبوع)
	البلاغة:	
01	ربيع البديع في علم البديع	(مطبوع)
02	بيان البيان	(محقّق)
03	تخليص العاني من ربقة المعاني	(مطبوع)
	أصول الفقه:	
01	شرح شرح مختصر العدل والإنصاف	(مطبوع)
	الطب:	
01	تحفة الحب في أصل الطب	(مطبوع)
	العمارة:	
01	مختصر في العمارة	(محقق)

	علم الفلك:	
01	مطلع الملك في فن الفلك	(مخطوط)
	العروض:	
01	إيضاح الدليل إلى علم الخليل	(مطبوع)
	الصرف:	
01	شرح لاميّة الأفعال	(مطبوع)
02	الكافي في التّصريف	(مطبوع)
	الحساب والجبر:	
01	شرح القلصادي في الحساب والجبر	(مخطوط)
	القراءات:	
01	أرجوزة جامع حرف ورش	(مطبوع)
02	تلقين التالي لآيات المتعالي	(مطبوع)
	التاريخ:	
01	رسالة شافية في بعض تواريخ وادي مزاب	(مطبوع)
02	كتاب الإمكان في ما جاز أن يكون أن كان	(مطبوع)
	الأدب:	
01	قصائد شعرية في المديح وغيره وخطب مختلفة	(مطبوع)

	المنطق:	
01	إيضاح المنطق ببلاد المشرق	(مخطوط)

ج) **مكتبته**: فتجمّع لدى القطب خلال هذه المدّة الطّويلة من مسيرته العلميّة مما ألّفه وممّا وصل إليه من مختلف المصادر مكتبة زاخرة بالمراجع والمصادر المعتمدة في علوم الشريعة واللغة العربية تشهد له بتمكنه العلمي وتفتح ذهنه وسعة أفقه[12].

وفاته: توفي رحمه الله يوم السبت 23 ربيع الثاني 1332/ 21 مارس 1914 ببني يزقن ودفن في مقبرة آل بامحمد عن عمر يناهز 90 عاما. رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

المطلب السادس: مميزاته الشخصية:

لقد تظافرت صفات مختلفة في تمييز شخصية القطب اطفيش، نذكر منها على سبيل العدّ فقط:

الذكاء الوقّاد، وقوّة الحافظة، والاستمرارية في العمل، والشجاعة، والإخلاص للعلم وخدمته طاعة لله، والغيرة الشديدة على الإسلام، والكرم والسخاء.

المطلب الثامن: مكانته العلمية:

لقد تمكن القطب بفضل عزيمته الصادقة وإخلاصه الشديد، وطموحه الواسع، من الوصول إلى درجة الاجتهاد ولما يتجاوز الستين من عمره، فقال عن ذلك: «وقد كنت اجتهد بالقياس على أصل أمامي، ولا أكاد أصيب إلا قولا يوافق ما قلت والحمد لله، ثم انتقلت عن هذه الدرجة إلى ما

[12]- عن بعض محتوى هذه المكتبة راجع فهرس موضوعي لمخطوطات مكتبة القطب ببني يزقنتأليف الأستاذ يحي عاشور، بحث مقدّم لنيل شهادة الليسانس في علم المكتبات 1987.

فوقها والحمد لله»[13]. ويقول الشيخ أبو اليقظان: «ناقش علماء الحرم وتباحث معهم فشهدوا له بالتفوق العلمي»[14].

وهم: الشيخ زيني دحلان، والشيخ حسبي الله الشافعي، والشيخ إبراهيم حقي الحنفي، والشيخ عليش المالكي، ورحمة الله الهندي.[15]

وقد عرف الشيخ محمد عبده المصري قدر القطب فعظّمه واحترمه، وقد جاء ذلك في بعض مراسلات كانت بينهما[16].

ومن أجل ذلك تقلّد أوسمة عالمية إكراما له من تركيا عند حل لغز الماء عام

ومن فرنسا وسام «لابالم أكاديميك» لنفس المناسبة.

ومن زنجبار تقديرا لجهوده عام 1319/ 1900.

كما نظمت له خمس ملتقيات عالمية ووطنية أذكر منها:

جمعية البلابل الرستمية عام 1981/ 1401.

جامعة غرداية نظمت له ملتقى وطنيا عام 1432/ 2011.

جامعة غرداية نظمت له ملتقى دوليا عام 1436/ 2014.

المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر ملتقى وطنيا عام 2011.

جامعة غرداية نظمت له ملتقى دوليا في كلية الآداب عام 1441/ 2020.

---

[13]- شامل الأصل والفرع، ج1 ص 13.

[14]- ملحق السير، ص 159.

[15]- رسالة الرد على العقبي للقطب ص 9 و10.

[16]- السلاسل الذهبية لإبراهيم بن أبي بكر، ص 10.

المبحث الثاني:

بطاقة تعريف عن تفاسير القطب: إضافة إلى كون التفسير مادة رئيسية في حلقاته العلمية كما هي الطريقة المتبعة لدى كثير من علماء السلف، فقد ألف القطب اطفيش ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم في مراحل مختلفة من عمره الطويل، وإليك بيانها بالترتيب:

المطلب الأول: هميان الزاد إلى دار المعاد:

أتم تأليفه سنة 1271هـ/ 1852م، أي قبل إتمام السن الثلاثين من عمره، وقد طبع مرّتين في زنجبار سنة 1314هـ – 1896م، وفي سلطنة عمان سنة 1411هـ–1991م.

مضمون الكتاب:

لقد أتم فيه القطب اطفيش تفسير القرآن الكريم كاملا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. وهو من نوع التفسير بالمأثور أي أنه استفاد كثيرا من التفاسير السابقة له فتجده يحيل إليها في كثير من مباحثه الفقهية واللغوية والبلاغية والعقدية، وينقدها نقدا علميا مقارنا بين المذاهب الفقهية ومذاهب التفسير.

توجد النسخة الأصلية لهذا التفسير في مكتبة المؤلف القطب اطفيش في بني يزقن، غرداية، جنوب الجزائر، كما توجد نسخ كثيرة في مختلف مكتبات وادي مزاب بغرداية.

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



هيميان الزاد إلى دار المعاد

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء العاشر

أول

١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م

مميزات تفسير همان الزاد:

هميان الزاد إلى دار المعاد هو تفسير ضخم وسع فيه القطب اطفيش توسيعا وقد شعر بذلك حتى اضطره الأمر إلى اختصار هذا الكتاب وتحويله إلى تيسير التفسير.

وهذا التفسير يمتاز بما يلي:

1) تفسير القرآن بالقرآن الكريم.

2) تفسير القرآن بالسنة النبوية.

3) تفسير القرآن بمأثور من أقوال الصحابة والتابعين.

4) توظيف مباحث علوم القرآن مثل علم أسباب النزول وعلم المكي والمدني وعلم المحكم والمشابه وغيرها.

5) توظيف علم القراءات والتجويد لمعرفة المعاني المرجحة لمعنى الآية الكريمة.

6) الاستشهاد بالشعر لضبط المعنى اللغوي للآيات القرآنية.

منهج التفسير في هميان الزاد:

1) كل سورة تبدأ بمقدمة لذكر ترتيب السور وفضائلها.

2) كل سورة تنتهي بدعاء مكرر هو: «اللهم بحقّ نبيك علينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبركة السورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلّب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه».

3) النقد اللاذع للإسرائيليات التي ترد في التفاسير الأخرى.

4) اختيار مذهب التأويل في تفسير المتشابه من الآيات والمجاز في التعبير.

5) الترجيح بين الآراء حسب قوة الدليل ولو خالف المذهب الإباضي.

الخدمات المتوالية على الكتاب:

1) طبع الكتاب الطبعة الأولى في سلطنة زنجبار وقد واعتنى به ووقفه للمسلمين السلطان برغش بن سعيد عام 1314هـ/ 1896 في المطبعة السلطانية وتوجد منه نسخ في مكتبات وادي مزاب غرداية، جنوب الجزائر.

2) وأما الطبعة الثانية فقد اعتنى به وزارة التراث بسلطنة عمان عام 1411هـ/ 1991م في عشرين مجلدا

3) الدكتور يوسف السرحني: أنجز بحثا جامعيا لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة الزيتونة بتونس عام 1425/ 2004 بعنوان: «الشيخ اطفيش ومنهجه في التفسير»، وقد درس ذلك من خلال «هميان الزاد إلى دار المعاد».

المكانة العلمية لهذا التفسير: لقد حظي هذا التفسير بقصائد شعرية تمدح الكتاب والمؤلف والممون للمشروع في القرن 19 الميلادي.

المطلب الثاني: داعي العمل ليوم الأمل:

ما يزال مخطوطا ولا توجد منه نسخة كاملة حسب علمنا، يقول أحد تلاميذ القطب اطفيش الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش: «هذا التفسير لثمن القرآن الكريم من سورة الرحمن إلى الخاتمة، في أربعة أجزاء وهو جدير بالاعتناء والاعتبار، ومن أجلّ التفاسير وأغزرها لما فيه من حقائق التفسير ودقائق التنزيل...»

المنهج: وعن منهج الشيخ في هذا التفسير يقول الشيخ أبو إسحاق: «وليس بتفسير بسيط بل سلك المفسر فيه منهج البسط والتحقيق لما اختلفت فيه الأمة من معاني الآيات ووجوه التأويل، فلئن كان تفسيرا لقسم من كتاب الله فإنه تناول ما كان عامة الأمة في حاجة إليه، والقصد إليه وأشد وهو القسم المفصّل من القرآن فإنّه قسم خاص». ثم يستطرد قائلا: «... يجد فيه مريد تحقيق

الآيات من بدائع التفسير، وبلاغة القرآن، وأصول الأحكام، وتحرير المشكل، وتأويل الحق للمتشابه، ما لا مزيد بعده للمستزيد».

المضمون: وأما عن مضمونه فإنه يقول:

«فشيخنا كان في نيته إكمال تفسير كتاب الله وتقسيمه إلى اثنين وثلاثين جزءا، فتناول أولا الثمن الأخير منه، ثم ابتدأ في تفسير الثمن السابع، ففسر بعض آيات من سورة "ص" فعاجلته المنية قبل أن يكمله». ويقول الباحث المحقق د.مصطفى شريفي: «قد بدأه من سورة الرحمن، وما بقي منه إلى غاية آخر سورة المزمل، غير أن القرائن -من داخل النص نفسه- أن الشيخ لم يفسر فيه القرآن كاملا، ونلاحظ أن الناسخ كتب فوق سورة الرحمن الجزء التاسع والعشرون، وفوق جزء سورة الممتحنة الجزء الثلاثون، وفوق جزء سورة القلم الجزء والواحد والثلاثون، فيكون جزء عم هو الجزء الثاني والثلاثون»[17].

مكان وجوده: توجد منه نسخة في مكتبة القطب اطفيش ببني يزقن تنقصها كراريس وتتمتها بمكتبة الشيخ الخليلي بسلطنة عمان[18]. وتوجد منه نسخة بمكتبة الشيخ حمو بابا وموسى بغرداية وهي في خزانات مكتبة مجلس الفتوى التابع لمعهد عمي سعيد بغرداية.

الخدمات المتوالية على الكتاب: يقول د. شريفي: «هذا التفسير حققه كل من الأساتذة: باجو مصطفى، وباباعمي محمد وشريفي مصطفى»[19].

ويعتبر هذا التفسير هو التفسير الثاني الذي ألفه القطب في حياته بعد تفسيره الأول «هميان الزاد إلى دار المعاد» وقبل التفسير الأخير الذي يعتبر اختصارا لهما وهو تيسير التفسير.. يقول القطب

---

[17]- القطب اطفيش: تيسير التفسير ج1 ص (غ) المقدمة.

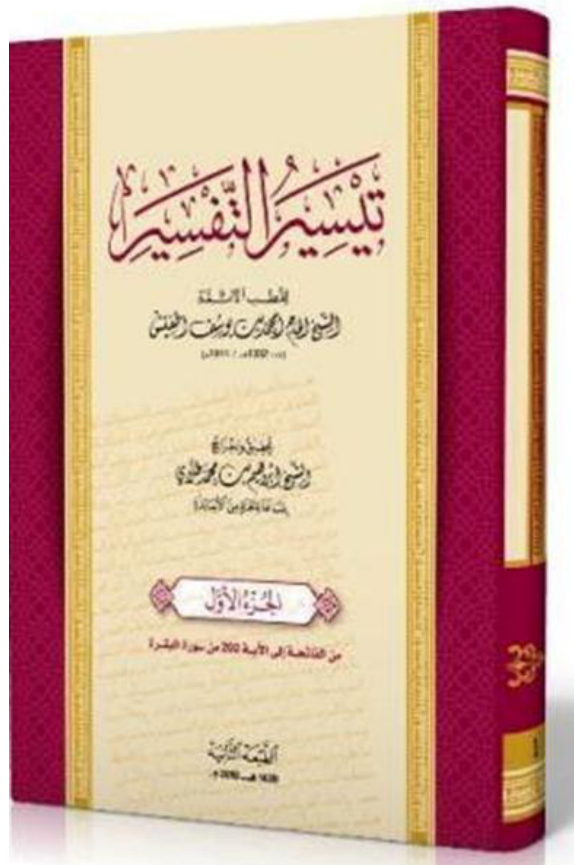
[18]- صالح سيوسيو: فهرس مخطوطات مكتبة القطب اطفيش ص 132.

[19]- القطب اطفيش: تيسير التفسير ج1 ص (غ) المقدمة.

اطفيش: في مقدمة تيسير التفسير: «أما بعد فإنه لما تقاصرت الهمم على أن تهيم بـ«هميان الزاد إلى دار المعاد» الذي ألفته في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري «داعي العمل ليوم الأمل» نشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل»[20].

المطلب الثالث: مضمون كتاب تيسير التفسير:

لقد فسّر فيه القطب اطفيش القرآن الكريم كاملا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. وهو تفسير لغوي فقهي وتعليمي متمكن، وتوجد مخطوطته الأصلية من خط المؤلف في مكتبته ببني يزقن، غرداية، جنوب الجزائر.



[20]– القطب اطفيش: تيسير التفسير ج1 ص 1.

مميزات تيسير التفسير:

ويمتاز تيسير التفسير بمميزات وهي:

1) مقدمة مختصرة حول سبب تأليف الكتاب.

2) الاهتمام بالشرح اللغوي للكلمات وإعرابها.

3) نجد فيه تفسير القرآن بالقرآن.

4) نجد فيه تفسير القرآن بالسنة.

5) نجد فيه تفسير القرآن بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين والأشعار العربية.

6) استنباط الأحكام الفقهية والعقدية من جميع الآيات.

7) نجد فيه مباحث في أصول الفقه والسيرة النبوية وقصص الأنبياء والمرسلين.

8) الاستفادة من جميع التفاسير السابقة ونقدها.

9) نجد فيه مباحث علوم القرآن مثل أسباب النزول وعلم المكي والمدني وعلم الناسخ والمنسوخ وغيرها.

10) الميل إلى أسلوب الاختصار والرمزية والإحالة إلى التفسير السابق لأنه يختصر ويلخص تفسيره الأول «هميان الزاد إلى دار المعاد».

11) يهتم الشيخ اطفيش بإظهار أوجه القراءات في الآيات.

12) وإذا اختار الشيخ المؤلف رأيا جديدا يستعمل لفظ «قلت».

الخدمات المتوالية على الكتاب:

لقد طبع الكتاب ست مرات وهي:

1) الطبعة الأولى حجرية بدون تحقيق في تونس عام 1326/ 1906 على يد الحاج عمر بن الحاج إبراهيم بن محمد العطفاوي وصالح بن عيسى اليزقني وهي في ست مجلدات ضخمة.

2) الطبعة الثانية هي طبعة بدون تحقيق في خمسة عشر مجلدا اعتنت بها وزارة الثقافة بسلطنة عمان 1408/ 1988.

3) الطبعة الثالثة هي طبعة بتحقيق الشيخ إبراهيم طلاي مع مجموعة من الأساتذة من عام 1996 إلى 2003 المطبعة العربية غرداية.

4) الطبعة الرابعة هي تصوير للطبعة السابقة نشرتها الدار التوفيقية بالجزائر بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية عام 2011.

5) الطبعة الخامسة هي تصوير للطبعة الثالثة صدرت عن وزارة الأوقاف بسلطنة عمان عام

6) الطبعة السادسة هي طبعة مزيدة ومنقحة اعتنت بها وزارة التراث سلطنة عمان عام 1439/ 2018.

7) أما الطبعة السابعة فهي تتمثل في اختصار كتاب تيسير التفسير إلى 10 مجلدات من طرف المحقق الأول الأستاذ الشيخ إبراهيم طلاي حفظه الله نهاية سنة 1434/ 2014.

8) د. يحي بن يحي: منهج الشيخ اطفيش في التفسير من خلال كتابه تيسير التفسير سنة 1989، بحث لنيل شهادة ماجستير في جامعة عين شمس في الآداب، بإشراف الدكتور مصطفى الشعلة بالقاهرة

9) عكي علواني: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن الكريم (التيسير) مقارنة إلى تفسير أهل السنة، لنيل شهادة الماجستير (بحث مرقون).

10) فتحي بوعجيلة

المكانة العلمية لتيسير التفسير:

لقد تعرض بعض العلماء للحديث عن هذا التفسير بعبارات تبرز المكانة العلميّة التي حظي بها هذا التفسير في الحواضر العلمية، منهم المؤلف نفسه يقول عنه: «وذكرت ذلك في تفسيري المسمى بالتيسير وهو تفسير دقيق لا تطويل فيه»[21].

ويقول تلميذه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش: «ومن وقف على تفسيره تيسير التفسير شاهد تبحّره في علوم القرآن وغزارة مادّته ومقدرته على إظهار حقائق التفسير»[22]. وعندما تحدّث الشيخ إبراهيم بيوض -رحمه الله- عن مراجعه في التفسير قال: «إذا أردت أن أعرف أحيانا قول الإباضية في بعض الأحكام الشرعية الواردة في الآية فإنني أرجع إلى كتاب التيسير للشيخ الحاج أمحمد اطفيش»[23]. ويقول الباحث عكي علواني: «إنّ تفسيره (التيسير) يعتبر دائرة معارف لآراء أشهر المفسرين السابقين، الذي جمع فيه وجهات نظر معظم المدارس الإسلامية، وكذا بعض الفرق، مع إبراز وجهة نظر الإباضية، من هذا تظهر أهميّته بين كتب التفاسير في العالم الإسلامي»[24].

وفي رسالة وجّهها المؤلّف إلى الشيخ عبد الله حميد السالمي والشيخ عيسى بن صالح الحارثي قال: «ولكما الآن -والحمد لله الرحمان الرحيم- من تفسير المذهب ما يغنيكم إن شاء الله عن تفسير غيره، فإن ذكرت مذهبهم فإمّا لأردّه، وإمّا لأنه حق، وقد اعتقدناه قبل أن نراه لهم، ولست مقلّدا

[21]- مجموعة رسائل وأجوبة ص 151.

[22]- مقدمة كتاب الذهب الخالص.

[23]- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح ج3 ص 126.

[24]- علواني: محمد بن يوسف اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، رسالة ماجستير.

لأحد، ولاسيما التيسير الذي قرب إن شاء الله الرحمن الرحيم كماله، وما ذكرته إلا لترغبوا فيه لأنه غير طويل بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطوّلات، والحمد لله»[25].

المبحث الثالث: حياة الشيخ صالح لعلي العلمية والاجتماعية وآثاره: في هذا المبحث أتعرض لذكر ترجمة مختصرة عن حياة الشيخ صالح لعلي العلمية والاجتماعية، وقد قسمتها إلى ست مطالب وهي:

المطلب الأول: مولده ونشأته ونسبه:

ولد الشيخ صالح بن عمر بن داود بن حاج صالح بن إبراهيم لعلي في ليلة الأربعاء 20 رمضان[26] عام 1287/ 14 ديسمبر 1870م وينتسب إلى عشيرة آل دادي باحمد من عشائر آت وينتن من عرش آت موسى في مدينة بني يزقن بلدية بنورة ولاية غرداية، شمال صحراء الجزائر.

والده: هو السيدعمر بن داود لعلي، كان تاجرا[27] أمينا في بني يزڤن وقد توفي حوالي سنة: 1331هـ/ 1912م في بني يزڤن، وبهذا يكون الابن صالح لعلي لم يذق مرارة اليتم بقدر ما ذاق مرارة الفقر وفقد البصر. ولكنجده الثانيحاج صالح بن إبراهيم قد عوض أباه فنال مه حفيده الحظ الأوفر من الرعاية العلمية والمادية.

أمه: هي السيدة لالة بنت يوسف بن عدون وينتن من بني يزقن، «صاحبة القسط الوافر من الذكر الحكيم مع الورع الجم، هي التي قامت مع زوجها بتربية ابنهما مع غيره من إخوته وأخواته

25- القطب:كشف الكرب ج1 ص 96.

26- عمر باباعلي: الشيخ صالح لعلي الترجمة والمصادر، (أعمال اليوم الدراسي حول شخصية الحاج صالح لعلي، بتاريخ: 25/ 12/ 2010، بني يزقن، مطبعة الآفاق، غرداية، ط:1، 2014م، ص:23.

27 - أنظر إحصاء سكان بني يزقن سنة:1886 (وثيقة بحوزة الدكتور حمودة مصطفى).

الثلاثة (يحي، نانة، مريم)[28]تربية إسلامية حميدة. ولعل الحادث المميز في هذه الرحلة هو إصابته في كريمتيه حيث فقد بصره في السن الخامسة من عمره بسبب مرض الجذري[29].

المطلب الثاني: تعلمه ومشايخه:

في عام 1292هـ/ 1875م أدخله أبوه المدرسة القرآنية في محضرة[30] المسجد العتيق ببني يزقن فتفرغ لحفظ القرآن الكريم تلقينا ومشافهة على يد جده الثاني الحاج صالح بن إبراهيم لعلي حتى استظهره عام 1296هـ/ 1879م وهو في السن التاسعة من عمره، ثم تفرغ للعلوم الشرعية والعربية عند مشايخ كثيرين من أهل زمانه في مسقط رأسه بني يزقن نذكر منهم:

1) – خاله الشيخ الحاج سعيد بن يوسف[31] وينتن (ت)

2) – خاله الشيخ الحاج عمر بن يوسف[32] وينتن (ت)

3) – خال جده الحاج محمد بن عيسى بن أيوب أزبار (ت:1304هـ/ 1887م).

4) – ابن خاله الشيخ صالح بن الحاج سعيد[33] بن يوسف وينتن (ت).

5) – قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف[34] اطفيش (ت:1332/ 1914م) .

6) – الشيخ امحمد بن سليمان ابن دريسو[35] (ت:1313/ 1895م).

28– أعمال اليوم الدراسي، ص 24

29– عمر عبد الرحمن، متون دينية: (الترجمة) ص 8

30– المحضرة: هي مدرسة قرآنية بجانب المسجد يشرف عليها العزابة ومعلمها يدعى «لَفْـقي» تتخصص في تأديب الأطفال وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليم الخط. جمعية التراث: معجم مصطلحات الإباضية ج:1، ص:278.

31– إبراهيم حفار: ترجمة لعلي، ص:5.

32– إبراهيم حفار: ترجمة لعلي، ص:5.

33– إبراهيم حفار: ترجمة لعلي، ص:5.

34– محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، ج:2، ص:138.

وهذه العلوم تتمثل في: التفسير والعقيدة والحديث والتاريخ والفقه وعلوم اللغة والبلاغة وعلم التجويد والقراءات وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلم القوافي والعروض وعلم الميراث وأصول الفقه والمنطق وغيرها..

المطلب الثالث: جهوده التربوية والاجتماعية ووفاته:

لم يعش الشيخ صالح لعلي لنفسه بل عاش لأمته فقدمه مجتمعه ليتبوأ الصدارة في المراتب الاجتماعية العليا. نذكر من أعماله الاجتماعية والدينية والتربوية ما يلي:

1) - **إصلاح ذات البين:** كان الشيخ صالح يجتهد في إصلاح ذات البين ورأب الصدع بين المتخاصمين.

2) –**رفض التجنيد الإجباري:**فيسنة:1338هـ/ 1919م وعندما أعلن الاستعمار الفرنسي التجنيد الجزائري[36] في الجيوش الفرنسية فتح داره للدفاع عن حقوق أمته المهضومة مع غيره من أعيان المنطقة.

3) -**بناء المقر العام لجمع الأفراح:** في سنة 1344هـ/ 1926م بنى الشيخ صالح لعلي مقر «الحجبة[37]» التابع للمسجد العتيق ببني يزقن.

4) **تنظيم أوقاف المسجد:** لاحظ الشيخ صعوبات معتبرة في استغلال الأوقاف التابعة لمسجد بني يزقن، فأعاد تدوينه وتنظيمه في دفتر المسجد.

---

[35]– عمر عبد الرحمن: المرجع نفسه، ص:9.

[36]– عمر عبد الرحمن : متون دينية، ص:11.

[37]– جمعية التراث: معجم مصطلحات الإباضية، ج:1، ص:233.

5) **رئاسة حلقة العزابة:** في سنة 1336/ 1919م اختارته حلقة العزابة[38] في المسجد ليترأس أعلى هيئة اجتماعية في البلدة وهي حلقة العزابة التي تعتبر بمثابة قيادة جماعية لتسيير شؤون المسلمين في البلدة.

6) **تنشيط حلقة إروان:** «إروان» كان الشيخ صالح هو المكلف بتدريس الحلقة منذ سنة1334/ 1916م.. في مقرهم الدائم بالمسجد، وعندما تولى رئاسة حلقة العزابة سعى في تنشيطها وتحسين أدائها.

7) **الاهتمام بالتدريس:** في سنة 1908/ 1890م شرع الشيخ في تدريس طلبة العلم الشرعي والقرآن الكريم[39] في خمس مقرات داخل مدينة بني يزقن.

8) **إنشاء المدرسة النظامية الابتدائية:** في سنة 1345/ 1927 أسس أول مدرسة نظامية تعنى بتعليم التلاميذ الصغار في المرحلة الابتدائية تابعة للمسجد، وهذه المدرسة النظامية كانت تحمل اسم «مدرسة الرشاد[40]» ثم تطورت إلى «المدرسة الجابرية القرآنية[41]» الحرة في بني يزقن.

9) **تطوير مرافق المسجد:** مثل حفر البئر وتجديد الميضأة وتوسيع أوقاف المسجد.

وفاته: بعد هذه الحركة الدؤوبة في سبيل العلم والدين اختاره الله إلى جواره الكريم ضحوة يوم السبت27 ربيع الثاني1347/ 13 أكتوبر 1928[42]. ودفن في مقبرة الشيخ بامحمد بمسقط رأسه بني يزقن رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

---

[38]- إبراهيم حفار: الترجمة (مخطوط، ص:3).

[39]- عمر باباعلي: الشيخ صالح لعلي (ترجمة)، (من أعمال اليوم الدراسي ص:29-30).

[40]- إبراهيم حفار: ترجمة عن الشيخ صالح، (مخطوط)، ص:5.

[41]- عمر باباعلي: الشيخ صالح لعلى، (ترجمة) (من أعمال اليوم الدراسي ص:30).

[42]- عمر عبد الرحمن: مجموعة متون دينية، (الترجمة)، ص:6.

وهناك من يوجه أصابع الاتهام إلى السلطات الاستعمارية التي قتلته بسم أو غيره، مع تلميذه المخلص وكاتبه الوفي السيد قضي بكير بن إبراهيم بن بكير في اليوم الموالي أي يوم 28 ربيع الثاني1347/ 14أكتوبر 1928 . لأنهما كانا من المناوئين للاستعمار بمختلف أنواع الجهاد الممكن في الساحات العلمية والسياسية[43] آنذاك. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المطلب الرابع: آثاره العلمية وتلاميذه: إضافة إلى الإصلاحات التي برز بها الشيخ فإنه قد خلف آثارا علمية جليلة أذكر منها:

1) **تلاميذه:** لقد تخرج على يده عدد كبير من التلاميذ شغلوا مناصب عالية في المجتمع الإباضي بوادي ميزاب نذكر منهم:

1. بابانو محمد بن الحاج يوسف (ت:1408/ 1988).
2. الحاج سعيد محمد[44] بن باحمد العطفي (ت 1410/ 1990).
3. الشريف حاجي[45]بن الحاج محمد (ت:1396/ 1975).
4. شريفي عمر[46] بن بكير القراري (ت:1415/ 1995).
5. قضي بكير[47]بن إبراهيم (ت:1348/ 1928) الكاتب الخاص للشيخ صالح لعلي.

43- يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب، ص:265.

44- ترجمة من إنجاز الباحث مع الأستاذ الحاج سعيد مسعود يوم وفاته بعد جلسات معه يوم الجمعة:02 ذو الحجة 1403هـ/ 09 سبتمبر 1983 / وسنة 1897/ وعام 1988.

45 – يوسف بن بكير الحاج سعيد: حياة الشيخ حاجي بن ج محمد الشريف، ط1، مطبعة الآفاق، بني يزقن، غرداية، الجزائر، = =2012م، ص: .

46- جلسة خاصة مع صاحب الترجمة يوم الأربعاء:23 رمضان1413، 17مارس 1993 مع ترجمة بحوزة الباحث ألفها الأستاذ ببانو محمد بن صالح

47 – ترجمة عن الشيخ عمر بن بكير شريفي الذي درس عند الشيخ قضي تلميذ الشيخ لعلي (تأليف بابانو)، ص:1.

6. حفار إبراهيم بن بكير[48] (ت:1374/ 1954).

7. ابن عمر الحاج عمر بن الحاج مسعود[49] (ت:1356/ 1938).

2ـ **مؤلفاته**: لقد ترك الشيخ صالح مؤلفات نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- **كتاب القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**

2- **تفسير معاني أسماء سور القرآن** (من الفاتحة إلى سورة النحل)

3- **حاشية على مسند الربيع**[50] **بن حبيب** (ت: حوالي 180هـ).

4- **حاشية على عقيدة التوحيد.**

5- **حاشية على كتاب السؤالات:** المنسوب إلى الشيخ أبي عمرو السوفي (ق6هـ).

1) **حاشية على كتاب النيل:** للشيخ عبد العزيز[51] الثميني (ت 1223هـ).

2) **شرح كتاب الدعائم لابن النظر**[52] (قصيدة الصوم والحج والدماء والجراحات والديات).

3) **خلاصة المراقي:** (منظومة ذات 394 بيتا) في فقه العبادات وضعها للمبتدئين.

4) **مراقي العوام إلى معرفة مبادئ الإسلام:** وهو كتاب في فقه العبادات.

5) **القول الفصل في شرح مختصر العدل:** للشيخ أحمد بن سعيد الشماخي (ت:928هـ)[53]

---

[48]- يحي بوراس: مؤلفات الشيخ لعلي، من أعمال اليوم الدراسي، ص:84.

[49]- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج:3، رقم:673، ص:652.

[50]- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج:2، رقم:368، ص:152.

[51]- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج:3، رقم:555، ص:532.

[52]- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية ، رقم:30 (قسم المشرق)، ص:54.

6) **حاشية على كتاب المقصد النافع لبغية الناشئ والبارع في شرح الدرر اللوامع للشريشي**[54] في علم القراءات.

7) **قصائد في المديح** (مدح الرسول ﷺ)[55].

8) **شرح شواهد شرح ألفية ابن مالك** لابن الناظم (ت:685هـ)

9) **الفتاوى**[56]:في خمس مجموعات.

10) **الرسائل والردود**[57]:

والجدير بالذكر أن الشيخ لعلي كانت له وجهات نظر علمية واجتماعية خاصة تدل على مواقفه من قضايا عصره.

1) رسالة التنبيهات الأربعون في الرد على من قال بكل بلد ورؤيتها ولو تقاربت. (مخطوط)

2) رسالة العطفاء. (مخطوط)

3) رسالة الوصايا الثمانية للعزابة. (مرقون)

4) رسالة في كيفية تلاوة القرآن. (مطبوع)

53- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج:2، رقم:080، ص:86.

54- الزركلي: الأعلام، ج:7، ص:33.

55- مطبوع بعنوان (مجموع القصائد في معجزات الرسول ﷺ وسيرته) عام:1387/ 1967.

56- وهي متوزعة بين مكتبات العطف والقرارة وبني يزقن.الحاج موسى بشير: الآثار العلمية للشيخ صالح: الأجوبة والفتاوى، (من أعمال اليوم الدراسي، ص:82).

57- د. مصطفى حمودة: الآثار العلمية للشيخ صالح لعلي (د. وينتن: أعمال اليوم الدراسي ص:83 إلى:105. ح موسى بشير: الآثار العلمية الأجوبة والفتاوى. (أعمال اليوم الدراسي ص:58-82).

وقد تنوعت مواطن المرسل إليهم من داخل الجزائر وخارجه مثل فاس وعمان وفيهم إباضية ومالكية.

3ـ **مكتبته**: من أعظم الآثار التي تركها الشيخ صالح لعلي مكتبته العامرة بالمخطوط والمطبوع من تآليفه ومن غير تآليفه، يقول الشيخ[58] صالح لعلي عنها:

«وأما الكتب التي عندي فيعسر إحصاؤها إذ هي أكثر من ست خزائن». ويقول الشيخ إبراهيم حفار عنها: «وكان يميز بين كتبه كلها والتي لا تقل عن الألفين»[59]وهي مفهرسة ومفتوحةللباحثين من داخل الوطن وخارجه.

4ـ **أسرته** : بعد وفاة زوجته الأولى تزوج الشيخ السيدة مامة بنت يوسف بن الحاج حمودين كحل عينو.

وكانت فيما يبدو مثقفة تساعده على نسخ بعض الكتب والرسائل، وتطالع له بعض الكتب المطلوبة، وأنجب معها بنتا اسمها عائشة توفيت يوم 03 ربيع الأول 1418/ 9 جويلية 1997م.

المطلب الخامس: مكانته العلمية ومميزاته الشخصية: لقد تفوق الشيخ لعلي بأخلاق حميدة وقدرات عالية مثل:

الحفظ والاستحضار والجد والإخلاص والزهد والورع والاهتمام بأمور المسلمين والشورى وحب العلم والتعليم والإصلاح والتجديد.

---

[58]- صالح لعلي:جواب عن حياته العلمية نسخه بإذن منه كاتبه قضي بكير يوم:12/ 09/ 1925 (د. وينتن: أعمال اليوم الدراسي ص:33-39).

[59]-إبراهيم حفار: الترجمة، ص:1.

المطلب السادس: مراتبه العلمية:

1-مكانته العلمية: لقد تبوأ الشيخ أعلى مرتبة علمية اجتماعية في مجتمعه وذلك في سنة 1436/ 1919، حيث انتهت إليه رئاسة المشيخة العامة في المسجد فأصبح هو المرجعية الأولى في البلدة يفتي في المعقول والمنقول. ويشهد على غزارته العلمية الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض قائلا: «الشيخ الحاج صالح بن عمر العالم الجليل هو في اعتقادي ومعرفتي خاتمة المحققين بعد الشيخ اطفيش، لم أجد بعد الشيخ اطفيش مثله في ميزاب»[60].

المبحث الرابع: بطاقة تعريف عن تفسير الشيخ صالح لعلي

لقد تلقى الشيخ صالح لعلي التفسير وعلومه عن الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (ت 1332/ 1914) وكذا عن الشيخ محمد بن سليمان ابن دريسو (ت 1313/ 1896) وغيرهما من علماء عصره، وتعرف على تفاسير كثيرة في حلقاتهم كما اجتهد في التعرف على علوم القرآن وتفاسير أخرى من خلال عصاميته، وعندما أتم جميع أدوات التفسير ومواده استجاب لنداء الواجب الذي صدر من بعض محبيه في أن يؤلف تفسيرا لكتاب الله فألف تفسيرا بعنون: «القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز» وللتعرف على ذلك قسمت المبحث إلى خمسة مطالب وهي:

وأثناء عملية التأليف والإملاء والتحرير اعتمد الشيخ على مراجع ومصادر كثيرة.

ومن خلال ما تصفحت من تفسير الشيخ صالح فقد تبين لي أنه قد اعتمد على تفاسير كثيرة لمختلف المذاهب الإسلامية وكانت المراجع الأكثر تداولا هي مراجع المدرسة الإباضية ومصادرها ولكنها لم تكن من التفسير بل كانت من فنون أخرى مثل: الفقه والعقيدة والأصول، لأن المدرسة الإباضية لم تكتب في التفسير إلا عددا قليلا ربما لا يتجاوز عدد أصابع اليدين. ولتوضيح هذه المصادر والمراجع وإحصائها قسمت القائمة إلى أربعة أنواع هي:

[60] – محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، ج:2، ص:145.

المطلب الأول: تعريف بمضمون كتاب «القول الوجيز»

كتاب:«القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز» يعبر عن مضمونه عنوانه فهو كتاب ألفه صاحبه لتفسير القرآن الكريم كله من البداية حتى النهاية بعبارات مختصرة بعيدة عن التطويل الممل ولكن ظروفاً حالت دون إتمامه فتركه مسودة لم يتمكن من تبييضها بصفة نهائية ذات 452 صفحة مرقونة 331 صفحة مخطوطة من الحجم المتوسط فهو يجمع ثلاثة مباحث مفيدة:

أ) **المقدمة في علوم القرآن**: في:07 أوراق تجمع 07 فوائد هي:

1- تعريف بالقرآن الكريم

2- التعريف بالقراءات المتواترة

3- عدد آيات القرآن الكريم وحروفه وسوره

4- فضائل القرآن الكريم

5- تعريف التفسير والتأويل

6- حكم الاستعاذة في تلاوة القرآن الكريم

7- حكم الوقف بين الاستعاذة والبسملة والآيات

ب) **تفسير سورة الفاتحة:** (من: ورقة 8 إلى: ورقة 29)

ج) **تفسير سورة البقرة:** (من: ورقة 29 إلى: ورقة 334) من الآية الأولى إلى الآية: 182 في ختام آية الوصية قبل آية الصيام، وهو ما يعادل 21 ثمنا أي جزئين و05 أثمان.

المطلب الثاني: منهج الشيخ لعلي في التفسير: لم يتميز الشيخ لعلي في تفسيره بمنهج جديد عن منهج المفسرين القدامى بل سلك منهج التفسير بالمأثور وبرز فيه بوضوح أكثر من

التفسير بالرأي فهو كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر العربي الفصيح كما أنه كان يوافق الفكر الإباضي في كثير من القضايا وينسبها إلى أصحابها بكل أمانة.

وعندما نتتبع تفسير السورة نجد الشيخ لعلي يرتب تفسير كل آية على هذا المنهج التحليلي الاستنباطي.

1) **مدخل لتفسير السورة:** ففي بداية السورة يعرف السورة بأسمائها المختلفة ويبين فضلها بعد أن يبين مكانها من النزول المكي أو المدني كما فعل في بداية الفاتحة[61].والبقرة[62].

2) **النص القرآني:** تتبعت جميع التفسير فلم أجد النص القرآني يتجاوز الآية كما أنه طبعا لا يقل عن الكلمة الواحدة.

3) **المعنى اللغوي للكلمات:** لا يغفل الشيخ لعلي عن التعريف اللغوي للكلمات من القواميس ومن التفاسير التي يرجع إليها.

4) **المعنى الاصطلاحي:** يتعرض الشيخ لعلي للمعنى الاصطلاحي لكثير من الكلمات التي تحولت من حقيقة لغوية إلى حقيقة شرعية إلا أنه لا يتقيد أن يذكره قبل المعنى اللغوي أو بعده.

5) **أوجه القراءات:** نجد الشيخ لعلي يتتبع أوجه القراءات المتواترة والشاذة في الكلمة القرآنية ولا ينفك عن ذكرها كلما وجد إلى ذلك سبيلا.

6) **إعراب الجمل والكلمات:** في أكثر الآيات يفيد الشيخ قراء تفسيره بمختلف أوجه الإعراب والصرف لكلمات الآية وجملها حتى يكون الربط واضحا بين كلمات الآية وجملها.

---

[61]- صالح لعلي:القول الوجيز، ص: 31 - 35

[62]- صالح لعلي:القول الوجيز، ص: 71 - 75

7) **تدعيم اختياراته بآراء المفسرين:** يختار الشيخ لعلي من آراء المفسرين ما يدعم اختياراته من مصادرهم، وهذا طبعا إذا اقتضى ذلك توسعا في معنى من المعاني القرآنية أو نقدها بما يتناسب ومقاصد القرآن ولا يتعارض مع النصوص الشرعية الصحيحة.

8) **الترجيح بين الآراء الفقهية والعقدية:** عندما يناقش الشيخ لعلي مسألة من المسائل الفقهية أو العقدية فإنه يعدد الآراء المروية في المسألة ويرجح بينها حسبما تقتضيه الأدلة القوية عنده.

توضيح العبرة المستخلصة من القصة: بعد إتمام القصة القرآنية يوضح العبرة منها مثل قصة ذبح بقرة إسرائيل يصرح الشيخ بالقواعد المستخلصة منها. في ذبح البقرة ثواب جزيل وأداء للتكليف.

9) **ذكر أسباب النزول:** لقد اهتم الشيخ لعلي بذكر أسباب النزول في كل آية تقتضيه معانيها، وربما يورد لذلك عدة روايات لتقوية المعاني.

10) **الاستشهاد بتفسير الصحابة:** يعتمد الشيخ لعلي كثيرا على تفسير الصحابة لأنهم تلاميذ مدرسة النبي (ص) وهم صانعوا حياة الوحي القرآني.

11) **أسلوب الترقيم:** وإذا تشعبت الآراء في المسألة الواحدة فإن الشيخ لعلي يلتجئ إلى أسلوب الترقيم لترتيب المعاني وضبطها كما فعل في تفسير بعض معاني سورة الفاتحة مثل تعدد قراءات كلمة: «إياك»[63].

المطلب الرابع: مميزات تفسير الشيخ لعلي: من خلال ما تصفحت وتتبعت من هذا التفسير الجليل فإنني وجدته يمتاز بالمميزات التالية:

[63]- صالح لعلي: القول الوجيز ص 47

1) **اللغة العربية السليمة:** فالمؤلف يختار التفاسير المؤدية للمعنى بلغة سليمة سهلة لا يحتاج فيها إلى معجم لفك معاني غريبها. بل هو كثيرا ما يتوسع ويستطرد في بيان اشتقاق غريب الآيات القرآنية حتى تكون في متناول أغلب القراء..

2) **ترتيب المعلومات والتزام الموضوعية:** لقد وفق الشيخ لعلي في اختيار المنهج العلمي الصحيح لعرض أفكاره اختياراته بصفة مرتبة فهو لا يميل إلى التفسير اللغوي فيترك الجانب الفقهي أو يميل إلى الجانب الإعجازي ويهمل الجانب العقدي.. ففي كل آية يبدع في ترتيب معلوماتها ترتيبا سليما مفيدا.

3) **عرض آراء المذاهب الإسلامية من مصادرها:** نجد الشيخ لعلي في هذا التفسير يمتاز بالفكر الموسوعي المتحرك بين مختلف المدارس الإسلامية، يختار مراجعها ومصادرها اختيارا ويناقش علماءها بكل جد وشجاعة وينسب الآراء إلى أصحابها.

4) **محاولة الجمع بين مدرسة الرأي ومدرسة التفسير بالمأثور:** يجتهد الشيخ لعلي في أن يكون تفسيره جامعا بين مدرسة التفسير بالرأي ومدرسة التفسير بالمأثور فهو لا يستغني عن آراء الزمخشري المعتزلي ولا يضره أن يستفيد من آراء ابن كثير السني والقاضي البيضاوي الحنفي والشيخ الألوسي المتصوف والفخر الرازي الاشاري وهود بن محكم الهواري الإباضي ويختار منها الدليل الأصوب فيرجحه عن غيره، ولكنه كان يميل أكثر إلى التفسير بالمأثور فنجده يختار الحديث الصحيح أو قول الصحابي في ضبط المعنى أو الشعر العربي الفصيح، وإذا اقتضى الأمر أن يدلي برأيه فإنه كثيرا ما يميل إلى رأي يدعمه الدليل الأقوى من الكتاب أو السنة.

5) **توظيف علوم القرآن:** لقد أدرك الشيخ لعلي القيمة العلمية في استغلال علوم القرآن وتوظيفه توظيفا علميا صحيحا حتى لا يحيد معنى الآية عن إطار التفسير العلمي للقرآن الكريم مثل: علم المكي والمدني وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم أسباب النزول القرآني وعلم القراءات

وغيرها من العلوم التي اعتمد فيها أكثر على الإمام السيوطي في كتابه الجامع «الإتقان في علوم القرآن». وأما الدكتور مصطفى وينتن فإنه يرى أن تفسير الشيخ لعلي يمتاز بخمس خصائص هي:

1- ضبط المصطلحات

2- كثرة الرواية والنقل

3- تعدد المصادر

4- الاهتمام بالمصادر العقدية

5- الاهتمام بالقضايا الفقهية[64].

المطلب الخامس: أهمية تفسير القول الوجيز: تبرز أهمية هذا التفسير الجليل في جوانب عديدة ذات أبعاد حضارية قيمة يوضحها الدكتور مصطفى وينتن قائلا:

«إن أهمية هذا التفسير تظهر من جوانب متعددة، من خلال ما تضمنه من مادة علمية ومنهج المؤلف فيه، فهو يدل على سعة اطلاع الشيخ لعلي، وعلى منهج علمي دقيق وظفه في التأليف اتسم بتوثيق المعلومة، وتتبع الأقوال بل واستقصائها أحيانا كثيرة، إضافة إلى قوة في عرض الرأي الخاص بالشيخ مع تعضيده بالدليل والاستشهاد. كما اتسم في الغالب بتوخي الروح العلمية وخلق العالم مع من يخالفه الرأي، فهو يصرح بنقوله ونصوصها الكاملة مرجعا إلى مصادره في الغالب» ثم يختم هذه الفقرة قائلا: «فقد وقفنا على تفسير إباضي بالمأثور بكل معنى هذا المصطلح[65]».

[64]- وينتن: أعمال اليوم الدراسي ص 159 – 171

[65]- د. مصطفى وبنتن: تقديم تفسير القول الوجيز للشيخ صالح لعلي (أعمال اليوم الدراسي ص 172)

المطلب الخامس: الخدمات المتوالية على الكتاب:

ما يزال كتاب "الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز" مادة علمية جاهزة للدراسة والبحث ولم ينل حظه من العمل الأكاديمي إلا تحقيق مقدمة الكتاب وتفسير سورة الفاتحة في إطار إكمال متطلبات رسالة ماجستير في إطار تخصص التفسير وعلوم القرآن من إنجاز الكاتب حاج أحمد كروم وإشراف الدكتور مصطفى وينتن لعام 1436/ 1437 – 2015/ 2016. وباقي الكتاب ما يزال مرقونا ينتظر التحقيق والدراسة. كما نال الكتاب قراءة مفيدة بعنوان «تقديم القول الوجيز للشيخ صالح لعلي» محاضرة قدمها الدكتور مصطفى وينتن في إطار اليوم الدراسي حول شخصية الشيخ صالح لعلي يوم 19 محرم 1432/ 25 ديسمبر 2010، ببني يزقن (ط1، مطبعة الآفاق بني يزقن 1434/ 2014).

خاتمة الدراسة: بعد هذه الجولة السريعة في التعريف بتفاسير الشيخ اطفيش وتلميذه الشيخ صالح لعلي أرجو أنني وفقت في إعطاء صور واضحة لهذه التفاسير القيمة يسكت قلمي عن الكلام المباح عسى أن ألتقي بكم في بحوث علمية أخرى قريبا إن شاء الله والله من وراء القصد.

مصادر البحث ومراجعه:

1- أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى: ملحق السير (مخطوط) (النسخة في حوزة الباحث).

2- إبراهيم حفار ترجمة الشيخ صالح لعلي، مقدمة شرح خلاصة المراقي، مخطوط (مكتبة عمي سعيد غرداية)

3- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1420/ 1999.

4- خير الدين الزركلي: كتاب الأعلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1415/ 1995.

5- يحي عاشور: فهرس موضوعي لمخطوطات مكتبة القطب بني يزقن (مرقون) عام 1987.

6- صالح بن عمر لعلي: القول الوجي في تفسير كتاب الله العزيز، مرقون ومخطوط كلاهما في حوزة الباحث.

7- امحمد اطفيش: شامل الأصل والفرع، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، ط1، المطبعة السلفية، مصر، 1443/ 1924.

8- عمر عبد الرحمن: متون دينية (الترجمة)

9- جمعية التراث معجم مصطلحات الإباضية، ط1، وزارة الأوقاف سلطنة عمان، 2006.

10- امحمد اطفيش: الرد على العقبي، ط1، طبعة حجرية، الجزائر، 1326.

11- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة التعاونية، القاهرة، 1385/ 1965.

12- امحمد اطفيش: تيسير التفسير، تحقيق إبراهيم طلاي، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1416/ 1996.

13- امحمد اطفيش: كشف الكرب، تحقيق فخار ط1، سلطنة عمان، 1438/ 2018.

14- د.مصطفى وينتن، أعمال اليوم الدراسي حول شخصية حاج صالح لعلي يوم 19 محرم 1432/ 25 ديسمبر 2010، مكتبة الشيخ صالح لعلي، عشيرة آت دادي باحمد، مطبعة الآفاق بني يزقن، غرداية، 1434/ 2014.

15- يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ط3 المطبعة العربية، غرداية، 1435/ 2014.

16- يوسف بن بكير الحاج سعيد: حياة الشيخ حاجي بن ح محمد الشريف، ط1، مطبعة الآفاق، غرداية، الجزائر، 2012.

17- الحاج أحمد كروم: الشيخ صالح لعلي وتفسيره القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز تحقيق المقدمة والفاتحة أنموذجا، إشراف د.مصطفى وينتن رسالة ماجستير عام 2016.

منهج مدرسة المحدّثين في تفسير القرآن الكريم

تفسير القرآن بالقرآن نموذجا.

فلاح خيرالدين ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،

جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر

مقدمة:

لقد منّ الله على الأمة الإسلامية بنعمتين عظيمتين؛ نعمة القران الكريم -الوحي المعصوم-، ونعمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم -البشير النذير-. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنَ انفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمُ ءَايَاتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[1]. وإنّ أعظم ما بذلت فيه الجهود، وأنفقت فيه الأوقات، وأفنيت فيه الأعمار، فهم القرآن الكريم؛ ذلك لأنه مصدر الهداية وأصل السعادة، وأعظم علوم القرآن منزلة علم التفسير إذ به يحقّق المسلم مقصدين عظيمين:

- الفهم السليم لنصوص القرآن الكريم.
- الاقتداء الصحيح عند العمل بأحكام الشريعة الإسلامية.

ولو لم يكن لطالب التفسير إلا مجرد العلم لكفاه فخرا وعزا، روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري[2] رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَّ عَزَّ

[1] سورة آل عمران، الآية: 164.

[2] أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك الأنصاري، من أعيان الصحابة وفقهائهم، روى عنه خلق كثير، شهد الخندق وبيعة الرضوان ومات سنة 74هـ. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1349هـ، ج1،

وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ"[3].

ولقد تفرّد الصحابة رضوان الله عنهم بسهم السبق في إدراك أغوار الفهم، والإحاطة بمقاصد الشرع، واستنباط أسرار التنزيل، وإن تفاوتت درجاتهم، وتباينت مراتبهم قال مسروق[4] رضي الله عنه: "جَالَسْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدْتُهُمْ كَالإِخَاذِ، فَالإِخَاذُ يَرْوِي ... وَالإِخَاذُ يَرْوِي الْعَشَرَةَ، وَالإِخَاذُ يَرْوِي المِائَةَ، وَالإِخَاذُ لَوْ نَزَلَ بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ لأَصْدَرَهُمْ"[5].

ولما كان الصحابة بنص الحديث أمة مصطفاة[6]، صحّ أن تكون سيرتهم منهجا للحياة، وأقوالهم دليلا عند الاجتهاد. روى ابن عبد البر عن قتادة[7] في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الَّذِي

ص: 46 – أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: علي الميس، بيروت، دار القلم، ج1، ص: 33 – أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، عمان، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 21.

[3] رواه الإمام مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ،صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، لبنان، طبعة/ 1401هـ–1981م، ج9، ص: 22، و رواه كذلك في كتاب البر والصلة والآداب، رقم 4645 ،وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم: 4867

[4] أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني، الفقيه العالم، العابد الزاهد، تابعي ثقة، شهد القادسية واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات سنة 62هـ ودفن بواسط . محمد بن طاهر القيسراني، تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الرياض السعودية، دار الصميعي،ط1، 1415هـ، ج1، ص: 49 – أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم اليستوي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، السعودية،ط1، 1415هـ–1985م، ج2، ص: 273.

[5] أبو عبد الله محمد بن سعد البصري الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت لبنان،دار صادر،ج2، ص: 343 –أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود خافوري، محمد رواس قلعة جي، بيروت دار المعرفة ، ط2، 1399هـ–1979م، ج1، ص: 403.

[6] روى البغوي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله اطلع على قلوب العباد فاختار محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس بعد فاختار له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح" البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير شاويش، بيروت المكتب الاسلامي ط2/ 1403–1983م،ج1،ص: 214.

[7] أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، تابعي جليل، حافظ ثقة، مفسر عالم، مات سنة 117هـ.

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[8] قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم[9].

ولما كان المقصد من نزول القرآن العمل بأحكامه، وجب العلم بتفسيره، وبيان أحكامه. قال ابن كثير: "فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه، وتعلُّم ذلك وتعليمه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَ اَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِّينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِيسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[10]"[11]، روى الطبري بسنده عن أبي مليكة قال: "رأيت مجاهد يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: أكتب حتى سأل عن التفسير كلّه"[12].

لقد حرص أهل القرون الخيرية على فهم القرآن ومعرفة أحكامه، إذ بذلوا الجهد كله في ذلك. قال مجاهد[13]: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من خاتمته، أوقفه عند كل آية منه

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، المدينة المنورة مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط1، 1404هـ، ج1، ص: 286 – أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط 1408هـ، ج1، ص: 216 – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1405هـ، ج2، ص: 335 – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب سوريا، دار الوعي، ، ط1، 1397هـ–1977م.

[8] سورة سبأ، الآية: 06.

[9] ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، لبنان، دار الكتب العلمية، ،ج2، ص:29.

[10] سورة آل عمران، الآية: 187.

[11] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن الهادي الوادعي، ط/ 1414 هـ–1993م، ج1 ص: 06

[12] ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صديق جميل العطار، بيروت لبنان، دار الفكر، ط/ 1415هـ–1995م، ج1، ص: 90.

[13] أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تابعي جليل، عالم مفسر، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة، أما تفسيرا فثلاث، ولد سنة 21هـ، ومات سنة 104هـ.

انظر : أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ، ط1، 1403هـ، ج1، ص: 42 – محمد ابن حبان التميمي أبو حاتم، مشاهير علماء الأمصار، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية، ، ط 1959م، ج1،

وأسأله عنها"[14].وعلى هذا فكل فهم للقرآن لا يقوم على أساس التفسير فهو اجتهاد أعرج، يفقد روح البقاء، ويحمل بذور الفناء. قال إياس ابن معاوية[15]: "مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم بتفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه"[16]، وعليه البحث قام ليحقّق **بعض النتائج:**

– الإشارة إلى مزيّة التفسير بالرواية و أنه الأصل الأول المقدم عموما وأن أعلى درجات التفسير بالرواية تفسير القرآن بالقرآن فبه تتحقّق سلامة الفهم، وسداد الاستنباط، وكمال المقاصد ،وحسن العمل.

– بيان عظمة القرآن في أنّ الأصل في فهمه الرجوع إلى المتكلم به إذ المعاني المقصودة لا تدرك إلا بذلك.

– توثيق العلاقة بين العلوم الشرعية عموما و بعلم التفسير خصوصا، فلا يحصل بيان الدلالات القرآنية إلا من خلال التكامل المعرفي بين العلوم، وبهذا التكامل و التعاضد تفهم الأحكام الشرعية و تفصّل، وتزال الإشكالات المتعددة وتبيّن.

– التنبيه على أنّ أول السير في طريق صحة الفهم و العلم و العمل كمال تدبّر القرآن و حسن التأمّل فيه قال تعالى:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

ص: 82 – أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الضناوي و كمال يوسف الخوت، بيروت، لبنان دار الكتب الثقافية، ، ط1، 1985م، ج2، ص: 246.

[14] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط1، 1422هـ–2001م، ص: 112.

[15] أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة ، التابعي الثقة، العالم القاضي، سمع من أنس بن مالك، روى عنه شعبة وحماد بن سلمة وخلف. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، ج2، ص: 133

[16] ابن الجوزي، زاد المسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة/ 1404هـ–1984م، ج1، ص:04.

كَثِيرًا"[17]، ولما كان أهمّ أنواع التفسير بالرواية و أعلاها تفسير القرآن بالقرآن ركزت في البحث على عدم مجاوزة الآثار المسندة إلى النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم و التابعين لهم بإحسان معتمدا في ذلك على منهج مدرسة الحديث مقتصرا في الأغلب على الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمة الله وسمّيته: منهج مدرسة المحدّثين في تفسير القرآن الكريم- تفسير القرآن بالقرآن نموذجا، ولقد اعتمد البحث على الخطوات التالية:

-وصف القاعدة العلمية المتعلقة بفهم النص القرآني تحريرا وتوثيقا من مصادرها الأصلية.

-تحليل النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية تحقيقا و تدقيقا وفق قواعد الفهم عند علماء الشريعة الإسلامية.

-تطبيق النماذج القرآنية تأصيلا وتنزيلا مع مراعاة أصول تفسير النصوص الشرعية.

ـ تمهيد في بيان أهمية تفسير القرآن بالقرآن:

إنّ تفسير القرآن بالقرآن من أشرف الطرق وأجلّها، ومن أولى خطوات المنهج السليم في فهم القرآن، فمن أراد تفسير القرآن طلبه ابتداء من القرآن[18]، إذ لا عالم بمعنى كلام الله تعالى منه سبحانه[19]، فكل ما أجمل في موضع فصّل في موضع آخر، وما اختصر في مقام، بسط في مقام آخر. فقصص القرآن مثلا، وردت في مقامات موجزة، وفي أخرى مفصلة؛ كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون[20]، وكقصة عيسى المجملة في سورة مريم المفصلة في سورة آل عمران[21]، وأول من

[17] – النساء 82

[18] عدنان زرزور، القرآن ونصوصه، دمشق مطبعة خالد بن الوليد، ط/ 1400هـ-1980م، ص: 363.

[19] جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير، بيروت، دار الفكر، ط 1/ 1416هـ-1996م، ص: 128.

[20] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ط1، 1417هـ-1996م، ج1، ص: 7.

[21] فهد بن عبد الرحمن الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرياض، مكتبة التوبة، الطبعة 4/ 1419هـ- 1999م، ص: 22.

فسر القرآن بالقرآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. روى البخاري[22] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لمّا نزلت: ﴿الذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[23] قلنا يا رسول الله: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: ﴿لَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾؛ بشرك، أَوَلم تستمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيِّ لاَ تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[24]"[25].

ويقوم جهد تفسير القرآن بالقرآن على النظر الشرعي البصير، والتدبّر العقلي الدقيق، ذلك لأنّ بيان آية بأخرى عمل ضخم، وجهد عظيم "يقوم على كثير من التدبّر والتأمّل، إذ ليس حمل المجمل على المبيَّن، أو المطلق على المقيَّد، أو العامّ على الخاصّ، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهيّن الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنّما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصّة ..."[26] ولقد حاز الصحابة أوسع نطاق المعرفة بقوة الفهم، وجالوا أفسح مجالات أسرار التنزيل فأحاطوا بحكم التشريع ومقاصده. روى الطبري بسنده عن محمد بن كعب القرظي[27] قال: "مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ ﴿وَالسَّابِقُونَ الاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالاَنصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعثوهُمْ بِإِحْسَانٍ ...﴾[28] حتى بلغ ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبيّ بن

---

[22] ولي الله أحمد الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة 2/ 1407هـ-1987م، ص:11.

[23] سورة الأنعام، الآية: 82.

[24] سورة لقمان، الآية: 13.

[25] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج6، ص: 319.

[26] حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، ط4، 1409هـ-1988م.

[27]أبو حمزة، محمد بن كعب القرظي، حليف الأوس من كبار التابعين، العالم المفسر، الفقيه المحدث، روى عنه خلق كثير، عابد ورع، مات سنة 108هـ جزم بذلك الإمامان الترمذي وأبو نعيم الأصبهاني. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص: 105 – أبو نصر أحمد بن محمد الكلاباذي، رجال صحيح البخاري، تحقيق عبد الله الليثي، بيروت دار المعرفة، ط1، 1407هـ، ج2، ص: 675.

[28] سورة التوبة، الآية: 100. وكان عمر يقرأها: (وَالسَّابِقُونَ ... الذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ...) دون ذكر الواو. أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة 1/ 1402هـ-1983م، ج3، ص: 38.

كعب، فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلمّا جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم، قال: أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قال: كنت أظنّ أنّا رفعنا رِفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبيّ: بلى، تصديق هذهِ الآيةُ في أوّل سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[29]، وفي سورة الحشر ﴿وَالذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُواْ، رَبَّنَآ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[30]، وفي الأنفال ﴿وَالذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ ...﴾[31]".

ـالمبحث الأول: آليات تفسير القرآن بالقرآن

ـالمطلب الأول: التفسير من خلال السياق القرآني

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم محكم المعاني منتظم المباني[32]، قال الله تعالى: ﴿أَلَرَ كِتَابٌ أَحْكِمَتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[33] وجعل فهمه متوقفا على فقه أجزائه، ذلك لأن من دلائل الرّسوخ في الشريعة الإسلامية التدبّر الحسن للنصّ القرآنيّ، فهو مربط السّداد والاستقامة، والعاصم من الغلو والانحراف،ولا يحصل حسن الفهم عن الله ورسوله بالتوقيع عنهما إلا بعد مراعاة جملة المعنى العامّ[34]،ومقصود القرآن من التنزيل والتنبّه لحق الله تعالى في تقديس ذاته وتنزيه صفاته[35]، مع وجوب اعتبار ما سيق له الكلام من الدلالات، وإن خالف أصل

[29] سورة الجمعة، الآية : 03.

[30] سورة الحشر، الآية: 10.

[31] سورة الأنفال، الآية: 75.

[32] الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج3، ص: 310.

[33] سورة هود، الآية: 01.

[34] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرياض، دار علم الكتب، طبعة/ 1412هـ- 1991م، ج15، ص: 94 – محمد عبده، مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة، بيروت، دار مكتبة الحياة، طبعة/ 1969م، ص: 31.

[35] خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، بيروت، دار النفائس، الطبعة 2/ 1406هـ-1986م، ص: 149.

الوضع اللغويّ[36] قال مسلم بن يسار[37]رحمه الله: "إذا حدثت عن الله حديثا، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[38]. فمن أهمل قرينة السياق القرآني في العلم بمقصود الكلام أو هجره في اجتهاده فقد غلط وغالط[39]، إذ يكفي من دلالة السياق إرشادها إلى بيان إجمال، أو تعيين احتمال، أو تخصيص عامّ، أو تقييد إطلاق...[40] و سأل يعقوبُ بن عبد الرحمن الزهري صالحَ بن كيسان[41] عن قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ... سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[42].

فقال: "يراد بها الكافر. ثمّ قال: اقرأ ما بعدها يدلّك على ذلك"[43]، و فوائد التفسير بالسّياق القرآني ما يلي:

---

[36] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر، الطبعة 3/ 1400هـ–1980م، ج1، ص: 317.

[37] أبو عبد الله مسلم يساربن مولى بني أمية القرشي، تابعي جليل، وعالم محدث، روى عنه بن سيرين وأبو قلابة، مات سنة 101هـ، وقيل قتل مع محمد بن الأشعث. محمد بن عبد الله بن زبر الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، الرياض دار العاصمة، ، ط1، 1410هـ، ج1، ص: 240 – البخاري محمد بن إسماعيل التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت، لبنان،ج7، ص: 270 .

[38] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، جدّة، دار الراية، ط1/ 1414هـ–1993م، ج1، ص: 17.

[39] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 200.

[40] خالد بن عثمان السبت، مختصر في قواعد التفسير، الخبر السعودية، دار ابن عفان، الطبعة 1/ 1417هـ–1996م، ص: 21.

[41] أبو محمد صالح بن كيسان المدني، مولى الأنصار، المحدث الحافظ، والإمام الفقيه، روى عن ابن عمر وابن الزبير، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري، وخرج له أصحاب الصحاح . أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن احمد الخليلي القزويني،الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، 1409هـ.، ج1، ص: 296

[42] سورة ق، الآية: 19–21.

[43] الطبري، جامع البيان، ج21، ص: 209.

1- ترجيح أحد المعنيين المتضادين للفظ المشترك[44]:

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[45]، قال البخاري: أدبر[46] فلفظ عسعس مشترك بين معنيين متضادين؛ أحدهما: الإقبال، والآخر: الإدبار. والخطاب القرآني إذا احتمل دلالتين وكان حمله على إحداهما أظهر ومتعين وأشدّ موافقة ومواطأة للسياق، كان الحمل عليها أوْلى وأرجح[47].

وعلى هذا قدّم البخاريّ دلالة الإدبار للقرينة اللفظية اللاحقة وهي قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[48] فإقبال الفجر وظهوره يستلزم ذهاب الليل وخفاءه، وهذا موافق لدلالة الأسلوب من قوله تعالى: ﴿ وَاللّيلِ إذا أَدْبَر والصُّبحِ إذا أَسْفَرَ﴾[49]، وهو قول أكثر العلماء[50]، ويشهد له سنة التعاقب بين الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَآ آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[51].

2- ترجيح دلالة التأسيس على التأكيد[52]

[44] والمشترك إذا تجرد عن قرائن التعيين أو التعميم كان مجملا. ينظر: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، نشر البنود على مراقي ابن السعود، ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط1، 1409هـ-1988م، ج1، ص: 119.

[45] سورة التكوير، الآية: 17.

[46] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 693.

[47] العزّ بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، القاهرة، دار الحديث، ص: 220.

[48] سورة التكوير، الآية: 18.

[49] سورة المدثّر، الآية: 33-34.

[50] ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الفكر، ص: 75.

[51] سورة الإسراء، الآية: 12.

[52] الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 166 – زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، الأشباه والنظائر، الرياض مكتبة نزار مصطفى الباز، ، ط1، 1418هـ-1996م، ج1، ص:147.

إنّ الأصل عند وضع اللفظ، تأسيس فهم وتحقيق دلالة محدّدة يجهلها المخاطَب، وعلى هذا فالتأسيس أصل الوضع، والتّأكيد تبع له[53]، ولقد استطاع البخاريّ أن يوظّف قرائن السّياق ليؤسس دلالات أبرزت حقائق إيمانية لأصول العقيدة الإسلامية.

أ- تصوير مشهد أهل النعيم في الجنة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَكِهُونَ﴾[54] قال البخاري: معجبون[55] وقدم البخاريّ القراءة القرآنية "فَكِهُونَ"[56] على غيرها ليؤسس معنى الإعجاب عند التنعّم، وهذه دلالة إضافية إذ لا معنى للتأكيد؛ لأن قرينة السياق اللاحق يذكر التنعم، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[57]، فسياق القرينة يقتضي إدخال المعنى –الذي أصّلته القراءة وأسّسته– في فهم دلالة النص في إطار سوابقه

[53] الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة 2/ 1402هـ، ج3، ص: 23.

[54] سورة يس، الآية: 55.

[55] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 540.

[56] سورة يس، الآية: 55. ولقد قرأ بقراءة فكهون –ابن مسعود ومجاهد والحسن وأبو عبد الرحمن السلمي وقتادة والنخعي وشيبة الأعرج وأبو جعفر وأبو حيوة وأبو المتوكل وأبو الجوزاء-. عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشيد، ط1، 1410هـ، ج3، ص: 145 – أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ، ط1، 1409هـ، ج5،ص: 507 – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة، دار الشعب،ط2، 1372هـ،ج10،ص: 44 – أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك، كروان سوار، بيروت دار المعرفة، ط2، 1407هـ-1987م،ج4،ص: 16 – ابن الجوزي، زاد المسير،ج7، ص:28.

[57] سورة يس، الآية: 56-58.

ولواحقه دون اقتطاعه عن سياقاته الموضعية والموضوعية اكتفاء بدلالة التأكيد والتقرير[58]. والله أعلم.

ب- تصوير عظمة القدرة الإلهية في إحداث البعث:

قال البخاريّ[59]: باب ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ...﴾[60] ﴿فَصِرْهُنَّ﴾: قطّعهنّ. فقدم البخاريّ قراءة حمزة[61] -بكسر الصاد- ليؤسس دلالة القطع الذي ترجحه قرينة السياق القرآني بقوله: ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾[62]. فحقيقة القدرة الرّبانية لا تظهر عظمة صورتها في إحياء الموتى وبعثهم إلا بإضافة دلالة القطع المؤسسة إلى معنى الذبح، كما أن توزيع الأجزاء على مختلف الأماكن يرجّح استلزاما دلالة القطع ويحقق أصالة معنى الزيادة في اليقين والطمأنينة[63] المطلوبة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام. والله أعلم.

-المطلب الثاني: التفسير من خلال الأسلوب القرآني

إن إدراك مقاصد الخطاب الإلهي، وأسرار التنزيل الرّباني لا تتحقق إلا لمن أحاط بمذاهب الكلام عند العرب وما خصت به من وجوه المخاطبات وجودة الأساليب[64]، والجهل بهذا الباب

---

[58] وقوله تعالى: "هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ..." -بعد قراءة فكهون للمبالغة- "استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا". أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ، بيروت، دار إحياء الترات العربي ، ج7، ص: 173.

[59] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 201.

[60] سورة البقرة، الآية: 260.

[61] أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، أحد القراء السبعة، قرأ على جمع كثير منهم الأعمش ويحي بن وثاب، عارف بالقرآن، حافظ للحديث، تقي ورع، عالم بالفرائض، مات بحلوان سنة 156هـ. أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1400هـ، ج1، ص: 71 – أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ط1398هـ-1978م، ج1، ص: 44.

[62] سورة البقرة، الآية: 260.

[63] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 265.

[64] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت، المكتبة العلمية، الطبعة 3/ 1401هـ-1981م، ص:12.

من أبواب الشر ينفتح خطره الجسيم على تحريف معاني القرآن ودلالاته[65]، ولقد استعان البخاريّ ببعض الأساليب القرآنية لبيان بعض الدلالات المتعددة، ومن بين هذه الأساليب:

1ـ أسلوب الالتفات:

والالتفات نقل سياق الخطاب من وجه إلى آخر، والانتقال به بين صور التكلم والخطاب والغيبة[66]. ولقد استعان البخاريّ[67] بهذا الأسلوب ليوجّه دلالة اللفظ القرآني، فقد فسّر قوله تعالى: ﴿أَلر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[68] قال: يعني هذه أعلام القرآن. فبيّن أن الخطاب ورد بصيغة الغيبة، لكنّه في صورة المخاطب. ثمّ استدل بالتطابق بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[69] وقال: المعنى بكم. وفي هذه الصورة جاء الالتفات من صيغة الخطاب إلى الغيبة[70].

2ـ أسلوب التفخيم والتعظيم[71]:

ويظهر التفخيم والتعظيم من خلال عطف الخاصّ على العام أو العكس، إذ العطف يشعر بالأفضلية[72]، وينبّه على العظمة والأهمية، مما يجعل الخاص الذي هو فرد من أفراد العامّ ينزل منزلة

---

[65] ابن ناقيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية، مطبعة المعارف، ص: 36.

[66] علوي بن السيد عباس المالكي، فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التيسير شرح منظومة التفسير، بيروت، دار الفكر، الطبعة 3-1978م،ص:111.

[67] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 345.

[68] سورة يونس، الآية: 01

[69] سورة يونس، الآية: 22.

[70] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 289.

[71] ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة 1/ 1417هـ-1987م، ص: 126. قال أبو هلال العسكري: "ومعلوم أن من حق المعطوف أن يتناول غير المعطوف عليه ليصح عطف ما عطف عليه، إلا إذا علم أن الثاني ذكر تفخيما وأفرد عمّا قبله تعظيما ...". الفروق في اللغة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة 7/ 1411هـ-1991م، ص: 14.

الاستقلال تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[73]. قال البخاريّ[74]:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[75]، قال بعضهم: ليس الرمّان والنّخل بالفاكهة، وأما العرب فتعدها فاكهة كقوله عزّ وجلّ: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾[76] فأمرهم بالمحافظة على الصلوات، ثمّ أعاد العصر تشديدا لها كما أعيد النخل والرّمان. ومثلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[77]، وقد ذكرهم في أول قوله: ﴿ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾، وبهذا الأسلوب تظهر عظمة الإعجاز القرآني في الخطاب بمختلف صور البلاغة. والله أعلم.

- المطلب الثالث: التفسير من خلال الدلالة الوضعية

1ـ التفسير بدلالة التضمن:

و قد يلجأ إلى تفسير اللّفظ بذكر بعض أنواعه على سبيل التمثيل لا المطابقة المحددّة للمسمّى[78]، مثاله[79]: باب قول الله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[80] وقوله تعالى:﴿ وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[81]، فقد ذكر مسمّى التّقوى العامّ ثمّ فسّره بأحد

[72] السيوطي، التوشيح على الجامع الصحيح، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1/ 1420هـ-2000م، ج4، ص: 152. ولقد حمل السيوطي حرف الواو الواقع بين العام والخاص أو العكس، على معنى التفضيل والشأن، ومثّل له بقوله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ " سورة الحجر، الآية: 87.

[73] خالد بن عثمان السبت، مختصر في قواعد التفسير، ص: 13.

[74] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 630.

[75] سورة الرحمن، الآية: 68.

[76] سورة البقرة، الآية: 238.

[77] سورة الحجّ، الآية: 18.

[78] ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص: 22.

[79] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 525.

[80] سورة الحجرات، الآية: 13.

[81] سورة النساء، الآية: 01.

أنواعه وهو صلة الرّحم، وقد استعان بالقراءة القرآنية[82] – نصب الأرحام على تقوى الله– على بيان المثال التفسيري. والله أعلم.

2ـ التفسير بدلالة اللازم:

وفي هذه الآلية تتّضح قوّة التّأمل، ودقّة الرّبط بين دلالة اللّفظ القرآني الخفيّة وبين لازم معنى اللّفظ[83]، مثال ذلك[84] تفسيره قوله تعالى: ﴿**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ** ...﴾[85]، قال: سنحفظ؛ فـ(تفسير الكتابة بالحفظ تفسير باللازم)[86]، وفسّر كذلك قوله تعالى: ﴿**قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** ...﴾[87]، قال: لبس؛ (فالذي فيه لبس يستلزم العوج في المعنى)[88].

و من علامات الاجتهاد المتقن قوة الربط بين النّصوص القرآنية بملكة استنباطية بارعة، و دقة اقتناص الدلالة من خلال توظيف العلاقة التلازمية بين الآيات القرآنية، قال[89]: باب ذكر الجنّ وثوابهم وعقابهم. فاستنبط تكليف الجنّ وحسابهم من خلال إثباته التلازم بين بعثة الرّسل لهم،

---

[82] اتفق القراء على نصب "والارحام" إلا حمزة، فإنه خفض الميم نسقا على الهاء في "به"، ونصب الأرحام معطوف على اسم الله؛ أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها. أبو البقاء محب الدين عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ج1، ص 165.

[83] ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجُنّة المناظر، حسين داي الجزائر، مطبعة السلفية، الطبعة 1/ 1991م، ص: 14 – محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، ط/ 1406هـ–1986م، ص: 53. وقد عرّف الجرجاني دلالة الالتزام فقال: "هي استعمال اللفظ خارج ما وضع له لوجود لزوم عقلي أو عرفيّ بيّن المعنى الموضوع لذلك الخارج". التعريفات، ص: 140 – علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3/ 1417هـ–1996م، ص: 140.

[84] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 207.

[85] سورة آل عمران، الآية: 181.

[86] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 208.

[87] سورة الزمر، الآية: 28.

[88] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 528.

[89] المصدر نفسه، ج6، ص: 343.

وبين الإخبار بالحساب يوم القيامة عن عملهم، فنقل قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[90] لتأكيد التكليف، ثمّ نقل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[91] لإثبات الحساب يوم القيامة، ثمّ ذكر لازم الآيتين وهو ما بوّب له. والله أعلم.

3- التفسير بدلالة النظائر والأشباه.

أ- النظائر القرآنية:

ونقصد به التناظر بين الآيتين، سواء أتامّة في المعنى والمبنى، أو في المعنى فقط[92].

*- التناظر في المعنى والمبنى:

وفي هذه الصورة تظهر المطابقة التّامة في الدلالة واللّفظ، مثاله[93]: ما فسّر به قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ ... ﴾[94]، قال: يوسّع عليه ويضيّق عليه، ثمّ استدلّ بنظيرتها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَّ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[95].

---

[90] سورة الأنعام، الآية: 130-132.

[91] سورة الصافات، الآية: 158.

[92] ابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: محمّد الصفطاوي وفؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية، مطبعة المعارف، ص: 14 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1ن ص: 102 - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، المكتبة الثقافية، ط/ 1973م، ج1، ص: 141.

[93] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 448.

[94] سورة القصص، الآية: 76.

[95] سورة الرّوم، الآية: 37. ومعنى قوله: "وَيْكَأَنَّ" ألم تر على دلالة ألم تعلم، على قول قتادة. الطبري، جامع آي القرآن، ج20، ص: 77. ويشهد لقول قتادة قوله تعالى: "أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم

***- التناظر في المعنى دون المبنى:**

وفي هذه الصورة تظهر المطابقة بين دلالة النّصين دون لّفظهما، وقد أورد البخاريّ هذه الصورة في مظهرين:

1- الألفاظ المفردة: والعلم بدلالات الألفاظ واستعمالها من أهمّ مسالك التفسير، فهو من أوّل ما يحتاج إليه المفسّر عند إرادة تحقيق معاني القرآن[96]، والأصل أنّه لا يفسّر لفظ بآخر إلاّ إذا اتّحدا في الموضوع، مثاله[97] قوله تعالى: ﴿انبَجَسَتْ﴾[98] بقوله تعالى: ﴿ انفَجَرَتْ﴾[99]. فالجامع بين اللّفظين اتحاد القصّة، وقد يكون الجامع وحدة الموضوع كأحوال القيامة، مثاله[100] قوله تعالى: ﴿انفَطَرَتْ﴾[101] بقوله تعالى: ﴿انشَقَّتْ﴾[102].

يؤمنون" سورة الزمر، الآية: 52. وذكر الله لفظ "أولم يروا" في سورة الرّوم؛ لأنّ بسط الرّزق ونشره ممّا يشاهد، فناسب ذكر الرؤية، أمّا قوله: "أولم يعلموا " في سورة الزّمر فقد سبقه ذكر العلم "... أوتيته على علم ..." فناسب ذلك ذكر العلم. أبو زكرياء الأنصاري، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق محمد عليّ الصابوني، الجزائر، مطبعة الرحاب، الطبعة 2/ 1408هـ1988م، ص: 444.

[96] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1997م.، ص: 08.

[97] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 297. وكذلك قوله تعالى: "وإذا النجوم انكدرت" فقد فسر لفظ انكدرت بقوله تعالى: "انتثرت" وبما أن موضوع الآيتين واحد وهو أحوال القيامة فمعنى النجم الكوكب، والجامع بينهماهو معنى الظهور. ينظر: الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ، بيروت دار العلم للملايين ، ط1، 1970م، ص: 449.

[98] سورة الأعراف، الآية: 162.

[99] سورة البقرة، الآية: 60.

[100] ابن حجر، الفتح، ج 8 ص 695 .

[101] سورة الانفطار، الآية: 01.

[102] سورة الانشقاق، الآية: 01.

2- الآيات القرآنية: من خطوات منهج التفسير مراعاة مقصود النّص وجملة المعنى العامّ، مع التنبيه على المناسبة الجامعة بين التركيبين، مثاله[103] تفسير قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾[104] بقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[105]، ولقد أجمع المفسرون على أن أزفت: اقتربت ودنت[106] ،و قد يعمد المفسر في باب النظائر إلى تفسير أسلوب قرآني بنظيره، مثاله[107]قوله تعالى: ﴿... مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ...﴾[108] فاستدلّ بتفسير ابن عيينة: إنّ مع العسر يسرا آخر. وقد اعتمد على قاعدة في أسلوب الخطاب وهي: النّكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى يؤكد هذا الأسلوب القرآني نظيره ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[109]، وجامع التناظر بين أسلوب الآيتين أنّه كما ثبت للمؤمنين تعدّد الحسنى، كذلك ثبت لهم تعدّد اليسر[110].

ب- الأشباه القرآنية[111]:

ونقصد بالأشباه ذلك الاشتراك الواقع بين النّصين في أغلب متناولات الدّلالة، فيقع التصديق بين الآيتين في إظهار الحقّ والإعجاز والبشارة والنذارة[112]، مثاله[113]باب:﴿ مِنْهُ آيَاتٌ

---

[103] ابن حجر، الفتح، ج 8 ص604 .

[104] سورة النّجم، الآية: 57.

[105] سورة القمر، الآية: 01.

[106] ابن حجر، الفتح، ج12، ص: 389.

[107] المصدر نفسه، ج8، ص: 711.

[108] سورة الشرح، الآية: 05-06

[109] سورة التوبة، الآية: 52.

[110] زكريا الأنصاري، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص: 616.

[111] قال ابن منظور: "الأشباه جمع مفرده: يشبه وشبه وشبيه؛ وهو المثل" لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة 1/ 1374هـ-1955م، ج13، ص: 503 – وقال السيوطي: "والمشابهة لا تستلزم المماثلة، فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلا له ...والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلّها ..." الحاوي للفتاوي، بيروت، دار الجيل، الطبعة 1/ 1412هـ-1992م، ج2، ص: 273 – أبو بكر تقي الدين بن محمد الحصني، كتاب القواعد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الشعلاني، الرياض مكتبة الرشيد، ، ج1، ص: 27.

[112] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 02 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 70.

مُحْكَمَاتٌ ...﴾[114] ففسّرها بالحلال والحرام معتمدا على قول مجاهد، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[115] قال: يصدّق بعضها بعضا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ...﴾[116]، وكقوله عزّ وجلّ: ﴿يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ...﴾[117]، وكقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ...﴾[118]، فوقعت المشابهة بين الآيات القرآنية في حصر المسبب على السبب، واللازم على الملزوم، فالرجس هو الضلال، ولا يقعان إلا إذا عطل العقل باقتراف أعمال الفسق والعصيان.

- **المبحث الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن.**

- **المطلب الأول: التفسير ببيان المجمل**

والمجمل اللفظ المحتمل للمعاني المتعددة دون ترجّح لواحد منها على الآخر[119]، ويشترط أن يرد البيان بلفظ غير ملتبس ولا مشتبه[120] ،ومن المسالك البيانية في إبراز الدلالة الراجحة من مجموع معاني اللّفظ المجمل ما يلي:

[113] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 209.

[114] سورة آل عمران، الآية: 07.

[115] السورة نفسها، والآية نفسها.

[116] سورة البقرة، الآية: 26.

[117] سورة يونس، الآية: 100..

[118] سورة محمّد، الآية: 17.

[119] سعد الدين التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، تحقيق: زكرياء عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1/ 1416هـ–1996م،ج1، ص: 237 – محمّد أبو زهرة، أصول الفقه، بيروت، دار الفكر العربي، ص: 131 – صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت، دار العلم للملايين، ط 14/ 1983،ص: 308.

[120] أبو الوفاء ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: جورج المقدسي، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع، الطبعة 1/ 1417هـ–1996م، ص: 102.

1- بيان اللفظ المجمل بلفظ أشهر منه عند المخاطب:

وفي هذا المسلك يجتهد المفسر في بيان اللّفظ بإخراج دلالته إلى الوضوح التّامّ من خلال الإشارة إلى مرادفه المشهور عند المخاطب. مثاله [121]: ما نقله عن مجاهد حينما فسّر قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ [122] فقال: زلزلت، فلفظ الزلزلة أشهر عند المخاطب، وشاهده قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [123]، وكذلك فسّر [124] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ... ﴾ [125]، فنقل عن ابن عيينة [126]: سبع طرائق أنّها سبع سموات، وشاهد هذا البيان والتوضيح قوله تعالى من نفس السورة: ﴿قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ... ﴾ [127].

2- بيان الإجمال بسبب الإبهام:

إذا ورد اللفظ مبهما يرفع إجماله بالبيان، مثاله [128]: قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَاتٍ ...﴾ [129] فلفظ كلمات اسم جنس مجموع مبهم، بيّنه بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [130] وممّا يؤكد رجحان هذا البيان وروده في سياق قصّة واحدة [131].

---

[121] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 625.

[122] سورة الواقعة، الآية: 04

[123] سورة الزلزلة، الآية: 01

[124] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 444.

[125] سورة المؤمنون، الآية: 17.

[126] أبو محمد، سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث مكة، العالم التقي، والمفسر الورع، ولد سنة 107هـ، ومات سنة 198هـ. الداودي شمس الدين محمد بن علي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1415هـ-1994م، ج1، ص: 190.

[127] سورة المؤمنون، الآية: 76.

[128] ابن حجر، الفتح، ج6، ص: 361.

[129] سورة البقرة، الآية: 37.

[130] سورة الأعراف، الآية: 23.

3- بيان الإجمال في درجة الحكم:

قد يرد اللّفظ القرآني مجملا يحمل معاني متعددة متفاوتة الأحكام دون ترجيح، فيلجأ المفسر إلى بيان اللّفظ بترجيح الدلالة المحددة لدرجة الحكم الشرعي، مثاله[132] قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِنَ الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُّرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[133] فسّر بقوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[134] فقدّم آية المائدة، إذ لفظ الطهارة بها مجمل يحتمل حكمين: الوضوء والغسل، ثمّ بيّن الحكم الراجح منهما وهو الاغتسال من خلال ذكره آية سورة النّساء، التي تشير صراحة إلى الحكم. والله أعلم.

---

[131] قال ابن قيم الجوزية: "لّما علم السيّد أنّ ذنب عبده لم يكن قصدا لمخالفته ولا قادحا في حكمته، علّمه كيف يعتذر إليه (فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه)"، ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 77 – وقال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية: "الكلمات التي تلقّى آدم من ربّه: اللّهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني وأنت أرحم الرّاحمين، اللّهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التواب الرحيم". ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1/ 1416هـ–1995م.، ج6، ص: 31.

[132] ابن حجر، الفتح، ج1، ص: 359.

[133] سورة المائدة، الآية: 06

[134] سورة النساء، الآية: 43

4- بيان الإجمال بترجيح المعنى الشرعي على المعنى اللغوي:

إنّ من المعلوم شرعا أن القرآن نزل لبيان أحكام الشرع لا لبيان اللّغة، وعلى هذا "فالأصل في تفسير المجمل هو المعنى الذي حدّده المشرّع لا المعنى اللّغوي"[135]، فإذا ورد لفظ له معنى لغوي معيّن قد أعطاه الشرع مفهوما شرعيا خاصا، حمل عليه دون المعنى اللّغوي الأصليّ فلفظ الزكاة مثلا يطلق في اللّغة على معنى النّماء والطّهارة، أمّا في الشرع فإنه يدل على معاني محدّدة منها الإخلاص والتّوحيد. ولقد فسّر لفظ الزكاة[136] من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنَ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ... ﴾[137] بالطاعة والإخلاص، واستدلّ بنظير المعنى الشرعيّ بقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الذِّينَ لاَ يُوتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[138] قال: لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وتفسير لفظ الزكاة في الآية الأولى بالإخلاص؛ أي التوحيد صحيح لاعتبارات ثلاثة:

1- الاستدلال بالنّظير القرآني للمعنى الشرعي.

2- إعمال قاعدة ترجيح المعنى الشرعي على اللّغوي.

3- حمل الكلام على التأسيس والإفادة، دون التأكيد والإعادة[139]، إذ تفسير لفظ الزّكاة في الآية الأولى بالطّهارة هو إعادة للمعنى السابق وتأكيد له، وهو قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾، فتقديم أصل التأسيس أولى من التأكيد. والله أعلم.

---

[135] محمد فتحي الدّريني، المناهج الأصولية، ص: 111.

[136] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 316.

[137] سورة التوبة، الآية: 103.

[138] سورة فصّلت، الآية: 07

[139] علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص: 71.

- المطلب الثاني: التفسير بحمل العام على الخاص[140]

وفي هذا المسلك يعمد المفسر إلى آية ظاهرها العموم، فيحملها على معنى آية أخرى مخصّصة، مثاله[141] قوله تعالى: ﴿وَالذِّينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[142]، فالآية تدل بعمومها على أن كلّ متوفى عنها زوجها فعدّتها أربعة أشهر وعشرة أيّام، لكنّ البخاريّ "بيّن أنّ محلّ ذلك ما لم تكن حاملا، فإن كانت حاملا فعدّتها وضع حملها"[143] لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلاَتُ الاَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَّضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[144]، فصرف العموم عن عمومه وخرجت منه الحوامل[145]، ويؤكّد التخصيص قول ابن مسعود رضي الله عنه: "أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرّخصة؟ لنزلت سورة النّساء الصّغرى بعد الطولى"[146]؛ "ومراد ابن مسعود أنّها مخصّصة لها؛ لأنّها أخرجت منها بعض متناولاتها..."[147]، ويشهد لهذا التخصيص حديث سبيعة الأسلمية[148] رضي الله عنها[149].

---

[140] والعام هو: اللّفظ الشامل لجميع أفراده مستغرقا لهم بالوضع دفعة واحدة دون حصر أو قيد. الشوكاني، إرشاد الفحول، بيروت، دار المعرفة، ص: 99.

[141] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 193.

[142] سورة البقرة، الآية: 234.

[143] الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 171.

[144] سورة الطلاق، الآية: 04

[145] محمّد أديب صالح، تفسير النّصوص، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ 1984م، ج2، ص: 94.

[146] ابن حجر، الفتح، ج8، ص: 193.

[147] المصدر نفسه، ج9، ص: 469.

[148] سبيعة بنت الحارث الأسلمية زوجة سعد بن خولة، روى عنها عبد الله بن عمر وجمع من التابعين منهم مسروق ابن الأجدع وعمر بن عبد الله بن الأرقم، وخرج لها الشيخان. يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الاستيعاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، بيروت دار الجيل، ، ط1، 1412هـ، 1992م، ج4، ص: 1859

- المطلب الثالث: التفسير بحمل المطلق على المقيّد[150]

وفي هذا المسلك يورد المفسر الآية المطْلقة – وقد يلجأ إلى بيان الإطلاق بدليل– ثمّ يذكر ما يقيّدها، مثال ذلك[151]: ما استدلّ به على حلّيَّة طعام أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الذِّينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُومِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الذِّينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[152]، فلفظ الطّعام يدلّ على شيوع جنسه دون قيْد، إلاّ أنّ البخاريّ حمل لفظ الطعام على غير دلالة الذبائح: "إذ لا يجوز أن يكون المراد به – لفظ الطعام– طعامهم، إذ لا شبهة على أحد في حلّ سائر طعامهم ..."[153]، ثمّ نقل الدّليل المقيّد لمطلق طعام الذبائح، وهو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَاكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ...﴾[154]، ثمّ نقل قول الإمام الزهري[155]: "لا بأس بذبيحة نصارى العرب، وإن سمعته يسمي لغير الله فلا تأكل"، فكل ما أهل لغير الله تعالى فهو فسق يؤكده قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً

---

[149] شهاب الدين القسطلانيّ، إرشاد الساري شرح صحيح البخاريّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ج7، ص: 392. وقد أخذ بعض الصحابة بأبعد الأجلين كعليّ وابن عبّاس، ولقد جعل السندي ذلك عملا بالأحوط. سنن النّسائيّ بشرح السيوطي وحاشية السندي، القاهرة، دار الحديث،ط/ 1407ه –1987م،ج6،ص: 191.

[150] وقد عرّف الأصوليّون المطلق بـ: اللّفظ الدّال على فرد شائع في جنسه دون قيد. أنظر: علي بن عباس البعلي الحنبلي، القواعد والفوائد الأصولية، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط/ 1375هـ–1956م، ص: 280.

[151] ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 223–236.

[152] سورة المائدة، الآية: 05.

[153] الكيا الهراسي، أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 2/ 1405هـ–1985م، ج3، ص: 28.

[154] سورة الأنعام، الآية: 121.

[155] ابن حجر، الفتح، ج9، ص: 636.

عَلَى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهُۥ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ﴾[156].

الخاتمة.

لقد شرّف الله تعالى اللسان العربي فجعله لغة وحيه فختم بالقرآن الكريم الكتب المنزّلة ، ولغة الرسول صلّى الله عليه و سلّم فختم به الأنبياء و المرسلين ،و من هذا أحسب أنّ البحث قد شرُف – إن شاء الله تعالى – باللسان العربي على العموم ، و بلغة القرآن الكريم على الخصوص و حقّق جملة من الغايات العلمية منها:

– أن مدرسة الحديث قد استطاعت أن تجعل التفسير النقلي مسندا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من خلال توظيفها المنهج النقدي ، وبهذا أخرجت التفسير من مقولة أنه علم لا أصل له.

– أن مدرسة الحديث قد استطاعت وفق قواعد التفسير أن تفسر القرآن في إطار سياقه، وأن ترفع الإشكال و الإجمال عنه ، وأن تصحح سوء فهم نصوصه .

– أن مدرسة الحديث قد أدركت العلاقة القائمة بين القرآن والسنة، فقد أظهرت عظمة التعاضد بينهما ، وهذا منهج يبين العلاقة القائمة بين القرآن والسنة من حيث تحقيق البيان أو التخصيص أو التقييد أو النسخ.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله الكوفي، المصنف، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة 1/ 1416هـ–1995م

[156] سورة الأنعام، الآية: 145.

2. ابن الجوزي ، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1399هـ-1979م.

3. ابن الجوزي، زاد المسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة/ 1404هـ-1984م،

4. ابن الجوزي، منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم،

5. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرياض، دار علم الكتب، طبعة/ 1412هـ- 1991م،

6. ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، الجزائر، دار الفجر، ط1، 1422هـ-2001م،

7. ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صديق جميل العطار، بيروت لبنان، دار الفكر، ط/ 1415هـ-1995م،

8. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ط1، 1406هـ-1986م،

9. ابن حجرالعسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، لبنان

10. ابن عبد البرّ، جامع بيان العلم وفضله، لبنان، دار الكتب العلمية،

11. ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسبع،بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ-1997م.

12. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت، المكتبة العلمية،ط1401،3هـ-1981م.

13. ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجُنّة المناظر، حسين داي الجزائر، مطبعة السلفية،ط1991،1م،

14. ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الفكر،

15. ابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية،

16. ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي،ط 1417،1هـ-1987م،

17. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، جدّة، دار الراية، ط1414،1هـ-1993م،

18. ابن ناقيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، الإسكندرية، مطبعة المعارف

19. أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: علي الميس، بيروت، دار القلم،

20. أبو البقاء محب الدين عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار إحياء الثرات العربي

21. أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم اليستوي،المدينة المنورة، مكتبة الدار، السعودية،ط1، 1415هـ-1985م،

22. أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الضناوي و كمال يوسف الخوت، بيروت، لبنان دار الكتب الثقافية، ، ط1، 1985م،

23. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، المدينةالمنورة مطابع الجامعة الإسلامية، ، ط1، 1404هـ،

24. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ، بيروت، دار إحياء الثرات العربي

25. أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ط1398هـ–1978م.

اتجاهات المفسرين في التراث الاسلامي

□ وقفة مع بعض الأعلام والآثار ـ

د. فاطمة برماتي، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر

أ.د. إدريس بن خويا، جامعة أحمد دراية، أدرار ، الجزائر

مقدمة:

إنّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة في حياة البشر، فهو الكتاب الوحيد الذي كلما قرأنا منه حرفا إلا وكان فيه الأجر لقارئه، ولكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. ولأجل فهم مضامينه والوقوف على دلالات ألفاظه تسارعت علوم عدة لأجل فهمه وتبيان معانيه؛ لفظا وتركيبا وخطابا. ومن هذه العلوم نجد علوم اللغة، علم التفسير...

وإنّ المتتبع لذلك يلحظ أن حركة التفسير كانت منذ البدايات الأولى لنزوله، وبالضبط ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير بعض الآيات منه بطلب من بعض الصحابة -رضوان الله عليهم-. وأنه لم يفسِّره كله لحكمة إلهية مفادها فتح باب الاجتهاد للعلماء المفسرين في كل زمان ومكان للدلالة على أنه ذلك النص الأبدي الخالد. ولكن رغم ذلك نجد اختلافا في اتجاهات العلماء المفسرين، بل حتى في مناهجهم أثناء تعاملهم مع النص القرآني، وبالتحديد في العصر الحديث.

وبالتالي فإن الإشكال المطروح يتمثل في الآتي:

-ما أنواع اتجاهات المفسرين في العصر الحديث.

-وما المدونات التفسيرية التي يمكنها أن تُدرج ضمن هذه الاتجاهات؟.

-وما الدافع الأساسي وراء تنوع الاتجاهات؟ وأي اتجاه يمكننا أن ننتصر إليه؟.

وأمام تلك الإشكالية ستتضمن مداخلتنا مجموعة من النقاط أهمها:

- مفهوم التفسير لغة واصطلاحا.
- ببليوغرافيا أعلام التفسير في العصر الحديث ومدوناتهم.
- اتجاهات المفسرين في العصر الحديث؛ العلمي، الأثري، العقلي، البياني، الدعوي،...
- وقفة مع بعض الأعلام وآثارهم (مدوناتهم). " قراءة تحليلية نقدية".
- خاتمة تتضمن أهم النتائج.

إن التفسير من حيث مفهومه اللغوي الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1]؛ أي بيانا وتفصيلا، وهو مأخوذ من الفسر الذي هو الإبانة والكشف. ومن ذلك قول الفيروز آبادي: "الفسر الإبانة وكشف المغطى كالتفسير"[2].

ويقول ابن منظور: الفَسْرُ: البيان .فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، وتَفْسُرُه، بالضم ...الفَسْرُ: كشف المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل.."[3].

وأما من حيث مفهومه الاصطلاحي هو مانجده في قول الذهبي: "يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من قبيل العلوم التي يتكلف لها الحد؛ لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان

[1] – سورة الفرقان' الآية 33.

[2] – القاموس المحيط،.الفيروز أبادي، 3/ 58.

[3] – لسان العرب، ابن منظور، 11/ 180.

كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها"[4]، وبالتالي فأنها قضية في غاية الأهمية، فإذا لم يسلم لنا بأن التفسير علم فكيف يسلم لنا علم أصول التفسير؟ وممن ذهب إلى هذا القول ابن عاشور أيضا في كتابه "التحرير والتنوير" لما قال: هذا وفي عد التفسير علماً تسامح"[5].

ويقول أبوحيان: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك"[6]؛ وبالتالي فإن هذا التعريف يدمج علوما عديدة في التفسير كالقراءات وعلوم اللغة[7].

وأما الزركشي فيقول: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها، وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها"[8].

ولكننا في موضع آخر نجد للزركشي تعريفا آخر، ونجده أقرب إلى المعنى المقصود الذي استقر عليها مفهوم التفسير بقوله: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكمه"[9]. وأما الطاهر بن عاشور في التحرير

---

[4] -التفسير والمفسرون، الذهبي، 1/ 14.

[5] -التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 1/ 12.

[6] -البحر المحيط، 1/ 13-14.

[7] -علم أصول التفسير، محاولة في البناء، د.مولاي عمر بن حماد، ص38، دار السلام، فاس، المغرب، ط1، 1431هـ-2010م.

[8] -البرهان في علوم القرآن، 2/ 148، وينظر الاتقان في علوم القرآن، 2/ 1191.

[9] -البرهان في علوم القرآن، 1/ 12.

والتنوير فنجده يقول: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[10].

وبالتالي بمكننا القول في مفهوم مبسط وجامع للتفسير، وحسب منصور كافي، إن التفسير علم يبحث عن فهم كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، واستخراج أحكامه وحكمه، وبيان مدلولات معانيه بقدر الطاقة البشرية باختصار أو توسع[11].

مفهوم التأويل:

يعتبر التأويل من الظواهر اللغوية القديمة التي حظيت باهتمام كبير من لدن العلماء القدامى أثناء دراستهم وتتبعهم لمعاني النص القرآني والسني؛ ومن هؤلاء نجد ابن القيم الذي اهتم بهذه الظاهرة اهتماما واسعا، ولا أدل على ذلك ما ابتدأ به كتابه "الصواعق المرسلة" مسمياً إيّاه بالطاغوت الأول؛ وهذا راجع -حسب رأيه- لعدم توظيفه التوظيف المناسب من لدن بعض العلماء أثناء تعاملهم مع النصوص الشرعية، وبالتالي خروجهم من التأويل الصحيح إلى التحريف.

وقبل حديثنا عن مضمون التأويل عند ابن القيم نود الوقوف عند تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي له.

ـ مفهومه لغة واصطلاحا:

إذا بحثنا في مفهوم التأويل لغة لوجدنا أن المعاجم اللغوية القديمة تكاد تُجمع على أنه بمعنى التفسير والمعنى والبيان والرجوع والمصير، حيث يقول ابن منظور:" آل الشيءُ يَؤُول أَولاً ومآلاً: رَجَع، وأَوَّل إِليه الشيءَ: رَجَعَه وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت...التأْويل والمعنى والتفسير واحد،...

---

[10] -التحرير والتنوير، 1/ 11.، وينظر علم أصول التفسير، ص39.

[11] -مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق، منصور كافي، ص18، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006.

والمَصير مأْخوذ من آل يؤول إِلى كذا؛ أَي صار إِليه. وأَوَّلته: صَيَّرته إِليه"[12]. ويقول- أيضا-: "المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ "[13]. وأما عند الفيروز أبادي فهو الأخذ من الأوّل وهو الرجوع، حيث يقول: "آل إليه أوّلاً ومآلاً: رجع، وآل عنه: ارتد...وأوّل الكلام تأويلاً: دبّره وقدّره وفسّره، والتأويل عبارة الرؤيا"[14]. ويقول -أيضا-: " أوّل الكلام تأويلاً، وتأوّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره"[15].

وأما مفهومه من حيث الاصطلاح فنجد الآمدي يصرح بأنه "حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له"[16]. ونجد المفهوم الاصطلاحي أكثر وضوحا عند الراغب الأصفهاني بقوله: "رد الشيء إلى الغاية المراد منه، علما كان أو فعلا"[17]، فتأويل الكلام هو رده إلى الغاية المرادة منه وإرجاعه إلى أصله، وإعادته إلى حقيقته التي هي عين المقصود منه[18]. وإذا عدنا إلى السلف الصالح ومنهم العلامة ابن قيم الجوزية يقول:

من خلال تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتأويل نجد ابن القيم لا يخرج عن هذا التحديد، وذلك من خلال وقوفه على المعنى اللغوي والاصطلاحي، مضيفاً معان أخرى يحتملها التأويل؛ وهو ما نلمسه أثناء تحديده في كلام الله ورسوله ﷺ؛ حيث يُعرفه لغة قائلاً: " التأويل: تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه. فالتأويل: التصيير، وأولته تأويلاً إذا صيَّرته إليه، فآل

[12] – لسان العرب، مادة (أول)، 11/ 32.

[13] – المصدر والصفحة نفسهما.

[14] – القاموس المحيط، مادة (أول)، 3/ 52.

[15] – المصدر والصفحة نفسهما.

[16] – الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، 3/ 59.

[17] – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص80.

[18] – مناهج المفسرين في العصر الحديث، ص20.

وتأول وهو مطاوع أولته. وقال الجوهري[19] التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته وتأولته تأولاً بمعنى "[20]، فهذا من حيث اللغة.

وأما من حيث معانيه في القرآن والسنة فقد حمل عدة دلالات يوضحها ابن القيم، ومنها[21]:

-العاقبة؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [22].

-تعبير الرؤيا؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾[23].

-العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[24].

ومن خلال هذه الدلالات المتعددة للتأويل نجد ابن القيم يوضح حقيقته التي أرجعها إلى الوجود الخارجي، حيث يقول: « فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه وهي الحقيقة الموجودة في الخارج فإن الكلام نوعان خبر وطلب فتأويل الخبر هو الحقيقة»[25]؛ أي حقيقة المعنى هو الموجود في الخارج، لا المعنى الظاهري للفظ.

وأما من حيث مثاله في السنة النبوية الشريفة فنجد ابن القيم يضيف قائلاً: «وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها. قالت عائشة- رضي الله عنها-: ﴿كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ

[19] – الصحاح، مادة (أول)، 5/ 313.

[20] – الصواعق المرسلة، 1/ 175.

[21] – ينظر المصدر نفسه، 1/ 176–178.

[22] – سورة النساء، الآية 59.

[23] – سورة يوسف، الآية 100.

[24] – سورة الكهف، الآية 78.

[25] – الصواعق المرسلة، 1/ 177.

وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ﴾[26]. فهذا التأويل هو نفس فعل المأمور به»[27]؛ فهذا من حيث معاني التأويل في كلام الله ﷻ ورسوله ﷺ حسب ابن القيم.

وأما من حيث الاصطلاح عند السلف فقد أرجعه إلى معنى التفسير والبيان، حيث يقول: « وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث فمرادهم به معنى التفسير والبيان»[28]، ولكن هذا النوع من التأويل حسب ابن القيم: «يرجع إلى فهم المعنى وتحصيله في الذهن»[29]. بينما التأويل السابق فهو « يعود إلى وقوع حقيقته في الخارج»[30]؛ فهذان المفهومان مقبولان عند ابن القيم.

وأما المفهوم الذي لا يقبله فهو ما ذهبت إليه بعض الفِرق كالجهمية والمعتزلة؛ باعتباره نتيجة صرف اللفظ عن ظاهره، وهو«الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى دليل؛ وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وإبطاله من الجانبين؛ فصنّف جماعة في تأويل آيات الصفات وأخبارها كأبي بكر بن فورك، وابن مهدي الطبري وغيرهما، وعارضهم آخرون فصنفوا في إبطال تلك التأويلات كالقاضي أبي يعلى، والشيخ موفق الدين بن قدامة؛ وهو الذي حكى عن غير واحد إجماع السلف على عدم القول به»[31]. ومن خلال ذلك، يتبيّن أن التأويل عند ابن القيم راجع إلى أمرين: حقيقة المعنى الذي يؤول

[26] – أصل الحديث: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: ﴿ثم كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا، وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن﴾. صحيح مسلم، 1/ 350.

[27] – الصواعق المرسلة، 1/ 177–178.

[28] – المصدر نفسه، 1/ 178.

[29] – المصدر والصفحة نفسها.

[30] – المصدر والصفحة نفسها.

[31] – المصدر نفسه، 1/ 178–180.

إليه اللفظ؛ وهي الحقيقة الخارجية، وكذلك رجوعه إلى معنيي التفسير والبيان، وكلاهما لا يبعدان عن المعنى اللغوي لكلمة "التأويل".

أنواع التأويل:

لقد أشار ابن القيم إلى نوعين من التأويل؛ التأويل الصحيح وهو المقبول، والتأويل الباطل وهو غير المقبول أو المردود. وأن التأويل الذي دافع عنه بشدة هو التأويل الصحيح الذي يوافق ما دلّ عليه النص الشرعي، وأما التأويل الذي لا يرتضيه ولا يقبله فهو التأويل الباطل الذي لا يوافق ما دلّ عليه النص الشرعي، حيث نجده يقول: «التأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السّنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السّنة هو التأويل الفاسد، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول، وما خالفه فهو المردود[32].

ومن أمثلة هذين التأويلين عند ابن القيم نجد:

أ- التأويل الصحيح:

إن هذا النوع من التأويل هو الذي يوافق ما دل عليه النص، ويطابق ما جاءت به السنة، وهذا ما نلحظه في مثل « قول عروة بن الزبير لما روى حديث عائشة: ﴿فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صَلَاةُ الْحَضَرِ، وأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، فقيل له: فما بال عائشة أتمت فِي السَّفَرِ؟ قَالَ:إِنَّهَا تَأَوَّلَتْ كَمَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ﴾[33]»[34]؛ حيث يوضح ابن القيم مبيّنا صحة هذا التأويل: «وليس مراده أن عائشة وعثمان تأوّلا آية القصر على خلاف ظاهرها، وإنما مراده أنهما تأوّلا دليلاً قام عندهما اقتضى جواز الإتمام، فعَملاَ به، فكان عملهما به هو تأويله، فإنّ العمل بدليل الأمر هو

[32] – المصدر نفسه، 1/ 187.

[33] – سنن البيهقي الكبرى، 3/ 143.

[34] – الصواعق المرسلة، 1/ 185.

تأويله كما كان رسول الله ﷺ يتأوّل قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[35]، بامتثاله بقوله: ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي﴾[36]، فكأن عائشة وعثمان تأوّلا قوله: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[37]، وإنّ إتمامها من إقامتها»[38]، وبالتالي فهو تأويل صحيح ومقبول نتيجة لما دل عليه النص، وموافقته لما جاءت به السّنة ومطابق لها؛ لأن أصحاب هذا الرأي هم مِن « أفقه الأمة، وأبَرِّ الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلُّفاً، وأصحهم قُصُوداً، وأكملهم فِطْرة، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً، الذين شاهدوا التنزيل، وعَرَفوا التأويل، وفَهِمُوا مقاصد الرسول؛ فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته؛ والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل؛ فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قَدْرهم إلى قَدْرهم»[39].

ب- التأويل الفاسد:

وهذا النوع من التأويل هو الذي لا يوافق ما دل عليه النص، ويسمى بالتأويل الباطل أو المردود، ولخطورته فصّل فيه ابن القيم الحديث مطوّلاً، مشيراً إلى أنواعه العديدة، التي منها[40]:

-ما لم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع، وإن احتمله مفرداً؛ كتأويل قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[41]، على أنها القدرة .

[35] – سورة النصر، الآية 03.

[36] – صحيح مسلم، 1/ 350، وصحيح البخاري، 1/ 274.

[37] – سورة النساء، الآية 103.

[38] – الصواعق المرسلة، 1/ 185-186.

[39] – أعلام الموقعين، 1/ 71-72.

[40] – الصواعق المرسلة، 1/ 187-190.

[41] – سورة ص، الآية 75.

- ما لم يحتمله اللفظ كتأويل قول الرسول ﷺ: ﴿حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيْهَا قَدَمَهُ﴾[42] بأن الرِّجل: جماعة من الناس، فإن هذا لا يُعرف في شيء من لغة العرب البتة.

- تأويل اللفظ بمعنى ولكن لم يدل عليه دليل من السياق، ولا وجود قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يوقع السامع في اللُّبس والخطأ، فإنّ المولى ﷻ أنزل كلامه بياناً وهدىً، فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم تحفّ به قرائن تدلّ على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كلّ أحدن لم يكن بياناً ولا هدىً.

هذه البعض من الأنواع التي أشار إليها ابن القيم، وأنه عمد إطالة الحديث فيها لخطورة الأمر، ولتيه بعض المأوّلين للنص، وخروجهم عن مقاصد النص الشرعي؛ لأن التأويل الذي لا يأخذ بنا إلى الدلالات المقصودة من النص فهو تأويل فاسد وغير مقبول، وخصوصاً أننا نتعامل مع النص الشرعي الذي يرقى إلى أعلى الدرجات، ومُنزّه عن أي تحريف؛ باعتبار أن التحريف هو نتيجة « تحريف المعاني بالتأويلات التي لم يَرِدْها المتكلم بها»[43].

ولكن أن المتأولين –حسب ابن القيم– هم «أصناف عديدة بحسب الباعث لهم على التأويل، وبحسب قُصور أفهامهم ووُفُورها، وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل مَنْ فسد قَصْده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه كان تأويله أشد انحرافاً، فمنهم من يكون تأويله لنوع هَوىً من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أَخفت عليه الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع هدى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق. ومنهم من يجتمع له الأمران: الهوى في القصد والشبهة في العلم»[44]، ولذلك نجد ابن القيم يُصر على تجنُّب هذا النوع من التأويل داعياً إلى ذلك أهل الإفتاء لتجنبه بالدرجة الأولى، حيث يقول: «إذا سُئل عن تفسير آية من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ فليس له أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات

[42] – صحيح البخاري، 6/ 2453، وصحيح مسلم، 4/ 2188.

[43] – أعلام الموقعين، 4/ 1045.

[44] – المصدر نفسه، 4/ 1045–1046.

الفاسدة لموافقة نحلته وهَوَاه، ومَنْ فَعَل ذلك استحقَّ المنع من الإفتاء والحجْر عليه، وهذا الذي ذكرناه هو الذي صرّح به أئمة الإسلام قديماً وحديثاً»[45]، لأنه يخرج دلالة النص عن مراد المتكلم، وذلك أن «التأويل إدراك الحقيقة التي يَؤول إليها المعنى التي هي أَخِيَّتُهُ وأصْله، وليس كل من فقه في الدين عرف التأويل؛ فمعرفة التأويل يختص به الراسخون في العلم، وليس المراد به تأويل التحريف وتبديل المعنى؛ فإن الراسخين في العلم يعلمون بطلانه»[46]، وهذه ميزة خصّ الله بها عباده العلماء، وميّزهم بها عن غيرهم.

ـ شروط التأويل:

لقد حد علماء الأصول للمأوّل عندما يريد التعامل مع النص الشرعي من أجل وقوفه على المعاني الخفية له، وكل ذلك من أجل منع « تسرب أي تأويل فاسد لمقاصد الشريعة الإسلامية وأهدافها أو استغلالها عقائدياً لصالح بعض الملل أو النحل أو مطية لبعض الصراعات على زعامات مرهومة»[47]. وإننا نأخذ برأي الشوكاني الذي حاول أن يحدّد بوضوح شروط التأويل؛ وهي ملخصة عن أقوال وآراء جمهور الأصوليين، ونجدها متمثلة في الآتي[48]:

– أن يكون موافقا لوضع اللغة أو عُرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح، ولا يؤخذ به.

– أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك الفظ هو المعنى الذي حُمل عليه إذا كان لا يُستعمل كثيراً فيه.

---

[45] – المصدر نفسه، 4/ 1041–1042.

[46] – المصدر نفسه، 1/ 249.

[47] – نظرية النص من بنية المعنى إلى سميائية الدال، د.حسين خمري، ص165، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428ه–2007م.

[48] – إرشاد الفحول، ص586.

– إذا كان التأويل بالقياس فلابد أن يكون جلياً لا خفياً، وقيل أن يكون ما يجوز التخصيص به على ما تقدّم، وقيل لا يجوز التأويل بالقياس أصلاً.

وإذا عدنا إلى أعلام المذهب الحنبلي لوجدنا ابن القيم –هو الآخر– يفرد شروطاً أربعة خاصة لأجل ضمان نجاح العملية التأويلية، وأنه إذا خلا أي شرط من الشروط التي أعدها كان التأويل خلالها فاسداً وغير مقبول، وهذا ما تحدّث عنه ضمن جانب خاص سمّاه بـ"الوظائف الواجبة على المتأوّل" مشيراً إلى أنه «لـمّا كان الأصل في الكلام هو الحقيقة والظاهر، كان العدول به عن حقيقته وظاهره مُخرجاً له عن الأصل، فاحتاج مدَّعي ذلك إلى دليل يسوّغ له إخراجه عن أصله، فعليه أربعة أمور لا تتّم له دعواه إلاّ بها»[49]. وهذه الشروط هي كالآتي[50]:

أ– وهو الشرط الأول نفسه الذي لخصّه الشوكاني عن جمهور الأصوليين، ومفاده أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي تأوّله في ذلك التركيب الذي وقع فيه، وموافقاً لوضع اللغة وعرف الاستعمال؛ وذلك باعتبار أننا إذا تأملنا تأويلات بعض من الرجال لوجدنا الكثير منها لا يحتمله اللفظ في اللغة التي وقع بها التخاطب، وإذا احتمله لم يحتمله في ذلك التركيب الذي تأوّلهن فلا بد أن يكون المعنى الذي تأوّله المتأوّل مما يسوغ استعمال اللفظ فيه في تلك اللغة التي وقع بها التخاطب، وأن يكون ذلك المعنى ممّا تجوز نسبته إلى الله، وأن لا يعود على شيء من صفات كماله بالإبطال والتعطيل، وأن يكون معه قرائن تحتف به تبيّن أنه مراد باللفظ، وإلاّ كانت دعوى إرادته كذباً على المتكلم؛ ومن ذلك ما نجده في تأويلاتهم الفاسدة –حسب رأي ابن القيم دائماً– تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[51]، بأنه أقبل على خلقه، فهذا لم يرد ذِكره عند أحد من أهل اللغة، ولم يذكر أحد منهم أن من معاني لفظ "استوى" في النص القرآني الإقبال على الخلق.

[49] – الصواعق المرسلة، 1/ 288.

[50] – ينظر المصدر نفسه، 1/ 289–295، واجتماع الجيوش الإسلامية، ص117–120.

[51] – سورة الأعراف، الآية 54.

وكذلك ما وجده ابن القيم في تأويلهم الاستواء بمعنى الاستيلاء، وهذا مما لا تعرفه العرب من لغاتها، وقد صرّح أئمة كابن الأعرابي[52] وغيره بأنه لا يعرف في اللغة، ولو احتمل ذلك لم يحتمله هذا التركيب؛ فإن استيلاءه سبحانه وغلبته للعرش لم يتأخر عن خلق السماوات والأرض، والعرش مخلوق قبل خلقها بأكثر من خمسين ألف سنة.

ب- وهو يتمثل في إثبات الدليل؛ وذلك من خلال تعيين المعنى وإيضاحه، فإنه إذا أخرج عن حقيقته قد يكون له معان؛ فتعيين ذلك المعنى يحتاج إلى دليل.

جـ- إقامة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره؛ وذلك باعتبار أن دليل المدّعي للحقيقة والظاهر قائم، فلا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل صارف يكون أقوى منه.

د- وهو يتمثل في الجواب عن المعارض؛ بحيث إن مدّعي الحقيقة قد أقام الدّليل العقلي والسمعي على إرادة الحقيقة أثناء إقامته لذلك الدليل الصارف عن اللفظ؛ فأما السمعي فلا يمكن المكابرة أنه معه، وأما العقلي فهو ينقسم إلى خاص وعام؛ فالعام هو الدليل الدّال على كمال علم المتكلم، وكمال بيانه وكمال نصحه، وأما الخاص فهو أن كل صفة وصف الله بها نفسه، ووصف بها رسوله فهي صفة كمال قطعاً.

ومن خلال الشرط الأخير الذي اشترطه ابن القيم، يتبيّن أن السلف من المثبتين لصفات المولى ﷻ بأكملها، فهو منهج ثابت عندهم، مقرّين بما ورد في الكتاب والسنة من غير إنكار؛ وذلك باعتبار أن الدليل السمعي عندهم يتضمن «الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، وهو الدليل الذي يرسمون به إطاراً غير قابل للاختراق، ويرفضون بموجبه

[52] – جاء رجل إلى ابن الأعرابي وقال له: يا أبا عبد الله ما معنى قوله: ﴿ الرحمان على العرش استوى ﴾ سورة طه، الآية 05، قال: إنه مستو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل إنما معنى استوى: استولى، فقال له ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لا تقول: استولى على العرش فلان، حتى يكون له مضاد فأيهما غلب، قيل له: استولى عليه، والله تعالى لا مضاد له فهو مستو على عرشه كما أخبر. ينظر فتح الباري، 13/ 406.

كل محاولات الفهم التي تأتي من خارجه، وحجتهم في ذلك أن معرفة الصفات فرع عن معرفة الذات»[53]، وأنهم بذلك أثبتوا أن الكلام صفة للمولى ﷻ بلفظه ومعناه مهما طال الزمان أو قصر.

وأما من حيث الأدلة العقلية فيجب أن نسلِّم بأن السلف لم يكونوا من نفاة الصفات أو بعضها، وذلك من خلال إثباتهم جميع الصفات للمولى ﷻ، وما دل عليه العقل كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وأن كل صفة دل عليها القرآن والسنة فهي تندرج ضمن صفة الكمال. ومن خلال ذلك نجد ابن القيم يلخّص تلك الشروط الأربعة للتأويل في نص شعري قائلاً[54]:

وَعَلَيـكُـمُ فِـي ذَا وَظَـائِفُ أربَعٌ ۞ وَالله لَيْسَ لَـكُـــمْ بِهِنَّ يَدَانِ:

مِـنْهَا دَلِـيلٌ صَـارِفٌ لِلَّفْـظِ عَنْ ۞ مَوْضُوعِـه الأَصْـلِيِّ بِالبُرْهَـــانِ

إِذْ مُدَّعِـي نَـفْسَ الحَـقِـيقَـةِ مُدَّعٍ ۞ لِلأَصْـلِ، لَمْ يَحْـتَـجْ إِلَى بُرْهَانِ

فَإِذَا اسْـتَقَامَ لَكُمْ دَلِـيلُ الصَّرفِ يَا ۞ هَيْـهَاتَ! طُولِـبتُـمْ بِـأَمْرٍ ثَـانِ

وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْـظِ لِلْمَعْـــنَى الذِي ۞ قُلتُمْ هُوَ المَقْصُودُ بِالـتِّـبْـيَـانِ

فَإِذَا أتـيـتُمْ ذَاكَ طُولِـبتُـمْ بِأمْـ ۞ ـــرٍ ثَالِثٍ مِـنْ بَـعْدِ هَذَا الثَّانِي

إِذْ قُـلْتُـمُ: إِنَّ الـمُـرَادَ كَـذَا، فَمَا ۞ ذَا دَلَّـكُمْ؟ أَتَخَـرُّصُ الـكُـهَّانِ؟!

هَبْ أَنّـهُ لم يَقْـصِد الموضُوعَ لَـكِـ ۞ ـنْ قَـدْ يَكُونُ القَصْدُ مَـعْنىً ثَانِ

---

[53] – ظاهرة التأويل عند المتكلمين –دراسة تحليلية للتأويل عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، زبيدة الطيب، ص232، إشراف: د.اسعيد عليون، (ماجستير)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية:2002–2003م (مخطوط).

[54] – شرح القصيدة النونية، 1/ 299–305.

... ...

وَكَـذا نُـطَـالِبكُمْ بِأَمْـرٍ رَابعٍ ۞ وَالله لَـيْسَ لَـكُـمْ بِـذَا إِمْكَانِ

وهُوَ الجَوابُ عَنِ المُعَارِضِ إذْ بِه ۞ دَّعْـوَى تَـتِمُّ سَلِيـمَـةَ الأَرْكَانِ

ـ مجال التأويل:

لقد حدد ابن القيم الضوابط التي يجب فيها قبول التأويل وعدم القبول، مبيّناً في ذلك أن كلام المتكلم في حد ذاته ينقسم إلى ثلاثة أقسام: النص، والظاهر، والمجملح حيث يقول في ذلك: « لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم، وكان مراده لا يعلم إلاّ بكلامه، انقسم كلامه ثلاثة أقسام: أحدها: ما هو نص في مراده لا يحتمل غيره. الثاني: ما هو ظاهر في مراده وإن احتمل أن يريد غيره. الثالث: ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد، بل هو مجمل يحتاج إلى البيان»[55]. وبعد ذلك يبيّن هذه الأقسام بشيء من التفصيل نوجزها في الآتي:

الأول: ما هو نص في مراده لا يحتمل غيره؛ أي أن هذا الجانب لا يحتمل إلاّ الدلالة القطعية التي تقف على معنى واحد، ولا تتعدى غيره، وبالتالي يستحيل دخول التأويل فيه؛ كدلالة لفظ "العشرة" و"الثلاثة" على مدلولهما. وكدالة لفظ "الشمس" و"القمر" على مدلولهما كذلك؛ فمثل هذه الألفاظ يستحيل تأويلها إلى غيرها، وهذا شأن عامة نصوص القرآن الصريحة في معناها؛ كنصوص آيات الصفات والتوحيد[56].

الثاني: ما هو ظاهر في مراد المتكلم، ولكنه يقبل التأويل خلافا للقسم الأول الذي سبقه، ولكن ينظر هذا القسم في وروده؛ فإن اطّرد استعماله على وجه واحد استحال تأويله بما يخالفه وشاع

[55] – الصواعق المرسلة، 1/ 382.

[56] – ينظر المصدر نفسه، 1/ 382–384.

استعماله في عُرف التخاطب، فلا ينبغي اللجوء إلى التأويل على الرغم من قابليته لذلك؛ لأن الاستعمال في هذه الحال أفاد اليقين بمراد المتكلم[57].

الثالث: وأما هذا القسم فهو ما كان مجملاً يحتاج إلى البيان، ولا يؤول إلاّ إذا كان بدليل، وأن هذا الدليل قد يكون متصلا، وقد يكون منفصلا حتى يحيل بيانه إلى خطاب آخر[58].

وبعد هذه الأقسام الثلاثة يأتي ابن القيم ليضع ضابطاً خاصاً بالمجال الذي يدخل فيه التأويل، مبيّناً احتمالية اللفظ لعدة معانٍ دون أن تتحكم القرينة في تحديد أحد معانيه، حيث يقول في ذلك: «والمقصود أن الكلام الذي هو عُرضة التأويل قد يكون له عدة معان، وليس معه ما يبيّن مراد المتكلم، فهذا للتأويل فيه مجال واسع، وليس في كلام الله ورسوله من هذا النوع شيءٌ من الجمل المركّبة، وإن وقع في الحروف المفتتح بها السور، بل إذا تأمل من بصّره الله طريقة القرآن والسّنة وجدها متضمّنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره، وهذا موضع لطيف جداً في فهم القرآن[59].

ومن خلال ذلك يمكننا القول إن التأويل آلية من الآليات التي أسهمت في فهم مراد المتكلم، دون إفراط في استعماله وتوظيفه، ولكن بالتوسط في العمل والأخذ به، وأن هذا الرأي « يمثل المنهج السليم الذي يحفظ لظاهرة التأويل مكانتها في اللغة وأهميتها في توضيح الدلالة، فتقشع عنها تلك السحب القائمة التي أتت بها الفرق الكلامية» [60].

[57] – ينظر المصدر نفسه، 1/ 384–388.

[58] – ينظر المصدر نفسه، 1/ 389–391، واختيارات ابن القيم الأصولية، 2/ 619.

[59] – المصدر الأول نفسه، 1/ 389.

[60] – ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، د.السيد أحمد عبد الغفار، ص191، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

وأنه يمكن تحديد أبعاد المنهج الوسطي في الأخذ بالتأويل حسب ما ذهب إليه أحمد عبد الغفار في الآتي[61]:

- استعمال ظاهرة التأويل عند الحاجة الملحة؛ باعتبار أن هذا الاستعمال يظهر أهميتها في المجال الدلالي للألفاظ.

- استعمال ظاهرة التأويل من خلال أسلوب متكامل غير مبتور، حتى يمكن تحديد هدف السياق، والوصول إلى دلالة صحيحة.

- البعد عن المغالاة في تحديد الدلالة حتى لا نحمّل النص فوق طاقته و نُبْخس النصوص حقّها.

- موافقة أوجه الدلالة المستنبطة عن طريق التأويل لأوجه الأسلوب العربي.

- أن تساند التأويل أدلة قوية واضحة.

الفرق بين التفسير والتأويل[62]: لقد أحصى العلماء وجوه عديدة للتمييز بين التفسير والتأويل، منها:

-التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، بينما التأويل ترجيح أحد الاحتمالات.

-التفسير يتعلق بالرواية، بينما التأويل يتعلق بالدراية.

-التفسير أعم، بينما التأويل أخص.

-التفسير أكثر استعماله في الألفاظ والمفردات، والتأويل أكثر استعماله في المعاني والجمل.

---

[61] - ينظر المرجع والصفحة نفسهما.

[62] -ينظر علم أصول التفسير، ص41-44، ومناهج المفسرين، ص26-28.

-التفسير بيان المعاني القريبة التي تؤخذ من الآيات من كلماتها وجملها وتركيبها، عن طريق الوضع واللغة، بينما التأويل بيان المعاني البعيدة التي تلحظ من الآيات وتوحي بها كلماتها وجملها وتراكيبها عن طريق الإشارة والإيحاء.

-التفسير الاقتصار على الاتباع والسماع والرواية والاكتفاء بما ورد من مأثور في معاني الآيات، والتأويل استنباط المعاني والدلالات من الآيات عن طريق الدراية والتدبر وأعمال الفكر والنظر.

التفسير في العصر الحديث واتجاهاته:

عند اطلاعنا على جملة من كتب التفسير تبين لنا أن للتفسير اتجاهات عديدة لا يمكن حصرها أو اجتزالها في فقرات هذا البحث، وإنما تحتاج منا إلى بحث مستفيض، وقراءات عميقة تستجلي واقع التفسير في العصر الحديث ،وما نحن بصدد الحديث عنه ما هو إلاّ غيظ من فيض. ومن جملة اتجاهات التفسير في العصر الحديث التي حاولنا الوقوف عندها نلخصها في الآتي[63]:

1ـالاتجاه الأثري:

وهو يركز على المأثور، الذي يشمل تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بلسنة، وأقوال الصحابة والتابعين.

إلاّ أن صلاح عبد الفتاح الخالدي يرى أن هذا النوع من الاتجاهات غير متواجد في العصر الحديث، حيث يقول: "لا نجد تفاسير معاصرة فسَّرت القرآن وفق قواعد التفسير بالمأثور، أو وفق قواعد التفسير الأثري النظري، كما ظهر في تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير وغيرهما"[64]، ولكن "أهم ما ركّزت عليه التفاسير التي اتجهت هذا الاتجاه هو تفسير القرآن بالقرآن، فكانوا يوردون

[63] - ينظر تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص569-570.

[64] - تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص566.

آيات عديدة في تفاسير الآية"[65]. وبالتالي، هناك من التفاسير في القديم من اتبعت طريقها وفق هذا الاتجاه؛ كتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير....بينما في العصر الحديث نجد بعض التفاسير التي سارت وفق هذا النهج، منها: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ومحاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة وأضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي وغيرهم.

التفسير الأثري النظري؛ هو التفسير الجامع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي؛ فالأول هو القائم على الرواية والنقل، وإيراد الأقوال المأثورة فقط، دون نظر أو تحليل أو تأويل. أما الثاني فهو القائم على النظر والاجتهاد، والتحليل والتأويل دون ذكر للمأثور. وبالتالي، فأن أصحاب هذا المنهج ينسقون بين المأثور والرأي، وهم في ذلك يكونون قد جمعوا بين الحسنيين؛ حسنة التفسير بالمأثور، الذي هو ضروري لفهم القرآن، وحسنة التفسير بالرأي والنظر الذي لا بد منه لتفسير القرآن أيضا[66].

- **تفسير محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ):** ومن النماذج التي اخترناها لهذا الاتجاه تفسير محمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ). الذي قال عنه أحد الدارسين بأن هذا الكتاب يعد أبرز مثال للتفسير بالمأثور في القرن الرابع عشر، بحيث إن تفسير القرآن بالقرآن حسب فهد الرومي هو " الذي أبرزه المؤلف فتفسيره واعتنى به عناية كبيرة؛ بل أفرده بدراسة قيمة في مقدمة تفسيره... ذكر من أنواع بيان القرآن بالقرآن أكثر من عشرين نوعا"[67].

إذا أخذنا تفسير الشنقيطي مثلا، فكأننا نجده يحدثنا عن منهجه في التفسير قائلا: "فإنا عرفنا إعراض أكثر باسم الإسلام عن كتاب ربهم، ونبذهم له وراء ظهورهم، وعدم رغبتهم في وعده، وعدم خوفهم من وعيده، وعلمنا أن ذلك مما يعين على من أعطاه الله علما بكتابه، أن يجعل همته في

[65] – الصفحة والمرجع نفسهما.

[66] – ينظر مناهج المفسرين، منصور كافي، ص96-97.

[67] – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د.فهد الرومي، ص566، الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ.

خدمته، وإظهار محاسنه، وإزالة الإشكال عما أشكل منه، وبيان أحكامه، والعدوة إلى العمل به، وترك ما يخالفه... واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران: أحدهما بيان القرآن بالقرآن؛ لإجماع العلماء على أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله عز وجل وعلا من الله جل وعلا...الثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة، بالفتح في هذا الكتاب؛ فأننا نبين ما فيها من الأحكام، وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء في ذلك... وقد تضمن هذا الكتاب أمورا زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية، وما يحتاج إليه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث.. واعلم أن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك كثيرا جدا، وقد أردنا أن نذكر في هذه لترجمة جملا من ذلك، ليعلم بها الناظر... ضمنه هذا الكتاب المبارك من أنواع بين القرآن والقرآن، ويكون على بصيرة في الجملة من فائدته، قبل الوقوف على جميع ما فيه"[68].

ومن خلال ذلك، يتبين أن منهجه في تفسيره يتضمن:

- بيان القرآن بالقرآن والسنة.

- استخراج الأحكام الفقهية في الآيات

- إزالة الإشكال عنها، فهو لم يفسر آيات القرآن آية آية، وإنما فسر الآيات التي تحتاج إلى بيان وفي معناها آيات أخرى وأحاديث صحيحة، وهو ما أكد تلميذه-أيضا-الشيخ عطية محمد سالم في مقدمة تتمة أضواء البيان بقوله: "ينبغي أن يعلم أن أضواء البيان ليس تفسيرا شاملا لجميع القرآن كما يظنه البعض، ويتطلب فيه تفسير كل ما أشكل عليه، بل هو تفسير خاص، على منه مختص به، وهو تفسير ما أجمل من الآيات أيا كان سبب إجماله، من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، وبيان هذا

[68] -أضواء البيان في إيضاح القرآن للقرآن، الشنقيطي، 1/ 5-7، عالم الكتب، بيروت

الإجمال من آيات أخر، سواء كان المنطوق أو المفهوم أو الفحوى، أو بنسبة ثابتة، ثم استتباع ذلك ببيان الأحكام التي تؤخذ من الآية، فهو تفسير خاص وبمنهج مختص به "[69].

2ـ الاتجاه العقلي:

الهدف الذي يقوم عليه هذا الاتجاه هو إعمال العقل، وعلى التحليلات العقلية النظرية، وعلى تقديم الرأي المحمود.

وأن من أشهر التفاسير التي برز فيها هذا الاتجاه نجد: تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وتفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، وكذا التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب[70]. ومن نماذج هذا الاتجاه:

-التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب:

صدر الكتاب سنة 1967م في ثلاثين جزءا، بحيث إننا نجد صاحبه يشره منهجه فيه قائلاً : " إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله...وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلا...آية آية أو آيات آيات ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفسنا المبهورة لما تطالعنا به الآية أو الآيات من عجب ودهش وروعة، ثم نمسك القلم لنمسك به على الورق بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة..."[71].

[69] -ينظر المصدر نفسه "المقدمة"، ومناهج المفسرين، منصور كافي، ص128.

[70] - ينظر تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص566.

[71] - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 1/ 11، دار الفكر العربي.

وأما من حيث عنوان كتابه التفسير القرآني فقد أشار إليه في مقدمة كتابه، حيث يقول: " كانت صحبتنا هذه لكتاب الله على هذا الوجه الذي لا ننظر فيه إلى غير كتاب الله وإلى تدبر آياته، بعيداً عن طنين المقولات الكثيرة التي جاءت إلى القرآن من كل صوب وكادت تخفي صوته"[72].

وبالتالي فأن منهجه في الكتاب زيادة على ذكرناه من قبل، فأنه يعمد في تفسيره سورة من سور القرآن، إلى الحديث عن أسباب نزولها، وعدد آياتها وعدد كلماتها، وعدد حروفها وأسمائها ومناسبتها لما قبلها، ثم هو يختار منها كما أوضح ذلك في مقدمته آية أو آيات، ثم يكتب ما ظهر له من خواطر وآراء[73]، وهو ما دفع ببعض الدارسين إلى تصنيفه ضمن هذا النوع، وإخراجه من دائرة الاتجاه الأثري الذي أشرنا إليه سابقا، حيث يقول محمد علي الحسن في ذلك: " وأما ما صدر أخيرا التفسير القرآن للقرآن لعبد الكريم الخطيب، فقد فسر فيه كثيرا من الآيات بعقله، وتأثر إلى حد كبير بالتفسير العلمي، وقد أبعد في بعض المواطن من التفسير القرآني بالقرآن"[74].

- **تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي (ت1952م):**

له مؤلفات عديدة، منها:

-علوم البلاغة

-مقدمة التفسير

-تفسير القرآن الكريم المسمى بتفسير المراغي

-الحسبة في الإسلام

-الديانة والأخلاق

-هداية الطالب؛ النحو والتصريف وعلوم البلاغة..

---

[72] – نفسه، 1/ 11.

[73] – ينظر علم أصول التفسير ، مولاي عمر بن حماد، ص85.

[74] – المنار في علوم القرآن، د.محمد علي الحسين، ص، دار الأرقم، عمان، ط1، 1983م.

لقد ألف تفسيره في عشرة مجلدات، وفي سبع سنوات لإتمامه، وعُد كتاب تفسير المنار لمحمد رشي رضا من التفاسير الأكثر استعمالا في تفسيره، حتى قال عنه: "وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء التي فسرها"[75].

والمطلع على تفسير المراغي، يلاحظ أن المراغي قد نقل نقلا كثيرا عن صاحب المنار، بل أصبح تفسيره أقرب إلى كونه مختصرا لتفسير المنار في الأجزاء التي فسرها صاحب المنار أحمد رضا[76]، الذي يعد من ركائز هذا الاتجاه، وما أكبر تلامذة الشيخ محمد عبده. وأما من حيث منهجه في التفسير، فقد أوضحه بنفسه في كتابه المراد دراسته، نلخص بعضا منه في الآتي[77]:

- ذكر الآيات في صدر البحث؛ وهو لما يقول: صدرنا كل بحث بآية أوآيتين أو آيات من الكتاب الكريم سيقت لتؤدي غرضا واحدا.

- شرح المفردات؛ أردفنا ذلك تفسير مفرداتها اللغوية إنّ كان فيها بعض الخفاء على كثير من القارئين.

- المعنى الجملي للآيات؛ اتبعنا ذلك بذكر المعنى الجملي لهذه الآية، أو الآيات ليتجلى للقارئ منها صورة مجملة حتى إذا جاء التفسير وضح ذلك المجمل.

- أسباب النزول؛ أعقبنا ذلك ما ورد من أسباب النزول لهذه الآيات إن صح شيء من ذلك لدى المفسرين بالمأثور.

- الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم: ضربنا صفحا عن ذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة إلى أشباه ذلك مما أدخله المفسرون في تفاسيرهم.

[75] - ينظر تفسير المراغي، للمراغي، 1/ 22، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1394هـ.

[76] - ينظر مناهج المفسرين، منصور كافي، ص138–139.

[77] - ينظر تفسير المراغي، 1/ 16–18

– أسلوب المفسرين؛ رأينا أن الأساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التي ألفت فيها ويسهل عليهم فهمها، فكان لزاما علينا أن نلتمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب عصرنا موافقا لأمزجة أهله.

– تمحيص روايات كتب التفسير؛ رأينا أن لانذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة وأشرف لتفسير كتاب الله.

3ـ الاتجاه العلمي:

ويعتمد فيه على تفسير الآيات تفسير علميا، وأنه هذا الاتجاه تعمق في العصر الحديث بسبب التقدم العلمي الكبير الذي تم في العصر الحديث، وحدوث نظريات وكشوفات علمية شهدها العصر الحديث في مختلف مجالات وميادين العلوم الحديثة؛ مثل: علم الفلك والفضاء وغيرها من العلوم. ومن بين التفاسير التي يمكنها أن تنضوي تحت هذا الاتجاه نجد:

– تفسير الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري، وسمى الجوهري تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب بدائع المكونات، وغرائب الآيات الباهرة" وقد بالغ الجوهري كثيرا في التفسير العلمي، وخرج من التفسير إلى شرح لمسائل علمية عدية في مختلف الميادين. وهنا من قال عنه بأنه فيه كل شيء إلا التفسير[78].

– التفسير الفريد للقرآن المجيد، وهو لمحمد عبد المنعم الجمال، وقد فسر القرآن على ضوء العلم الحديث، ليكون خطابا لذوي الاتجاه العلمي من المسلمين وغيرهم ليزدادوا قناعة بهذا القرآن وأنه من عنده سبحانه وتعالى.

---

[78] – ينظر مناهج المفسرين، الخالدي، 567، تفسير المراغي، 1/ 16–18

وعلى غرار هذا الاتجاه ظهرت كتب كثيرة، تقدم تفسيرات علمية لكثير من الآيات على ضوء نظريات العلم الحديث، من هذه الكتب:

- التفسير العلمي للآيات الكونية لحنفي أحمد.

- البرهان لمحمود شكري الآلوسي

- الإسلام والطب الحديث لعبد العزيز إسماعيل

- القرآن والعلم الحديث لعبد الرزاق ....وغيرها من الكتب في هذا الاتجاه.

- **تفسير الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري:**

وإذا عدنا إلى تفسير الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري من حيث المنهج، فأننا نجده قد وضع ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق، وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق. وأنه يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العلم بما فيهما، ويندد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها، وينعى على من أغفلها من السابقين الأولين، ووقف عند آيات الأحكام وغيرها مما يتعلق بأمور العقيدة[79]. ومن ذلك قوله: "لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه...وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقلّ جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة، وهناك آيات أخرى دلاتها تقرب من الصراحة، فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته

[79] - ينظر مناهج المفسرين، منصور كافي، ص162.

قليلة، ويجهلوا علما آياته كثيرة جدا؟ إن آباءنا برعوا في الفقه، فنبرع نحن الآن في علم الكائنات...لنقم به لترقى الأمة"[80]. وهكذا منهج يتماشى مع باقي نماذج تفسيره للآيات القرآنية.

4ـالاتجاه الموضوعي:

ويركز أصحاب هذا الاتجاه على مجتمعات المسلمين، وإصلاح تلك المجتمعات على أساس القرآن الكريم، ومعالجة أمراض ومشكلات المجتمع المختلفة، مع تقديم السنن الاجتماعية الكفيلة برقي المجتمعات وتقدمها. ومن أشهر تفاسير هذا الاتجاه نجد تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، وكذا تفسير المراغي، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ، وتفسير سيد قطب المسمى ظلال القرآن وغيرها[81].

- **سيد قطب في تفسيره " ظلال القرآن":**

ومن هذا الاتجاه نبسط القول حول سيد قطب الذي قال في سبب تأليفه: "عنوان لم أتكلفه، فهو حقيقة عشتها في الحياة فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن يعيش ظل القرآن فترة، استوح فيها ما لا استروحه في ظل سواه"[82].

فمنهجه الحركي قائم على دعوة المسلمين إلى حسن فهم القرآن وتدبر معانيه، ثم حسن الحركة به في عالم الواقع، وليس الاكتفاء بدراسته دراسة تفسيرية نظرية[83]، وأن منهجه في التفسير برز في القواعد المنهجية الآتية[84]:

-النظرة الكلية الشاملة للقرآن.

---

[80] – ينظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري،

[81] – ينظر مناهج المفسرين، الخالدي، ص568.

[82] –في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 5.

[83] –ينظر مناهج المفسرين، ص 183

[84] –ينظر المنهج الحركي في الظلال، 51–180.

-التأكيد على المقاصد الأساسية للقرآن.

-بيان المهمة العملية الحركية للقرآن.

-استبعاد المطولات التي تحجب نور القرآن

-تسجيل إيحاءات النص وظلاله ولطائفه

-الثقة المطلقة بالنص القرآني والتسليم التام بدلالته.

-غنى النصوص بالدلالات والمعاني

-بيان أهمية العقيدة واثرها

-إزالة التعارض الموهوم بين النصوص القرآنية

-الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم

-البعد الواقعي للنصوص القرآنية وعموم دلالاتها

-بيان حكمة التشريعات وتعليل الأحكام

-المحافظة على جو النص القرآني[85].

- التفسير المنير لوهبة الزحيلي:

وهو من النماذج المختارة لهذا الاتجاه، ويعد أحد المفسرين الجهابذة المعاصرين، ما زال على قيد الحياة، وتفسيره يعد من أحدث التفاسير المعاصرة؛ الذي سماه بالتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، صدر سنة 1991 في ستة عشر مجلدا كبيرا عن دار الفكر بدمشق.

ومما قاله عن تفسيره " وهذا كتاب اصطفيت فيه من العلوم والمعارف والثقافات المستقاة من مَعين القرآن الكريم الذي لا يَنضب، ما هو لصيق بحاجات العصر، ومتطلبات التثقيف، بأسلوب جلي مبسط، وتحليل علمي شامل، وتركيز على الغايات والأهداف المنشودة من تنزيل القرآن المجيد، ومنهج بعيد عن الإطالة المملة، والإيجاز المخل، الذي لايكاد يفهم منه شيء...

[85] - ينظر مناهج المفسرين، منصور كافي، ص182-184.

وسيكون تفسيري تفسيرا يجمع بين المأثور والمعقول، مستمدا من أوثق التفاسير القديمة والحديثة، ومن الكتابات حول القرآن: تأريخا، وبيان أسباب النزول، وإعرابا يساعد في توضيح كثير من الآيات... ولست بحاجة إلى كثرة الاستشهاد بأقوال المفسرين، وإنما سأذكر أولى الأقوال بالصواب، بحسب قرب اللفظ من طبيعة العرب وسياق الآية. وأن منهجه ينحصر في نقاط أوضحها بنفسه:

- تقسيم الآيات القرآنية إلى وحدات موضوعية بعناوين موضحة.

- بيانُ ما اشتملت عليه كل سورة إجمالا.

- توضيح الأمور اللغوية.

- إيراد أسباب نزول الآيات في أصح ما ورد فيها، ونبذُ الضعيف منها، وتسليط الأضواء على قصص الأنبياء، واحداث الإسلام الكبرى.

- البلاغة، وإعراب كثير من الآيات، ليكون ذلك عونا على توضيح المعاني[86]..

ثم نجده يردف قائلا لتوضيح منهجه أكثر، "وسأحرص بقدر الإمكان على التفسير الموضوعي؛ وهو إيراد تفسير مختلف الآيات القرآنية الواردة في موضوع واحد، كالجهاد والحدود والإرث... "[87].

5ـالاتجاه البياني:

وذلك من خلال ظهور تفاسير حديثة تركز في مجملها على بيان القرآن وبلاغته ونحوه وصرفه، ومن أشهرها: تفسير عائشة بنت عبد الرحمان الشاطئ المعروف بالتفسير البياني. بالإضافة إلى

[86] – ينظر التفسير المنير، وهبة الزهيلي، 1/ 5–8.

[87] – نفسه، 1/ 9.

بعض التفاسير النحوية التي قام بها أصحابها بإعراب القرآن الكريم وتقديم بعض فنون البلاغة فيه: إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش، والجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي.

خاتمة الدراسة:

من خلال ما أشرنا إليه في البحث، فأننا تعاملنا تعاملا يسيرا مع أشهر كتب التفاسير في العصر الحديث، مبرزين مناهجهم المختلفة، المختلفة باختلاف اتجاهات المفسرين في حد ذاتهم؛ فكان منها الاتجاه العلمي، والموضوعي، والبياني، والعقلي، لأعلام مفسرين معروفين؛ كالسيد قطب، وأحمد رضا، ووهبة الزحيلي، والمراغي، وعائشة عبد الحمان بنت الشاطئي...وغيرهم.

ولذلك ارتأينا التركيز على أمور أساسية نتيجة لما سبق، تمثلت في الآتي:

-ضرورة تلمس وتتبع الجوانب التأصيلية في مناهج المفسرين؛ وبالضبط في العصر الحديث.

-لايمكننا إغفال تراثنا التفسيري القديم؛ فلولاه لما عرفنا التفسير في العصر الحديث.

- استخراج وتحديد قواعد التفسير، وجعلها في متناول الدارسين والمهتمين.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

1. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار العلم للجميع ، بيروت.
2. -التفسير والمفسرون، حسين الذهبيي، مكتبة وهبة، دمشق.
3. -التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر،
4. -علم أصول التفسير، محاولة في البناء، د.مولاي عمر بن حماد، دار السلام، فاس، المغرب، ط1، 1431هـ-2010م.

5. -البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو افضل إبراهيم، مطبعة دار التراث.

6. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ- 1996م.

7. -مناهج المفسرين في العصر الحديث بين النظرية والتطبيق، منصور كافي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2006.

8. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1.

9. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي، تحقيق: د.سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1418ه-1998م.

10. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني.

11. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990.

12. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1418هـ - 1998م.

13. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

14. سنن البيهقي الكبرى، أبو عبد الرحمان النسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيوت، ط1، 1411هـ-1991م

15. صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ-1987م

16. أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.

17. نظرية النص من بنية المعنى إلى سميائية الدال، د.حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1428ه-2007م.

18. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1424هـ-2003م.

19. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو على المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، شرح وتحقيق رضوان جامع رضوان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ-1998م.

20. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مكتبة الغرباء الأثرية، دار الحرمين، القاهرة، ط1، 1417هـ- 1996م.

21. ظاهرة التأويل عند المتكلمين -دراسة تحليلية للتأويل عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، زبيدة الطيب، إشراف: د.اسعيد عليون، (ماجستير)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية:2002-2003م (مخطوط).

22. شرح القصيدة النونية، المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، شرحها وحققها د. محمد خليل هراس، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م.

23. اختيارات ابن القيم الأصولية-جمعا ودراسة، أبو عبد الرحمان عبد الحفيظ جمعة الجزائري، 1 دار ابن حزم للطاعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1462هـ-2005م.

24. ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، د.السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

25. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط3، 2008م.

26. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د.فهد الرومي، الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ.

27. -أضواء البيان في إيضاح القرآن للقرآن، الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت

28. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.

29. المنار في علوم القرآن، د.محمد علي الحسين، دار الأرقم، عمان، ط1، 1983م.

30. تفسير المراغي، للمراغي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1394هـ.

31. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1350هـ.

32. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، العربية.

33. المنهج الحركي في ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط2، 2000م.

34. ينظر التفسير المنير، وهبة الزهيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق.

مساهمة علماء الجزائر في تفسير القرآن الكريم خلال العهد العثماني (10- 13 هـ/ 16- 19 م)

أد بوشنافي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر

مقدمة:

يعتبر علم التفسير أحد فروع العلوم الشرعية، وهو علم جم الفوائد ومن أقدرها وأشرفها لأنه مرتبط بكتاب الله العزيز، ولهذا أولاه علماء المسلمين أهمية خاصة منذ العهود الأولى للإسلام، فحسب الدراسات ظهر علم التفسير منذ عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وذلك من خلال الأحاديث الشريفة التي فسرت الكثير من آيات القرآن الكريم ذات الصلة بالعقيدة والعبادات والمعاملات، أي أن معظم القرآن الكريم فسره رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ثم خلفه الصحابة في ذلك معتمدين على ما ورثوه عنه –صلى الله عليه وسلم– [1].

تعددت تعاريف علم التفسير وسنحاول أن نختصر على تعريفين فقط، فيقول الزركشي عنه "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه،

[1]- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، الجزء الأول، دار ابن جوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1426هـ، ص 20.

واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج إلى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[2].

ويعرفه ابن منظور كالآتي "الفَسْرُ: البيان، فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانهن والتفسير مثله...، الفَسْرُ: كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكِل، واسْتَفْسَرْتُه كذا، أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لي. والفسر: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة، قال الجوهري، وأظنه مولدا، وقيل التفسرة البول الذي يستدل به على المريض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وهو اسم كالتنهية، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته"[3]. ويمكننا أن نميز بين نوعين من التفسير:

1ـ **التفسير بالأثر أو بالمأثور**: ونعني به التفسير بالاعتماد على القرآن نفسه، أي الارتباط بالنص من دون تأويل، وكذا ما ورد عن الرسول –صلى الله عليه وسلم- والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين في تبيان مراد الله سبحانه وتعالى من نصوص كتابه الحكيم[4]. وبعبارة أخرى فإن التفسير بالمأثور معناه تفسير القرآن بمضمونه أو بأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأقوال الصحابة والتابعين. لقد اعتمد رواد هذه المدرسة على أربعة مصادر في تفسير القرآن الكريم وهي[5]:

1 – القرآن الكريم.

2 – أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم-

3 – أقوال الصحابة –رضوان الله عليهم-

[2]– بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المجلد الأول، دار التراث، بيروت، ص 132.

[3]– ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ ج11، ص 128.

[4]– محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، الجزء الأول، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون تاريخ، ص 112.

[5]– محمد بن رزق بن طرهوني، المرجع السابق، ص 21.

4- أهل الكتاب من اليهود وغيرهم: ونعني بذلك تلك الروايات والأخبار التي ورد ذكرها عند أهل الكتاب مثل كعب الأحبار وغيره.

إن من أبرز رواد هذه المدرسة حبر الأمة عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب و الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة –رضوان الله عليهم–[6].

2ـ **التفسير بالعقل أو الرأي**: ونعني به ذلك التفسير الذي يعتمد على الرأي والاجتهاد، وقد رافق نشأة الوضع في الحديث، حيث برزت أحاديث صحيحة وحسنة وموضوعة، وهو ما ينطبق على علم التفسير. حسب بعض الدراسات فإن الوضع في علم التفسير برز في عام 41 ه، مع بروز الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج والفرق الدخيلة على الإسلام، ومن تظاهروا بالإسلام كالفرق الباطنية، فبدأ هؤلاء يضعون الروايات المغلوطة والباطلة لتحقيق أهدافهم وأغراضهم الدسيسة[7]. ويقسم العلماء التفسير الوضعي إلى قسمين[8]:

1- مدرسة التفسير بالرأي المحمود أو المقبول: ونعني به تفسير القرآن من حيث اللغة والبيان، وكذا التفسير بالفقه.

2- التفسير المذموم: ويقصد به تفاسير رجال الطرق الصوفية وبعض الفرق الضالة.

أـ توزيع علماء التفسير الجزائريين حسب مراحل الوجود العثماني

من المعلوم أن التواجد العثماني بالجزائر امتد لأكثر من ثلاثة قرون من الزمن، أي من مطلع القرن السادس عشر إلى بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وخلال هذه الفترة الطويلة أنجبت الجزائر عددا معتبرا من العلماء الذين خاضوا في علم التفسير تأليفا أو تدريسا، إلا أننا

[6]- نفس المرجع والصفحة.

[7]- محمد حسين الذهبي ، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ص 115- 116.

[8]- محمد بن رزق بن طرهوني، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ص 22- 23.

نلاحظ أن توزيعهم على هذا العهد يختلف من فترة إلى أخرى، فهناك فترات ازدهر فيها هذا العلم، فزاد عدد العلماء المفسرين، وهناك فترات أخرى وقع فيها تراجع برز في قلة علماء التفسير، ومن خلال العينة من العلماء الذين أمكننا جمعها نتوصل إلى أن علم التفسير شهد ازدهارا منذ القرن السابع عشر، ليصل إلى أوجه خلال القرن الثامن عشر، يدفعنا هذا الوضع إلى التساؤل عن أسباب التي كانت وراء ذلك.

تعطينا المصادر بعض هذه الأسباب، فيظهر أن العامل السياسي كان له دور بارز في ذلك، ويمكن أن نحدده في موقف العلماء من الوجود العثماني فإذا كان بعضهم قد أيد العثمانيين واعتبرهم مخلصين للعباد والبلاد من خطر الكافر –الإسبان–، فإن بعضهم الآخر وقف منهم موقفا معارضا، ومما لاشك فيه أن هذا الوضع كان له تأثيره المباشر على الحركة العلمية في الإيالة التي تراجعت بشكل خطير، بما في ذلك علم التفسير، فخلال القرن السادس عشر لم نصادف إلا عالما واحدا ألف في التفسير، إنه الخروبي محمد بن علي الطرابلسي الجزائري (ت 963هـ/ 1556م)، والذي ترك لنا مؤلفا سماه "رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن" والذي سنتطرق إليه لاحقا، وما يجب الإشارة إليه أن الخروبي لم يكن جزائريا بالأصل وإنما بالنشأة فقط، فمن اسمه نستخلص أنه من أهل طرابلس، حيث ولد بقرية قرقارش إحدى قرى طرابلس، ونشأ بالجزائر، فتولى الخطابة بها كما كلف بمهام دبلوماسية لما أرسله السلطان العثماني سفيرا إلى السلطان المغربي أبو عبد الله المهدي الشريف الحسني[9].

---

[9]- حول الخروبي أنظر: محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (خرَج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي)، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،2002، ص 411. وكذلك: عادل نويهض، معجم المفسرين، ج2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، 1986،ص 590، وكذلك: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500– 1830، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 498–500.

وعند تتبعنا لواقع الحياة العلمية في بداية العهد العثماني بالجزائر نلاحظ ذلك النزيف الخطير الناتج عن هجرة عدد كبير من العلماء، ونحن هنا لا نريد أن نخوض في الأسباب التي جعلت من الإيالة بيئة طاردة للعلماء، فخلال هذا القرن قام السلطان السعدي بحملة على تلمسان غير أنه فشل في السيطرة عليها، وأثناء عودته تبعه عدد كبير من أبرز العلماء، وخاصة من تلمسان، الذين استقروا بالمغرب الأقصى ومارسوا وظائف تعليمية ودينية كالقضاء والإفتاء[10]، ومن هؤلاء محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني (908-981هـ/ 1502-1573م) الذي تقلد وظيفة الإفتاء والخطابة إلى جانب أنّه برع في الفقه والحديث والأدب، وتوفي بفاس يوم 8 رمضان 981هـ/ 1573م[11]،

وإلى جانب من سبق ذكره هناك عبد الرحمن المغراوي المدعو ابن جلال الذي ولد بتلمسان عام 908هـ/ 1502م الذي كان من مقربي السلطان السعدي خلال حملته على تلمسان، وبعد مغادرة هذا الأخير إلى فاس رافقه إلى هناك فتولى وظيفة الإفتاء والتدريس والخطابة بجامع الأندلس ثم بجامع القرويين لأكثر من عشرين سنة[12]، وكذا محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمساني (1503-1575)، وكان قد ولد وتعلم بتلمسان، كما تولى وظيفة الفتوى بها، وبرع في شتى العلوم كالحساب والفرائض والبيان والمنطق والتفسير. رحل إلى فاس عام 967هـ/ 1560م، وتقلد الفتوى بمراكش حيث ذاع صيته حتى أصبح يكنى 'بمالك الصغير"، وتوفي بفاس سنة 983هـ/ 1575م عن عمر يناهز خمسة وسبعين عاما[13]. ومن علماء تلمسان الذين هاجروا إلى

[10]- سعد الله، أبو القاسم، المرجع السابق، ج1، ص60.

وراجع كذلك: ابن مريم المليتي المديوني التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (تقديم طالب عبد الرحمن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986

[11]- المصدر نفسه، ص ص 260، 261.

[12]-- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص425.

[13]- راجع: ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 261.

المغرب الأقصى محمد بن أحمد بن الوقاد التلمساني أين تقلد وظائفا شتى كالقضاء بتارودانت والخطابة بمكناس ثم بجامع الأندلسيين في فاس، وأخيرا استقر بتارودانت وبها توفي عام 1001هـ/ 1593م[14].

ويبقى المقري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد من أهمّ العلماء الذين غادروا تلمسان، وكان قد ولد بها عام 986هـ/ 1578م، ودرس هناك على عمّه عثمان سعيد مفتي تلمسان وعلماء آخرين، فاستقر بفاس حيث تولى وظيفة الإفتاء والخطابة والتدريس بجامع القرويين لحوالي ثلاث عشر سنة، ومن هناك انتقل إلى المشرق العربي، فدّرس بالأزهر الشريف وبلاد الشام والحجاز، ويقال أنّه حج البيت الحرام خمس مرّات كما زار بيت المقدس ودمشق وتوفي بالقاهرة، وله مؤلفات عديدة منها كتابه "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"[15].

من الأكيد أن هجرة هؤلاء العلماء وغيرهم كالشاوي والمنجري والقلعي والجمالي، كان له أثره السلبي على الحركة العلمية في الإيالة الجزائرية، بما فيها علم التفسير، ولكن هذا لا ينفي وجود علماء ذوي مستوى عالي بقوا في الجزائر وبرعوا في هذا العلم إما تأليفا أو تدريسا كأبي راس الناصر والبوني والعنابي وآخرين، وحتى أولئك الذين هاجروا من الجزائر نعتبرهم جزائريين بالأصل وبالتالي لا يمكننا إنكار دورهم في ازدهار علم التفسير.

وكذلك: - هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية خلال القرنين التاسع والعشرين، الميلاديين (3-14 هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص 166-167.

- كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، الجزء العاشر، مطبعة الترقي، دمشق، 1960، ص 71.

- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص 188.

14- عمار، هلال ، المرجع السابق، ص ص 167، 168.

وكذلك: نويهض، عادل، المرجع السابق، ص 343.

15- أنظر: أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، مطبعة بيير فونتانة، 1906، ص 44.

بـ- مدارس التفسير بالجزائر خلال العهد العثماني:

من خلال تتبعنا للانتماءات الجغرافية لمفسري القرآن الكريم بالجزائر خلال العهد العثماني، نلاحظ بروز مدارس جديدة وزوال تلك التي ذاع صيتها قبل مجيء العثمانيين، فمن بين المدارس التي تراجع دورها نجد تلمسان التي كانت في السابق عاصمة للدولة الزيانية والتي أنجبت عددا لا يحصى من العلماء، بما فيهم مفسري القرآن الكريم، بل هناك عائلات توارثت المناصب العلمية مثل عائلة العقباني والمرازقة وابنا الإمام وغيرهم، كما أن الكثير من علمائها هاجروا إلى مختلف أنحاء البلاد الإسلامية كما سبق التطرق إليه، ولكن رغم ذلك نجد أنها حافظت على ذلك الإرث العلمي الموروث عن العهد الزياني، من خلال ما أجبته من علماء في العهد العثماني، ونفس الحال ينطبق على مدينة قسنطينة والجزائر، اللتان برز بها دد من العلماء الذين اهتموا بالتفسير.

نستخلص من القائمة التي أمكننا جمعها حول علماء التفسير بالجزائر العثمانية، أنهم من انتماءات جغرافية شتى، ولكن معظمهم من مدن ومناطق معروفة بأدوارها العلمية، كما أن بعضهم عاش كل حياته في الجزائر، في حين هناك آخرين اضطرتهم الظروف إلى الهجرة نحو البلاد الإسلامية وهناك ذاع صيتهم ومارسوا وظائف علمية عديدة، وفسروا القرآن إما تأليفا أو تدريسا.

1- في الداخل:

خاض علماء الإيالة الجزائرية في علم التفسير، ومن المناطق التي احتضنتهم نجد مدينة الجزائر التي كانت عاصمة الإيالة غير أننا لا نجد إلا عددا ضئيلا منهم، فلم نحص إلا ثلاثة علماء وكلهم وفدوا على المدينة، ومنهم الخروبي محمد بن علي الطرابلسي الجزائري (ت 963هـ/ 1556م)، والذي سبق التطرق إليه حيث قدم من طرابلس، وأبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري (ت 1057/ 1647)، وكان قد ولد بسجلماسة بالمغرب الأقصى ثم شد الرحال إلى فاس ثم الحجاز ليستقر نهائيا بمدينة الجزائر[16]، و حسين بن محمد بن العنابي(ت 1150ه/

[16]- نفسه، ج1، ص ص 69- 71.

1738م)، جد المفتي محمد بن محمود بن العنابي صاحب كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود"، وكانت هذه العائلة قد قدمت من إسطنبول واستقرت في بداية أمرها بمدينة عنابة ثم ارتحلت إلى مدينة الجزائر أين تولى أفرادها وظائف القضاء والإفتاء، ومن بينهم الحسين العنابي[17].

إضافة إلى المناطق التي سبق التطرق إليها لا يمكننا أن نهمل الحديث عن علماء الصحراء ودورهم البارز في علم التفسير، فرغم أن جزءا كبيرا منها كان خارج السيطرة العثمانية، وربما نجد مناطق كانت تابعة اسميا من خلال ما كانت تدفعه من ضرائب للمحلات العثمانية، إلا أن المصادر تطلعنا على ذلك التواصل العلمي بين علماء الصحراء ومدن الإيالة، ونخص بالذكر علماء منطقة توات، حيث تمكنا من إحصاء عدد منهم خاضوا في علم التفسير وبرعوا فيه إما تأليفا أو تدريسا، ومن هؤلاء:

- سيدي أحمد بن موسى الكرزازي (ت 1013ه/ 1605م).

- الصالح بن محمد بن أبي العضوي الدراوي التواتي (ت 1140ه/ 1728 م).

- عبد الرحمن بن عمر التنلاني (ت 1189ه/ 1775م).

- عبد الكريم الحاجب بن محمد بن الصالح بن البكري (ت 1189ه/ 1775م).

- محمد بن العالم الزجاوي (1212ه/ 1797م).

2ـ في الخارج:

كما سبق التطرق إليه عرفت الإيالة الجزائرية خلال هذا العهد هجرة واسعة لعلمائها نحو البلدان الإسلامية، وخاض هؤلاء في علم التفسير وكذا في علوم أخرى، ومن هؤلاء هناك عدد من العلماء هاجروا إلى المغرب الأقصى، فابن الوقاد محمد بن أحمد بن محمد كان قد هاجر إلى المغرب

[17]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 255.

الأقصى وتنقل بين مكناس وفاس وأخيرا تارودانت التي بقي بها حتى وفاته في عام 1593م وكان قد خاض في علم التفسير تدريسا في مساجد المغرب الأقصى كالقرويين بفاس[18]. أما في القرن الثامن عشر فيرد ذكر عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الذي ولد بتلمسان، وأبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، شيخ الطريقة التجانية، وغيرهم من علماء الجزائر الذين ذاع صيتهم في مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها، والذين سنتطرق إليهم لاحقا.

ج. توزيع علماء التفسير الجزائريين حسب المذهب:

من خلال اطلاعنا على الانتماء المذهبي لمفسري القرآن في الجزائر خلال العهد العثماني أمكننا أن نقسمهم إلى ثلاثة مذاهب، المذهب المالكي والحنفي والإباضي:

1. المفسرون المالكية:

- أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري.
- الخروبي محمد بن علي الطرابلسي الجزائري.
- أبو الحسن علي بن يحي السلكسيني الجادري التلمساني.
- قاسم بن يحي بن محمد الفكون.
- سيدي أحمد بن موسى الكرزازي.
- أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقري التلمساني.
- أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري.

[18]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج1، ص 425.

– يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء النائلي الشاوي الملياني الجزائري.

– أبو سعيد عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي.

– أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني.

– عبد الرحمن بن عمر التنلاني.

– عبد الكريم الحاجب بن محمد بن الصالح بن البكري.

– محمد بن محمد بن محمد الحسني التونسي البليدي.

– عبد القادر الراشدي: لا بد من الإشارة أن هناك اختلافا بين الكتابات التي تناولت شخصية الراشدي فيما يخص انتماءه المذهبي، فوجدت كتابات تبرزه مالكيا، في حين هناك كتابات اخرى تذكر بأنه كان حنفي المذهب، غير ان ظاهرة تغيير المذهب كانت منتشرة في ذلك العهد، فقد يغير العالم مذهبه بطلب من الحاكم نفسه مثلما حدث مع العالم القسنطيني محمد بن المسبح[19].

– عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني التلمساني.

– أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي.

– محمد بن العالم الزجاوي.

– الوافي المختار الكنتي.

– أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني.

– محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري أبو راس الناصر.

[19]– نفسه، ج2، ص 65. وكذلك: تركي لزهاري، "المفتي عبد القادر الراشدي القسنطيني: العالم، المجاهد والمفسر"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد 20، العدد 1، ص 103.

- علي بن محمد الميلي الجمالي.

- محمد المازري بن محمد بن يطو بن أبي القاسم بن محمد بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول.

2ـ المفسرون الحنفية:

- حسين بن محمد بن العنابي.

3ـ المفسررون الإباضية:

- يوسف بن محمد المصعبي المليكي أبو يعقوب.

- يوسف بن عدون بن الشيخ حمو والحاج اليزقني أبو يعقوب.

- إبراهيم بن بيحمان (عبد الرحمن) بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز التميمي اليسجني.

نستنتج مما سبق أن معظم العلماء الذين اهتموا بعلم التفسير كانوا من أتباع المذهب المالكي، وهذا ليس غريبا على تلك الفترة باعتبار أن معظم السكان كانوا من أتباع هذا المذهب الذي انتشر في بلاد المغرب والأندلس منذ القرن الأول الهجري، فاتخذوه مذهبا للتعامل في أمور السياسة والفتوى والقضاء اعتمادا على أهمّ مصدرين هما كتاب "الموطأ" للإمام مالك بن أنس" و" المدونة الكبرى" التي ألفها تلميذه الإمام ابن القاسم (ت 191 هـ/ 807م) والذي جمع فيها أقوال وفتاوى الإمام مالك.

ولكن مع مجيء العثمانيين وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية في عهد السلطان العثماني سليم الأول (1512- 1520)، عرفت الإيالة ازدواجية في المذاهب بعد اعتماد حكام البلاد الجدد للمذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية، فأصبح يتمتع بالأسبقية والأولوية على مذهب أغلبية السكان، غير أنّ ذلك لا يعني بتاتا وجود صراع أو خلاف بين المذهبين، بل تميزت العلاقة

بينهما بالتكامل والتعاون، وخير دليل على ذلك وجود مجلس علمي يضمّ بين أعضائه مفتيا وقاضيا المذهبين، كما أنّ العثمانيين لم يظهروا تشددا في هذا المجال، فتركوا لأهل البلد حرية الإفتاء والقضاء وفق المذهب المالكي أو الإباضي.

كان لهذا التنوع المذهبي آثاره الإيجابية على الحركة العلمية، حيث برز علماء من أتباع هذه المذاهب، فألفوا في شتى أصناف العلوم بما فيها علم التفسير، بل وجد علماء غيروا مذهبهم إما بطلب من أهل الحل والعقد –أي الحكام– وإما طمعا في الوظيفة. أما المذهب الإباضي فارتبط ظهوره بتأسيس الدولة الرستمية من قبل عبد الرحمن بن رستم في عام 160ه/ 777م[20].

د- علماء الجزائر والتفسير بالتأليف والتدريس

1- علماء الجزائر والتفسير بالتأليف:

1-1- العلماء المالكية والتفسير بالتأليف

تطلعنا المصادر على عدد من العلماء الذين خاضوا في التفسير تأليفا، ولكن لا يمكننا أن نجزم بأن هذه التآليف احتوت على التجديد في هذا العلم فمعظمها كان تكرارا لتفاسير سابقة من خلال من خلال اختصارها أو شرحها أو وضع الحواشي عليها، كما أن بعضها عثر عليه في حين أن الكثير منها ضاع وأضحى في حكم المفقود، ولم يرد ذكرها إلا في مصادر التراجم، فخلال القرن السادس عشر يرد ذكر الخروبي محمد بن علي الطرابلسي الجزائري الذي خلف لنا كتابا سماه " رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن"[21]، وكنا قد تطرقنا إلى جوانب من حياته آنفا.

---

[20]- حول تاريخ هذه الدولة يمكن الرجوع إلى: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين (تحقيق وتعليق ناصر محمد وبحاز إبراهيم)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986. وكذلك: أبو زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم (تحقيق العربي إسماعيل)، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

[21]- عادل نويهض، معجم المفسرين، المرجع السابق، ج2، ص 590.

ومن عاصروا القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر وألفوا في التفسير نذكر أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقري التلمساني[22]، ويظهر أنه جمع بين التفسير تأليفا وتدريسا، ولهذا فسنذكره في هذا المقام ونعيد التطرق إليه عند حديثنا على التفسير بالتدريس، ففيما يخص التأليف يذكر صاحب "معجم المفسرين" أن المقري ألف كتابا في التفسير سماه "إعراب القرآن"[23]، ويعطيه صاحب "الفهرس الشامل" اسما آخر هو "توجيه القرآن" كما يذكر أنه توجد نسخة منه في المكتبة الأزهرية[24]، وللإشارة فقد تم تحقيق هذا المخطوط في إطار رسالة دكتوراه أنجزها الطالب فراجي أحمد بقسم اللغة العربية لجامعة تلمسان في عام 2005م.

وخلال القرن السابع عشر أنجبت الجزائر عددا هاما من المفسرين، ومن هؤلاء أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري، وكان قد نشأ في سجلماسة بالمغرب الأقصى ومنها تنقل إلى فاس وأخذ عن عدد من علمائها، ثم شد الرحال إلى بلاد الحجاز فدرس على علمائها، بعدها استقر نهائيا بالجزائر للتدريس، ويقال بأنه توفي بالطاعون الذي اجتاح البلاد في سنة 1054ه/ 1644م وفي مصادر أخرى1057ه/ 1647م، وكان قد باشر في تأليف تفسير للقرآن الكريم وصل فيه إلى قوله تعالى: "وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ"[25].

وفي نفس القرن برز في مصر عالم جزائري ذاع صيته في أصناف شتى من العلوم، ومنها علم التفسير، إنه يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء النائلي الشاوي الملياني

22- راجع ترجمته في: محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور...، المرجع السابق، ج1، ص ص 434- 435.

23- عادل نويهض، معجم المفسرين...، ج2، ص 764.

24- الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط -علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان، 1989، ج2، ص 684.

25- أنظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص ص 70-71. وكذلك الإفراني محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 243.

محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع السابق...، ج1، ص 263.- 264.

الجزائري، يقول عنه صاحب"شجرة النور الزكية" "الشيخ القدوة الإمام الذي ختمت بعصره أعصر الإسلام وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام آية الله تعالى الباهرة في التفسير والمعجزة الظاهرة في التقرير والتحرير"[26]، ولد بمدينة الجزائر ودرس بها وبمليانة، ثم ارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في عام 1074ه/ 1664م، وأثناء عودته استقر بالقاهرة ودرس بالأزهر الشريف، ثم سافر إلى إسطنبول وخلال ذلك مر بدمشق ولقي علماءها حيث عقد مجلسا علميا بجامع الأمويين، ثم عاد إلى القاهرة، توفي في يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول 1096ه/ 1685م على ظهر سفينة بينما كان متوجها لأداء فريضة الحج ثم نقل إلى القاهرة أين دفن بالمقبرة المالكية[27].

ومما يبرهن على تمكنه في التفسير أنه أثناء إقامته في إسطنبول جاءه جماعة من الطلاب، فكان من بين ما درسهم تفسير سورة الفاتحة من البيضاوي[28] وغيرها، كما أجازهم كلهم[29]. ترك الشاوي عددا من المؤلفات عبارة عن شروح ورسائل وحواشي، أما فيما يخص التفسير فقد ألف "الحاكمة"وهي حاشية على تفسير الزمخشري[30] وتفسير ابن عطية[31]، ومؤلف آخر عنوانه "بين أبي

26- محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص 458.

27- نجد تعاريف له في كثير من المصادر والمراجع، ومنها على سبيل المثال: الكتاني محمد الحسني الإدريسي الفاسي، فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (اعتناء إحسان عباس)، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص640 . وكذلك:

أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص ص 187- 191.

28- هو الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو سعيد اليضاوي- نسبة إلى قرية البيضاء في بلاد فارس- الشيرازي الفارسي الشافعي القاضي المفتي العالم بالفقه وأصوله والتفسير وأصول الدين والمنطق والعربية والنحو والمنطق والهيئة، له تفسير يسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، أنظر: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق والدكتور محمود أحمد الأطرش)، المجلد الأول، دار الرشيد، دمشق- بيروت، ومؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الأولى،2000، ص أ.

29- أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 189.

29- أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 189.

30- هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري-نسبة إلى قرية من قرى خوارزم- جار الله أبو القاسم، بارع في اللغة والنحو والتفسير،كان معتزلي الاعتقاد مدافعا عنه ومتشددا بآرائه، متفاخرا ومتباهيا باعتزاله، توفي في عام

حيان والزمخشري"، وقد ضمنه كل اعتراضات أبي حيان على الزمخشري، وهو عبارة عن "مخطوط في مجلد كبير بالمكتبة الأزهرية"[32].

وخلال نفس القرن أنجبت مستغانم عالما كان له مساهمة في علم التفسير، إنه أبو سعيد عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، غير أننا لا نملك معلومات وافية عنه ما عدا أنه من مواليد مدينة مستغانم وبها نشأ وتلقى تعليمه، كما أنه برع في علم التفسير والنحو، وترك لنا مؤلفا عنوانه "تفسير القرآن الكريم الكبير و تفسير القرآن الكريم الصغير"[33].

ومن العلماء الذين عاصروا القرن السابع عشر وفترة من القرن الثامن عشر، وكانت لهم مساهمة في علم التفسير نذكر أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني، يقول عنه صاحب "فهرس الفهارس" ما يلي "هو الإمام العلامة المحدث الجماع المطلع صاحب التآليف العديدة والأنظام الكثيرة"[34]. ولد البوني في عام 1063ه/ 1653م ببونة –عنابة–، رحل إلى مصر

538ه بجرجانية في خوارزم أثناء عودته من مكة المكرمة، ترك مؤلفا هاما في التأليف سماه "تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، اعتمد فيه على آراء المعتزلة، مما جلب له معارضة كثير من العلماء كالبيضاوي وغيره، أنظر: معجم المفسرين، ج2، ص 666، وكذلك: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا)، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، 2009، ص ص 7- 8.

[31]- هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ولد سنة 481هـ وعاصر عهد المرابطين، نشأ بغرناطة ثم زار معظم مدن الأندلس طلبا للعلم، توفي في عام 541هـ، ترك مؤلفا في التفسير سماه "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، أنظر: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(ت 541هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، ص ص 1 – 2.

[32]- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المرجع السابق...، ج4، ص 63.

[33]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...، ص 297. عادل نويهض، معجم المفسرين...، المجلد 2، ص 786. محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، ج1، ص 254.

[34]- الكتاني محمد الحسني الإدريسي الفاسي، فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (اعتناء إحسان عباس)، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 236.

وهناك تلقى على كبار علماء عصره مثل الشاوي وغيرهم، كما أنه درَس بالأزهر الشريف، بعدها عاد إلى بونة وبها توفي 1139ه/ 1728م عن عمر ناهز ست وسبعين سنة[35].

خلف البوني عددا هاما من المؤلفات في أصناف شتى من العلوم، ومما تركه في التفسير ما يلي[36]:

- التيسير في إسنادنا في كتب جمع من التفاسير، والذي ذكر فيه أكثر من عشرين تفسيرا.
- إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن.
- تحفة الأريب بأشرف غريب، اختصر فيه غريب القرآن للعزيزي.
- الفتح المولوي بشرح حزب النووي.
- خواص البسملة[37].

ويضاف إلى من سبق ذكرهم العالم محمد بن محمد بن محمد الحسني التونسي البليدي الذي عاش في نفس الفترة وبرع في اللغة العربية والقراءات وكذا التفسير، ولد في عام 1096ه/ 1685م، جزائري الأصل من البليدة، شد الرحال إلى القاهرة حيث أخذ العلم عن كثير من علمائها، وبقي هناك حتى وفاته في عام 1176ه/ 1763م. خلف البليدي حاشية في التفسير المسماة حاشية على

35- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...، المرجع السابق، ص 49. وكذلك: الكتاني محمد الحسني الإدريسي- الفاسي، المرجع السابق، ص ص 236- 239.

36- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 50. الكتاني محمد الحسني الإدريسي- الفاسي، فهرس الفهارس، ص 294. عادل نويهض، معجم المفسرين، ج2، ص ص 761- 762. محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون، المرجع السابق، ج1، ص ص 171- 172.

37- توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية، أنظر: الفهرس الشامل، ج2، ص 754.

أنوار التنزيل في تفسير القرآن وهي حاشية على تفسير البيضاوي، وهي في ثلاثة مجلدات توجد نسخة منها في دار الكتب المصرية[38].

وتميز القرن الثامن عشر بعودة النشاط للحركة العلمية بالجزائر نتيجة مجموعة من الظروف، خاصة مع استقرار الأوضاع وبروز حكام كان لهم دور في تشجيع الحركة العلمية ابتداء بالداي محمد بكداش (1707- 1710) ثم الداي محمد بن عثمان باشا (1766- 1791)، وكذا الباي محمد الكبير ببايلك الغرب وصالح باي ببايلك الشرق، وبرز ذلك في ازدهار حركة التأليف في شتى فروع العلوم، وكان للتفسير نصيبه من ذلك، وممن ألفوا في هذا العلم أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي، ولد وتعلم بالجزائر حيث برع في علم الكلام وأصول الدين والمنطق، وفي عام 1154ه/ 1741م رحل إلى مصر أين درس على كثير من علمائها مثل البليدي والملوي والجوهري والحنفي والصعيدي وغيرهم، يقول عنه صاحب "شجرة النور الزكية" ما يلي "العلامة المحقق الفهامة المدقق الفقيه النبيه الأصولي المعقولي المنطقي ... تولى مشيخة المغاربة مرتين أو ثلاثا بشهامة وصرامة كان وافر الحرمة نافذ الكلمة معدودا من المشايخ الكبار مهاب الشكل منور الشيبة مترفها في مأكله وملبسه"[39]. ترك القلعي عددا معتبرا من المؤلفات منها في التفسير

- خواص سورة يس[40].

- شرح على خطبة أنوار التنزيل للبيضاوي[41].

---

[38]- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص1058 . عادل نويهض، معجم المفسرين، ج2، ص 630. محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون...، ج1، ص 348. الفهرس الشامل، ج2، ص 770.

[39]- محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية....، الجزء الأول، ص ص 494- 495.

[40]- نفسه، ص 495.

[41]- الفهرس الشامل، ج2، ص 783.

وظهر بفاس خلال نفس القرن عالم جزائري أصله من تلمسان يدعى عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني (ت 1179ه/ 1783م)، كان عارفا بعلم القراءات واللغة والمنطق والأصول والفقه والحديث والتفسير، ولد ونشأ بتلمسان ثم ارتحل إلى فاس وعاش بها حتى وفاته[42]، ترك المنجري عددا من المؤلفات ذات الصلة بعلم التفسير، وخاصة في علم القراءات كالتالي[43]:

- حواشي تعليقات على فتح المنان بشرح مورد الضمآن.

- المقاصد النامية في شرح الدالية[44].

- تخفيف الهمزة في الوقف.

- حاشية على تقريب الكلام في تخفيف حمزة وهشام.توجد نسخة منه في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 2/ 10416.

- حاشية على كنز المعاني في شرح حرز الأماني.

- حاشية على التنسي لدليل مورد الضمآن.

- فتح الباري على بعض مشكلات أبي إسحاق الجعبري.

- القول الشهير في تحقيق الإدغام الكبير.

[42]- عادل نويهض، معجم أعلام...، ص ص 69- 70. وكذلك الكتاني محمد الحسني الإدريسي الفاسي، فهرس الفهارس...، الجزء 2، ص 569- 570.

[43]- عادل نويهض، معجم أعلام...، ص ص 69- 70، وكذلك: فؤاد بن عطاء الله، "الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة –دراسة إحصائية وصفية –"، مجلة اللغة العربية، المجلد 21، العدد 47، ص 371.

[44]- حقق المخطوط بجامعة أم درمان بالسودان عام 2016 في إطار رسالة ماجستير.

- الأجوبة الشريفة في المباحث اللطيفة بالأدلة الكثيفة.

- الفتح الرباني في بعض ألفاظ النظم وابن غازي والمرادي.

وفي مطلع القرن التاسع عشر وقبيل الاحتلال الفرنسي برز جماعة من علماء التفسير ولعل أبرزهم محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري أبو راس الناصر الذي كانت له مشاركة في عدة أصناف من العلوم كالتاريخ والحديث والفقه والتفسير والأنساب وغيرها، كما أنه تولى وظيفة القضاء وكان يفتي الناس في شتى النوازل، ويمارس التدريس، يقول عنه تلميذه ابن السنوسي:"كان حافظا متقنا لجميع العلوم، عارفا بالمذاهب الأربعة، لا يسأل عن نازلة إلا يجيب عنها بداهة كأنّما حاضرة بين شفتيه، محققا لمذهب مالك غاية لا سيما مختصر خليل فله فيه الملكة التامة بحيث يلقيه على طلبته في أربعين يوما، والخلاصة في عشرة أيّام"[45]. ألف أبو راس عددا معتبرا من المؤلفات تناهز الخمسين كتابا، ومنها كتاب"تفسير القرآن"[46].

وإلى جانب العلامة أبي راس، عاصر نفس الفترة علي بن محمد الميلي الجمالي، ونسبه إلى ميلة قرب قسنطينة، شد الرحال إلى مصر التي استقر بها حتى وفاته في عام 1248ه/ 1833م، من مؤلفاته في التفسير "تحفة الأحباب في تفسير قول الله تعالى " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ"[47]، توجد نسخة من هذا المخطوط في دار الكتب المصرية[48]. وفي نفس الفترة برز العالم أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، والذي سيرد ذكره في علم التفسير بالتدريس، فيرد ذكر مؤلف له

[45]- الكتاني، محمد الحسني الإدريسي الفاسي، المرجع السابق، ص ص 150- 151.

[46]- نفسه،ج1، ص 151. وكذلك، عادل نويهض، معجم المفسرين...، ج2، ص 487.

[47]- سورة فاطر، الآية 32، حول الجمالي، أنظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص 387.

[48]- الفهرس الشامل، ج2، ص 806.

في التفسير ب "الفهرس الشامل" والموسوم ب "فصل القضية في مسألة المعية" الذي توجد نسخة منه في خزانة تيطوان بالمغرب الأقصى[49].

وقد نضيف إلى هؤلاء عالم رباني آخر، مؤسس الطريقة السنوسية، إنه محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي أبو عبد الله المستغانمي، نسبة إلى مكان ولادته مستغانم، حيث ولد بها في عام 1202ه/ 1788م وتوفي بليبيا في عام 1276ه/ 1859م، فهو قد عاش حوالي ثلاثة وأربعين سنة في ظل الوجود العثمانين رغم أنه قضى معظمها خارج البلاد طلبا للعلم. ترك الإدريسي العديد من المؤلفات منها في التفسير[50]:

- شرح البسملة.

- نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن.

1-2- علماء الحنفية والتفسير بالتأليف:

عاصر الفترة العثمانية –وخاصة القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر– عالم آخر ممن قدموا إلى الجزائر، إنه حسين بن محمد بن العنابي، من علماء المذهب الحنفي، وكان قد سكن مدينة الجزائر حيث تولى الإفتاء الحنفي لأربع مرات[51]، وتوفي بها في عام1150ه/ 1737م، ألف كتابا في التفسير سماه "تفسير القرآن"، وهذا ما يذكره حفيده محمود ابن العنابي حيث يستشهد منه في العديد من مؤلفاته، وخاصة في كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود"، ومن بين ما أخذ عنه، على سبيل المثال، تفسيره لقوله تعالى " نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ"[52]، حيث جاء تفسيرها كما يلي "أي تقول الملائكة لهم عند نزولهم للبشرى نحن أولياؤكم، أي أنصاركم

[49]- نفسه، ج2، ص 800.

[50]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ج1، ص ص 178- 180.

[51]- نفسه، ص 244، وكذلك: عادل نويهض، معجم المفسرين، المجلد الأول، ص 160.

[52]- سورة فصلت، الآية 31.

وأحباؤكم في الحياة الدنيا، فنلهمكم الحق ونحملكم على الخير، وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة"[53].

3-1- العلماء المالكية بمنطقة توات والتفسير بالتأليف:

لا يمكننا إهمال الدور الكبير والهام الذي أداه علماء منطقة توات في تفسير القرآن الكريم، حيث أنجبت المنطقة خلال هذا العهد عددا معتبرا من العلماء الذي ساهموا بقسط وافر في تفسير القرآن الكريم تأليفا، ومن هؤلاء سيدي أحمد بن موسى الكرزازي مؤسس الطريقة الكرزازية إحدى فروع الطريقة الشاذلية الموجود مقرها بجنوب منطقة القنادسة ببشار حاليا، ويطلق عليها أيضا الأحمدية نسبة إلى مؤسسها. وقد ولد هذا الشيخ حسب أبو القاسم سعد الله في عام 907ه/ 1501م وتوفي في عام 1016ه/ 1607م ، كان الشيخ من أشراف المنطقة واشتهر بغزارة علمه وتقواه[54]. ألف الكرزازي كتابا في التفسير سماه "البرهان في أحكام القرآن"[55].

وفي القرن الثامن عشر برز في المنطقة العالم الصالح بن محمد بن أبي العضوي الدراوي التواتي المتوفي في عام 1140ه/ 1728م، ألف مؤلفا يفسر فيه آية الكرسي "تفسير آية الكرسي"[56]، توجد نسخة من المخطوط بالخزانة الحسنية في المغرب الأقصى تحت رقم 4519. وعاصر نفس الفترة العالم عبد الرحمن بن عمر التنلاني الذي ألف كتاب "مختصر الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين"[57] وعن أسباب الذي دفعته إلى اختصاره يذكر التنلالي أنه "وجده كبيرا في أربعة أسفار،

[53]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني، ص 18.

[54]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1954، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 88.

[55]- قصباوي عبد الخالق، "تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية من ق 10 إلى 12هـ (إقليم توات أنموذجا)"، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، المجلد 16، العدد 27، ص 282.

[56]- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا....، ج1، ص 221.

[57]- هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، توفي في عام 756هـ، حقق الكتاب من قبل الدكتور أحمد محمد الخراط في أحد عشرة جزءا.

كل سفر جاء في ثلاثين كراسة بالقالب الكبير، ولما وقف عليه شغف به وعجز عن تحصيله لكب حجمه، فاستعان على اختصاره والتصرف فيه"[58].

وفي نفس القرن برز في المنطقة محمد بن محمد العالم بن أحمد الزجلاوي الذي ولد بقصر زاجلو بمنطقة توات، درس على كثير من شيوخ المنطقة، توفي يوم الثلاثاء 23 شوال 1212ه/ 10 أبريل 1798م، خلف الزجلاوي عددا من المؤلفات والتقييدات، وفي التفسير ترك كتاب "ألفية الغريب"، وهو كتاب في تفسير الغريب من ألفاظ القرآن عبارة عن نظم من ألف بيت مطلعه[59]:

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى قَدْ شَرَّفَا مَبَاحِثَ التَّفْسِيرِ فِيمَا عُرِفَا

وَجَعَلَ انْتِحَالَهُ فِى الْأَجْرِ مِثْلَ الشَّهَادَةِ النَّفِيسِ الذُّخْرِ

وما يجب الإشارة إليه أن الزجلاوي قسم مؤلفه إلى ثلاثة أقسام كالآتي[60]:

القسم الأول: يضم ثلاثمائة بيت، وخصصه لمفردات غريب القرآن المكرر ترتيبا هجائيا.

القسم الثاني: يضم ثلاثمائة وواحد وخمسين بيتا، وخصصه لمفردات غريب سور القرآن الكريم.

القسم الثالث: يضم ثلاثمائة وثلاثة بيتا، وخصصه للأشباه والنظائر في مفردات القرآن الكريم.

---

[58]- بقادر عبد القادر، "جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين(دراسة في الأنماط والأشكال)"، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد 19، يناير 2014، ص139.

[59]- قصباوي عبد الخالق، المرجع السابق، ص ص 282- 283. يذكر صاحب المقال أن المخطوط تم تحقيقه في إطار رسالة ماجستير بجامعة أحمد دراية بأدرار من قبل الطالب بقادر عبد القادر، عنوان الرسالة "تحقيق ألفية الغريب للزجلاوي".

[60]- نفسه، ص 283.

قام عبد الكريم الحاجب بن محمد بن الصالح بن البكري بوضع حاشية على ألفية غريب القرآن[61]، ويقال بأنه لقب بالحاجب لأنه لم يزر بساتينه لمدة ثلاثين عاما لانشغاله بالتدريس والإفتاء[62].

1-4- علماء الإباضية والتفسير بالتأليف

ولم يشذ علماء الإباضية عن المساهمة في حركة تفسير القرآن الكريم خلال العهد العثماني، حيث كانت لهم مساهمات بارزة في هذا المجال، فمن العلماء الإباضية الذين عاصروا القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وألفوا في التفسير يوسف بن محمد المصعبي المليكي أبو يعقوب، ومن اسمه نستخلص أنه من مليكة إحدى قرى بني ميزاب، تنقل مع والده إلى جربة للاستقرار بها نهائيا، وهناك تلقى تعليمه على عدد من علماء الإباضية مثل سعيد بن محمد الجادوي وسليمان بن محمد الباروني وعمر الويرارتي السدويكشي، ثم رحل إلى تونس في عام 1701 طلبا للعلم ثم شد الرحال إلى مصر ليعود مرة أخرى إلى جربة أين تولى الإفتاء كما أنه ترأس مجلس حكمها. غير أنه اضطر للفرار إلى طرابلس –جبل نفوسة– بسبب شبهات حامت حوله في قضية مقتل أحد المشبوه فيهم، وبعد سبع سنين عاد مرة أخرى إلى جربة في عام 1147هـ/ 1735م وتولى الرئاسة الدينية بها، وبقي هناك حتى وفاته في عام 1188هـ/ 1774م ودفن بروضة الجامع الكبير[63]. وقد ترك مؤلفا في علم

[61]- بقادر عبد القادر، المرجع السابق، ص 94.

[62]- عبد الله بابا، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112 – 1421هـ/ 1700- 2000، رسالة ماجستير، جامعة أحمد دراية –أدرار–، 2011- 2012، ص ص 78- 79.

[63]- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، المرجع السابق...، ج1، ص ص 374- 375. وكذلك: محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بن بكير بحاز، مصطفى بن صالح باجو، مصطفى بن صالح شريفي، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى الوقت الحاضر –قسم المغرب الإسلامي– (الاستشارة والمراجعة محمد صالح ناصر)، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص ص 491- 492.

التفسير موسوم ب "حاشية على تفسير الجلالين" في مجلدين، توجد نسخة منها في المكتبة البارونية بجربة ونسخة أخرى مصورة في مكتبة الجعبيري[64].

وإلى جانب يوسف بن محمد المصعبي المليكي أبو يعقوب برز خلال القرن الثامن عشر عالم إباضي آخر خاض في التفسير تأليفا إنه يوسف بن عدون بن الشيخ حمو والحاج اليزقني أبو يعقوب الذي يعتبر من أبرز المصلحين في وادي ميزاب، وكان قد استقر بالقاهرة لمدة أربع سنوات أثناء عودته من الحج أين التقى بكبار علماء الأزهر الشريف، له تآليف كثيرة منها في التفسير "حاشية على تفسير البيضاوي"[65].

ومن علماء الإباضية الذين خاضوا في علم التفسير خلال العهد العثماني إبراهيم بن بيحمان (عبد الرحمن) بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز التميمي اليسجني –نسبة إلى بني يسجن أو بني يزقن–، تلقى تعليمه على عدد من العلماء مثل عبد العزيز الثميني وأبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، كان من المصلحين الدعاة إلى طلب العلم ومحاربة الجهل والبدع، كانت له علاقات ومراسلات بحكام الجزائر وكذا المغرب الأقصى وعمان، له العديد من المؤلفات في التفسير كالتالي[66]:

- تفسير آيات من سورة النور.
- تفسير سورة الفاتحة.
- تفسير سورة العصر المسماة "أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر".
- حاشية على تفسير أنوار التنزيل وأسباب التأويل.

64– محمد بن رزق طرهوني، المرجع السابق، ج1، ص 492.

65– نفسه، ج1، ص 374. وكذلك: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم علماء الإباضية، ص 129.

66– محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 14.

نستخلص مما سبق أن علماء الجزائر باختلاف مذاهبهم أنتجوا كما معتبرا من المؤلفات في ميدان تفسير القرآن الكريم، وإذا كان بعضها مازال موجودا في خزائن المخطوطات سواء داخل الوطن أو خارجه، وبعضها الآخر حقق وأصبح في متناول القراء، فإن بعضها الآخر –للأسف الشديد– ضاع وأضحى في حكم المفقود، وما كنا لنتعرف عليها لولا ذكر عناوينها أو إشارات عنها في بعض المصادر.

2ـ علماء الجزائر والتفسير بالتدريس

وإذا كان بعض العلماء قد فسروا القرآن الكريم بالتأليف فإن بعضهم الآخر اكتفوا بتفسير تدريسا من خلال حلقات العلم بالمساجد أو مجالس الحكام وغيرها، وتعطينا المصادر أسماء للعديد منهم، ولكن ما يجب الإشارة إليه في هذا الإطار أن هذه القائمة من العلماء ليست نهائية، فقد يكون علماء مثل سعيد قدورة وأحمد بن عمار فسروا القرآن تدريسا ولكننا لا نملك معلومات تؤكد ذلك[67]، لأن منهم من كانوا يتولون الخطابة والتدريس وغيرها من الوظائف الدينية بالمساجد، سواء المالكية أو الحنفية، فمن الطبيعي أن يخوضوا في التفسير سواء خلال خطب الجمعة أو الدروس المسجدية وغيرها، ولكننا سنكتفي بذكر العلماء الذين ورد ذكرهم في شتى المصادر التي بينت دورهم في التفسير تدريسا.

فمن علماء الجزائر العثمانية الذين درَسوا التفسير خلال القرن السادس عشر أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري، ولد في حوالي عام 871ه/ 1466م بمطغرة إحدى قرى تلمسان، وبها نشأ وتلقى تعليمه ثم شد الرحال إلى فاس في عام 891ه/ 1486م، واستقر بها حتى وفاته في عام 951ه/ 1545م حيث كانت له مكانة لدى رجال الحكم حتى أن السلطان حضر جنازته، وبعبارة أخرى فهو مخضرم حيث عاش أواخر الدولة الزيانية وبداية الإيالة الجزائرية. كان كثير الحفظ وبرع في عدة فروع من العلوم كالعربية والحساب والفرائض والتفسير الذي ربما يكون

[67]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق...، ج1، 1998، ص12.

قد درسه خاصة بعد انتقاله إلى فاس، لأن المصادر لا تعطينا معلومات وافية حول الموضوع ما عدا أنه كانت له مشاركة في التفسير[68].

وتخبرنا المصادر عن عالم آخر من أهل تلمسان عاش في نفس القرن وكانت له مساهمة في تدريس التفسير، إنه أبو الحسن علي بن يحي السلكسيني الجادري التلمساني، وكان قد نشأ وتلقى تعليمه بتلمسان على يد أكابر علمائها مثل أحمد بن ملوكة الندرومي وشقرون بن أبي جمعة المغراوي ومحمد بن موسى الوجديجي، يقول عنه ابن مريم في البستان "الفقيه الخطيب العالم العلامة المحقق المتفنن الولي الصالح الصوفي آية من آيات الله كان محققا في العلوم وأكثر التحقيق في الحساب والفرائض ومختصر ابن الحاجب الفرعي والرسالة ومختصر خليل وعقائد السنوسي وأحكام القرآن في الحذف والثبت والإعراب"[69]، أي أنه كان ملما بعلوم القرآن وتفسيره، من بين من أخذوا عنه التفسير محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأدغم السويدي[70].

وهناك عالم آخر من تلمسان عاش في نفس القرن إنه علي بن عيسى الراشدي التلمساني (ت 980ه/ 1572م) وكان قد اشتهر بعلم القراءات وقواعد اللغة والأدب، هاجر إلى فاس حيث درس عددا من الكراريس ذات الصلة بضبط القرآن ورسمه وتجويده[71].

كما برز في القرن السادس عشر العالم قاسم بن يحي بن محمد الفكون من أهل قسنطينة التي نشأ وتعلم بها، ثم تنقل إلى تونس لإكمال دراسته وبها تولى وظيفة الإمامة بجامع البلاط الذي كان جامع السلاطين الحفصيين، عاد إلى قسنطينة أين تولى القضاء المالكي، وكان قد برع غي عدة

[68]– الكتاني، محمد الحسني الإدريسي– الفاسي، فهرس الفهارس...، الجزء 2، ص 1105. و محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية، الجزء الأول، ص 403.

[69]– ابن مريم، التلمساني، المصدر السابق، ص 145.

[70]– نفسه، ص 289.

[71]– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 72.

أصناف من العلوم كالفقه والتفسير الذي ربما درسه في حلقات العلم بالجوامع[72]. وإلى جانبه برز العالم ابن الوقاد محمد بن أحمد بن محمد من أهل تلمسان، وكنا قد ذكرنا سابقا بأنه هاجر إلى المغرب الأقصى وتنقل بين عدة مدن ابتداء بتارودانت ثم سجلماسة ثم مكناس ثم فاس وأخيرا استقر بتارودانت أين تولى التدريس والفتوى والإمامة والخطابة بجامعها الكبير، وكان ذا علم واسع في الحديث والفقه والأدب والتفسير[73].

ويظهر أن القرن السادس عشر عرف عددا هاما من علماء تلمسان الذين ذاع صيتهم في علم التفسير تدريسا، فبالإضافة إلى من سبق ذكرهم هناك عالم آخر يدعى حدو بن الحاج بن سعيد المناوي (ت 998ه/ 1590م) الذي يقول عنه صاحب البستان "كان فقيها عالما أستاذا في القراءات السبع يحظ الشاطبيتين الكبرى والصغرى عارفا بأحكام القرآن والعربية والرسالة ومختصر ابن الحاجب الفرعي وألفية ابن مالك والحساب والفرائض يدرس الخراز والضبط وابن بري والأرجومية وألفية ابن مالك والرسالة...له منظومات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتوسلات بسور القرآن من أوله إلى آخره توسلا عجيبا يقصر اللسان عن وصفه"[74].

وهناك عالم آخر يدعى محمد بن عبد الرحمن الوهراني التلمساني الذي لا نعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته، فكان يدرس الرسالة، أما أيام الخميس والجمعة فكان يدرس الخراز[75] والضبط وابن

---

[72]- نفسه، ص 255.

[73]- عادل نويهض، معجم المفسرين، ص795.

[74]- ابن مريم، التلمساني، المصدر السابق، ص 95.

[75]- هو محمد بن محمد بن إبراهيم، الأموي الشريشي- نسبا وهي نسبة إلى مدينة شريش بالعدوة الأندلسية، المشهور بالخراز، وكنيته أبو عبد الله، سكن فاس وبها توفي في عام 703ه، له تآليف كثيرة منها كتاب في علوم القرآن سماه "مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن"، لمزيد من التوضيح ينظر: أبو عبد الله محمد ن عبد الله التنسي- (ت 899هـ)، الطراز في شرح ضبط الخراز، دراسة وتحقيق أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1420هـ، ص ص 93- 120.

بري[76] وذلك بالجامع الأعظم[77]. وبرز في تلمسان كذلك العالم ابن للو التلمساني الذي كان قد ختم تفسر القرآن الكريم بالجامع الأعظم للمدينة[78].

وخلال القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر برز العالم أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقري التلمساني، ولقد سبق لنا التطرق إلى تنقلاته ورحلاته، ونحاول أن نبين في هذا المقام دوره في التفسير، فقد جمع بين الكثير من أصناف العلوم وكانت له قوة حفظ كبيرة استغلها في تفسير القرآن الكريم، ومن ذلك تلك الحادثة التي يذكرها صاحب "صفوة من انتشر..." بمصر ومضمونها أنه "لما دخل مصر في توجهه للحجاز، وقعت بينه وبين أهل مصر منازعات أسفرت عن تسليم حفظه، وذلك أنه لما دخل مصر قبل أن يعرف، حضر يوما سوق الكتب فوجد تفسيرا غريبا ففتحه، فإذا بسورة النور، فتكلم ذلك المفسر على مسألة فقهية استطردها وحرر فيها القول، فحفظ ذلك كله صاحب الترجمة، فكان من غريب الانفاق، أنه بقرب ذلك، اجتمع علماء البلد في دعوة، وحضر معهم، فلما استقر بهم المجلس، إذا بسائل في يده بطاقة يسأل عن تلك المسألة التي حفظ من ذلك التفسير، فدفعت للأول من أهل المجلس فنظر فكأنه لم يستحضر فيها شيئا فدفعها لمن يليه، ثم دفعها هذا لهذا، إلى أن بلغت صاحب الترجمة فلما نظرها استدعى بالدواة فكتب الجواب كما حفظ فجعلوا ينظرون إليه متعجبين، فلما فرغ تعاطوها فقالوا: من ذكر هذا؟ فقال لهم فلان في تفسير سورة النور فأحضر التفسير فإذا هو كما قال فدخلهم من ذلك ما هو من شأن النفوس"[79].

76- هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين التازي الرباطي المغربي المشهور بابن بري نسبة إلى رباط تازة، ولد في حوالي 660هـ وتوفي بتازة في عام 731هـ، من مؤلفاته أرجوزة بعنوان "الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع"، ينظر: سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1990، ص ص 22- 23.

77- أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 159.

78- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجائر الثقافي، الجزء الثاني، ص 13.

79- الإفراني محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، المصدر السابق، ص 144.

أنتج القرن الثامن عشر عددا معتبرا من العلماء الجزائريين الذين درسوا التفسير، وقد كان لقسنطينة دور في ذلك حيث برز بها العالم عبد القادر الراشدي نسبة إلى الرواشد إحدى مداشر فرجيوة بميلة حاليا، يقول عنه الحفناوي "العلامة المحقق المجتهد الأصولي الكلامي قرافي وقته وعضد زمانه نسبة للرواشد مدشر من مداشر فرجيوة"[80]، ونحن لا نريد أن نطنب في الحديث عن حياة الراشدي المليئة بالأحداث، فما يهمنا دوره في تفسير القرآن الكريم من خلال المجالس التي كان يعقدها بقسنطينة وخصصها للفتوى والتفسير، ولكن المصادر لا تعطينا طبيعة هذه المجالس، هل كانت مجالسا للتدريس أو مجالسا اجتماعية يحضرها الباي والعلماء، مع العلم أن الراشدي كان يفتي ويدرس بجامع الكتاني[81]، ولكن يظهر أن بعض مجالس التفسير كان يعقدها بحضور الباي شخصيا، ونستشف ذلك مما ذكره الحفناوي حين قال "له تعليقات جمة وفتاوى ومسائل ابتكارية جليلة وتفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي"[82].

أما عن طريقة تناوله لتفسير كتاب الله، فيذكر أبو القاسم سعد الله أن الراشدي لم يكن يتناول التفسير بشكل منتظم، أي يتتبع تفسير آيات القرآن الكريم بشكل متسلسل، وإنما يأخذ بعض الآيات في مناسبات معينة ثم يعرضها ويفسرها[83]. وقد نتعرف على أسلوبه في التفسير من خلال الاطلاع على كتابه الموسوم "تحفة الإخوان في تحريم الدخان" أين يسرد آيات تتضمن كلمة الدخان ثم يشرع في تفسيرها[84].

[80]- أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 219.

[81]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي المرجع السابق...، ج2، ص 14.

[82]- أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 220.

[83]- نفس المرجع والصفحة.

[84]- لمزيد من التوضيح يمكن الرجوع إلى: عبد القادر الراشدي القسنطيني، تحفة الإخوان في تحريم الدخان (دراسة وتحقيق عبد الله حمادي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

ولكن ما يجب الإشارة إليه أن الراشدي قد خرج عن المألوف في التفسير، أو ما يسمى التفسير بالأثر، ولجأ إلى الاجتهاد مما جلب له الكثير من المتاعب والمخاصمات مع أقرانه من العلماء وحتى الطلبة، ومن ذلك تلك الحادثة التي وقعت بينه وبين جماعة من طلبة قسنطينة، والتي يذكرها الورثلاني في رحلته، لما اتهمه هؤلاء بالتجسيم، وبالغ آخرون لما اتهموه بالكفر، ومضمون المخاصمة تفسير قوله تعالى "لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ"[85]، قال الراشدي في تفسير اليد "إنها حقيقة، ومع ذلك إنها ليست جارحة أو جسما، بل يستحيل ذلك، لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان، وقدح في التأويل بالقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق، لأن التأويل محوج إلى الدليل والخروج من الحقيقة إلى نوع من المجاز، فلم يكترث بالتأويل، إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل، وإن التأويل وإن كان صحيحا ففيه ابتغاء الفتنة، وإنما تنتفي على التسليم لصحة التأويل، وإن كان في علم الله كذلك لأن المصيب في العقائد واحد، فقد اتفق أهل السنة قاطبة على نفي الجارحة وما يؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم، فمنهم من قال أن له يدا حقيقة، فالعلم بها موكل إلى الله تعالى، فلا يستلزم هذا التجسيم لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة، فكيف يلزم به مع أنه نفى التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جل جلاله فأنى أو كيف أو متى يلزمه"[86].

إن هذا التحامل على الراشدي مرده إلى الحسد والتنافس بين علماء تلك الفترة، ولم يكتفوا بذلك بل اتهموه بأخذ الرشوة ووشوه لدى صالح باي، لكن هذا الأخير أنصفه وتعاطف معه، إلا أنهم نجحوا في عزله من وظيفة القضاء[87].

---

[85]- سورة ص، الآية 75.

[86]- الورثلاني، الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار –أو الرحلة الورثلانية- ، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008، ص ص 804- 805.

[87]- أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 222. وكذلك: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر،ص ص 45- 146.

وخلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني (ت 1150ه/ 1814م)، يقول عنه صاحب "شجرة النور الزكية" "العالم المتصوف العارف بالله الرباني الولي الكبير القطب الشامخ الشهير"[88]. وهو شيخ الطريقة التجانية، عالم في الأصول والفروع وكذا التفسير، ولد بعين ماضي واستقر بتلمسان يدرس التفسير والحديث، كانت له خلافات وتعرض لمضايقات من قبل بايات الغرب، خاصة الباي محمد بن عثمان أو الكبير ثم ابنه عثمان، اضطر بسبب ذلك إلى الهجرة إلى فاس أين التقى بعدد من علمائها، ثم حج في عام 1186ه/ 1772م، وبعد عودته استقر مدة بتونس ثم عاد إلى فاس. وفي عام 1196ه/ 1782م تنقل إلى توات، ثم عاد مرة أخرى إلى فاس وأكرمه السلطان أبو الربيع سليمان، وبقي بفاس حتى وفاته في عام 1814م[89].

ومن بين العلماء الذين تناولوا التفسير تأليفا وتدريسا العالم عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني، الذي كنا قد تطرقنا له عند حديثنا عن علماء الجزائر الذين ألفوا في علم التفسير، وكان قد ولد ونشأ بتلمسان ثم رحل مثل العديد من لماء هذه المدينة إلى المغرب الأقصى، وبالضبط إلى فاس، حيث أطلق عليه لقب المنجرة الصغير تمييزا له عن والده "المنجرة الكبير". كما أنه كان بارعا في علم القراءات[90]، فليس من المستبعد أنه لقن هذا العلم لطلبته، خاصة وأنه امتهن التدريس هناك.

وهناك العالم محمد المازري بن محمد بن يطو بن أبي القاسم بن محمد بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول، وهو ممن عاصروا أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولد في

88- محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور....، ج1، ص 542.

89- نفس المرجع والصفحة، وكذلك:

- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، (تحقيق المدني أحمد توفيق)، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 159.

90- الكتاني، فهرس الفهارس...المرجع السابق، ص 569.

عام 1196ه/ 1783م بمنطقة الديس بالصحراء الجزائرية، وتوفي في عام 1286ه/ 1871م، برع في علم الحديث والمنطق والبيان وكذا التفسير[91].

من خلال هذه الدراسة حول مساهمة العلماء الجزائريين في تفسير القرآن الكريم خلال العهد العثماني، أمكننا التوصل إلى مجموعة من النتائج نحصرها فيما يلي،

– أن معظم تفاسير ذلك العصر، خاصة المؤلفات، اعتمدت على التفسير بالمأثور اعتمادا على الأحاديث النبوية واجتهادات الصحابة والتابعين، وذلك بعيدا عن التأويل أو الاجتهاد.

– أن هناك كثير من العلماء عاصروا فترة من العهد العثماني وجزءا من الفترة التي سبقتها أو التي تلتها، فمثلا عاصر أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري أواخر عهد الدولة الزيانية وبداية العهد العثماني، في حين عاصر محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي أبو عبد الله المستغانمي والعالم محمد المازري بن محمد بن يطو بن أبي القاسم بن محمد بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول أواخر هذا العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

– أن العلوم الشرعية عموما والتفسير خصوصا نال مكانة خاصة لدى علماء الجزائر في تلك الحقبة، فخاضوا فيه إما تأليفا أو تدريسا.

– لم يكن إنتاج علماء ذلك العهد يتضمن أي اجتهاد أو ابتكار، فهو لا يعدو أن يكون تكرارا لما تناوله السابقون من خلال الحواشي أو الاختصارات أو الشرح، وأي عالم يسعى إلى غير ذلك يتهم بالكفر والزندقة، وهذا ما وقع مع العالم عبد القادر الراشدي القسنطيني.

– أن ظاهرة الانحطاط الثقافي والعلمي لم تقتصر على الجزائر فحسب، بل شملت كل البلاد الإسلامية، كما أنها سبقت العهد العثماني.

[91]– أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2،ص 538.

- وجدت مدارس أنجبت عددا هاما من علماء التفسير رغم تراجع دورها العلمي آنذاك، وخاصة مدن تلمسان وقسنطينة والجزائر، كما كان لمنطقة توات دورها في ذلك، رغم أنها لم تكن تابعة بشكل مباشر للسلطة العثمانية، ولكن كان لعلمائها علاقات واسعة مع علماء الشمال،

- لم يقتصر علم التفسير على علماء المذهب المالكي، بل شمل كذلك علماء المذهب الحنفي الذي استقدمه العثمانيون معهم، وكذا علماء المذهب الإباضي، وهذا بدون شك له آثار إيجابية على تطور هذا العلم.

- عرفت الجزائر خلال هذا العهد نزيفا خطيرا من خلال هجرة عدد كبير من أبرز علمائها إلى البلدان الإسلامية مشرقا ومغربا، أين ذاع صيتهم فدرسوا وألفوا في التفسير.

- إن قائمة أسماء العلماء الذين فسروا القرآن تدريسا لا يمكن اعتبارها نهائية، فمن الأكيد أن كثيرا من علماء الجزائر كانوا قد درسوا التفسير من خلال الدروس في المساجد وغيرها، خاصة أولئك الذين تولوا الإمامة والخطابة.

جدول يبين أسماء العلماء الجزائريين الذين ساهموا في علم التفسير خلال العهد العثماني

1- علماء فسروا القرآن تأليفا

الاسم	التاريخ	البلد	المذهب	عنوان المؤلف
الخروبي محمد بن علي الطرابلسي الجزائري	ت 963هـ/ 1556 م	طرابلس ثم مدينة الجزائر	مالكي	تفسير القرآن
أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقري التلمساني	986-1041هـ/ 1578-1631م	تلمسان ثم فاس ثم القاهرة	مالكي	إعراب القرآن
سيدي أحمد بن موسى الكرزازي	ت 1013ه/ 1605م	توات	مالكي	البرهان في أحكام القرآن
الصالح بن محمد بن أبي العضوي الدراوي التواتي	ت 1140ه/ 1728م	توات	مالكي	تفسير آية الكرسي
أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري	ت 1057/ 1647م أو 1054ه/ 1644م	سجلماسة ثم فاس ثم الحجاز ثم الجزائر	مالكي	تفسير بلغ فيه إلى قوله تعالى "ولكن البر من اتقى"

يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكرياء النائلي الشاوي الملياني الجزائري	توفي يوم 10 ربيع الأول 1096هـ / 1685م	الجزائر ثم مصر	مالكي	حاشية على تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية تسمى الحاكمة
أبو سعيد عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي	القرن 17م	مستغانم		تفسير القرآن
أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني	1063-1139هـ/ 1653-1726م	بونة (عنابة)	مالكي	التيسير في إسنادنا في كتب جمع من التفاسير.......
حسين بن محمد بن العنابي	ت 1150هـ/ 1737م	الجزائر	حنفي	تفسير القرآن الكريم
عبد الرحمن بن عمر التنلاني	ت 1189ه/ 1775م	توات	مالكي	مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون
عبد الكريم الحاجب بن محمد بن الصالح بن البكري	ت 1189ه/ 1775م	توات	مالكي	حاشية على ألفية غريب القرآن
محمد بن محمد بن محمد	1096-1176هـ/	البليدة ثم	مالكي	حاشية على تفسير

الحسني التونسي البليدي	1685- 1763م	القاهرة		البيضاوي
يوسف بن محمد المصعبي المليكي أبو يعقوب	1079- 1187هـ/ 1669- 1773م	بلدة مليكة ببني ميزاب ثم جربة	إباضي	حاشية على تفسير الجلالين
عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني	ت1179ه/ 1783م	تلمسان ثم فاس	مالكي	- حواشي تعليقات على فتح المنان بشرح مورد الضمآن. - المقاصد النامية في شرح الدالية. - تخفيف الهمزة في الوقف. - حاشية على تقريب الكلام في تخفيف حمزة وهشام. - حاشية على كنز المعاني في شرح

				حرز الأماني. - حاشية على التنسي لدليل مورد الضمآن. - فتح الباري على بعض مشكلات أبي إسحاق الجعبري. - القول الشهير في تحقيق الإدغام الكبير. - الأجوبة الشريفة في المباحث اللطيفة بالأدلة الكثيفة. - الفتح الرباني في بعض ألفاظ النظم وابن غازي والمرادي.

أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي	ت 1199هـ/ 1785م	الجزائر ثم القاهرة	مالكي	خواص سورة يس
محمد بن العالم الزجلاوي	1212ه/ 1797م	توات	مالكي	- ألفية التفسير. - ألفية غريب القرآن
يوسف بن عدون بن الشيخ حمو والحاج اليزقني أبو يعقوب	1158- بعد1223هـ/ 1745- 1808م	بنو ميزاب	إباضي	حاشية على البيضاوي في التفسير
الوافي المختار الكنتي	ت	توات	مالكي	فقه الأعيان في حقائق القرآن
إبراهيم بن بيحمان (عبد الرحمن) بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز التميمي اليسجني	ت 1232هـ/ 1817م	بني يسجن (بني يزقن)	إباضي	-تفسير آيات من سورة النور - تفسير سورة الفاتحة - تفسير سورة العصر سماه "أصداف الدر وأكمام الزهر

				الموضوعة على سورة العصر" - حاشية على تفسير أنوار التنزيل وأسباب التاويل
محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري أبو راس الناصر	ت 1823م	معسكر	مالكي	تفسير القرآن
علي بن محمد الميلي الجمالي	ت 1248هـ/ 1833م	ميلة ثم مصر	مالكي	" تحفة الألباب " في تفسير قوله تعالى "ثم أورثنا الكتاب"
محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي أبو عبد الله المستغانمي	1202-1276ه/ 1788-1859م	مستغانم والكثير من البلاد الإسلامية	مالكي	- شرح البسملة. - نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن.

2ـ علماء فسروا القرآن تدريسا

الاسم	التاريخ	المدينة	المذهب
أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون المطغري	871-951هـ/ 1466- 1545م	مطغرة من أعمال تلمسان	مالكي
أبو الحسن علي بن يحي السلكسيني الجادري التلمساني	ت 972هـ/ 1565م	تلمسان	مالكي
قاسم بن يحي بن محمد الفكون	ت 965هـ/ 1558م	قسنطينة	مالكي
علي بن عيسى الراشدي التلمساني	ت 980ه/ 1572م	تلمسان ثم فاس	مالكي
حدو بن الحاج بن سعيد المناوي	ت 998ه/ 1590م	تلمسان	مالكي
محمد بن عبد الرحمن الوهراني التلمساني	؟	تلمسان	مالكي
ابن للو التلمساني	؟	تلمسان	مالكي
ابن الوقاد محمد بن أحمد بن محمد	ت 1001هـ/ 1593م	تلمسان ثم المغرب الأقصى	مالكي
أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش أبو العباس المقري التلمساني	986- 1041هـ/ 1578- 1631م	تلمسان ثم فاس ثم القاهرة	مالكي

عبد القادر الراشدي....	ت 1194هـ/ 1780م	الرواشد إحدى مداشر فرجيوة ثم قسنطينة	مالكي ثم حنفي
عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني التلمساني	ت 1179هـ/ 1783م	تلمسان ثم فاس	مالكي
أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني	1150-738م/ 229ه- 1814م	عين ماضي ثم فاس	مالكي
محمد المازري بن محمد بن يطو بن أبي القاسم بن محمد بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول	1196- 1286هـ/ 1782- 1871م	منطقة الديس بالصحراء	مالكي

مساهمة علماء الجزائر في علم القراءات القرآنية إقراءً وتأليفاً خلال عشرة قرون

د. بوسغادي حبيب ، المركز الجامعي عين تموشنت، الجزائر

مقدمة:

تسعى هذه الورقة البحثية أن تميط اللثام عن مدى مساهمة علماء الجزائر في بناء صرح الفكر والثقافة في العالم العربي والإسلامي، وإذ نبحر في هذا الموضوع نريد أن نعرف القارئ أن الجزائر جزء لا يتجزأ من هذا العالم والتي كانت لها هي أيضا مشاركة طيلة قرون في هذه المسيرة المعرفية وفي شتى المجالات وما أقاليم الزواوة والقلعة وتلمسان وبجاية وبسكرة وتوات ومعسكر والأغواط ومازونة وتيارت وغيرها كثير، شاهد عيان على أنه كانت هنا حضارة قائمة بذاتها تضاهي نظيرتها المشرقية.

كما تحاول هذه الورقة أن ترد على كل من يعتقد أنّ الدرس القراءاتي كان حكرا على المشارقة، ولا أثر فيه للمغاربة عموما والجزائريين خصوصا، فأي مساهمة من علماء الجزائر في هذا المجال؟ وما هي الميزة التي تميزت بها عن باقي الكتابات؟

إذن، ينهض البحث أساسا على الغوص في علم من علوم القرآن الكريم، وهو علم القراءات القرآنية الذي مازالت فيه المساهمات والاجتهادات الجزائرية متواصلة – وإن كانت قليلة – إلا أنها لم تنقطع مادام تعلقها بنص مقدس؛ وإنه لمن الوفاء بالسلف أن يقدم الخلف أجلّ تقدير واحترام

لآبائهم الذين بدلوا الغالي والنفيس من أجل أن ينقلوا إليهم هذا التراث في شكله السليم بعد ضبطه وشرحه وتصحيحه وتحقيقه وتحشيته وطبعه.

سنحاول ممارسة الإحصاء والتوصيف لهذا المنجز المعرفي، ثم ندلف إلى إيراد الفترات التي استوى فيها قلم القراءات في الجزائر؛ كلّ ذلك بشكل مختصر.

فرضت طبيعة البحث أن ينهض على مراجع أساسية ورصينة، أهمها: معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض؛ وفهرست معلمة التراث الجزائري في القديم والحديث، ومعجم غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة؛ واهتمام الجزائريين بالقرآن للمختار بوعناني...وهلم جرا.

أولا/ إلمام الدراسات الآكاديمية بواقع القراءات القرآنية ببلاد الجزائر والإشادة بها:

لم أكن من السباقين في عرض حيثيات هذا البحث وحسبي أن أشير إلى بعض الكتابات التي أشارت إلى اعتناء علماء الجزائر بفن القراءات القرآنية، حاولت بعض الدراسات الآكاديمية أن تشير إلى دور علماء الجزائر في تناول علم القراءات القرآنية، وتوجت بحوثهم بنتائج أكّدت أنّ هذه الأمة كانت لها هي أيضا مساهمة – لا يمكن أن نغض الطرف عنها – في هذا المجال لا يقل عن نظرائهم من البلدان الأخرى؛ ومن الكتابات التي أشارت إلى ذلك،

-البحث الأول الموسوم:(عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته) للباحث دهيم مهدي، المنشور بمجلة الصراط (المجلد 22 العدد1) وهو بحث يتحدَّث عن بيان مكانة علماء الجزائر العلمية في القراءة والإقراء، ويهدف إلى إبراز جهود علمائنا في خدمة القراءات القرآنية وعلومها، فكان من أهم نتائجه أنّ الجزائر من البلدان الإسلامية التي لأهلها عناية بالقرآن الكريم قراءة وإقراء؛ وذلك من خلال بروز طائفة من القراء اعتنوا بالتعليم والتدريس والتأليف.

- البحث الثاني الموسوم: (واقع القراءات القرآنية في الجزائر في العهد العثماني) للباحث جيلالي الحيرش، وهو منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، (المجلد 6 العدد11)، وقد حاول صاحبه رصد أهمّ العلماء الجزائريين الذين اهتمّوا بالقراءات القرآنية سواء من ناحية التلقين أو الكتابة والتأليف، ورصد لأبرز المؤلفات في علم القراءات القرآنية في العهد العثماني.

- البحث الثالث المعنون: (مدارس الإقراء في الجزائر تاريخها وأعلامها) للباحث بدر الدين عماري، المنشور بمجلة الحضارة الإسلامية (المجلد 15 العدد24)، حيث أشار فيه إلى اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات، من خلال تدريسه في مساجدهم ومدارسهم وزواياهم، إلى أن بلغ هذا العلم ذروته من خلال المدارس المتخصصة في القراءات: كمدرسة زواوة، وتلمسان، فمدرسة القلعة... على أنّ هذا القصد الأصلي لا ينفي وجود مؤلفات في فنّ القراءات ألفها علماء جهابذة، وقد تداولها المقرئون شرقا وغربا.

- البحث الرابع المسوم: (الفهرس الوصفي لمؤلّفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه) من إعداد فؤاد عطاء الله، وهو بحث بمجلة اللغة العربية (المجلد 21 العدد5)، وفيه أشار إلى أنّ لعلماء الجزائر إسهامات بارزة ومشكورة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، إلا أن أعمالهم لم تجمع، ولم تحظ بدراسة إحصائية تحليليّة تضع بين أيدي طلبة العلم إحصاء دقيقا لمؤلفات علماء الجزائر في علوم القرآن الكريم، وتصنيفا محكما بين مطبوعها ومخطوطها ومفقودها.

- البحث الخامس وهو موسوم: (جهود علماء الجزائر في خدمة قراءة الإمام نافع) للباحثة حراق هدى، والمنشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، (المجلد 32 العدد1)، وهو بحث يثني على الجهود العلمية التي بذلها علماء الجزائر في خدمة قراءة الإمام نافع المدني، والعناية بها تأليفا وإقراء وتدريسا، منذ دخول هذه القراءة إلى بلادهم بعد الفتح الإسلامي، فتناول البحث تاريخ دخولها إلى الجزائر وأشهر الأئمة الذين كان لهم الفضل في ذلك، ثم تعرض لمصنفات الأئمة الجزائريين في قراءة نافع من روايتي ورش وقالون.

- البحث السادس موسوم: (جوانب من جهود علماء الجزائر في علم القراءات) للباحث أبي بكر كافي، المنشور بمجلة المعيار بالمجلد 1 العدد2، وهو بحث يبرز المقال جوانب من جهود علماء الجزائر في علم القراءات.

- البحث السابع المعنون: (اهتمام الجزائريين بالقرآن الكريم) للأستاذ المختار بوعناني، وهو عبارة عن كتيب في حدود 58 صفحة، صدر في طبعته الأولى سنة 2004، وقد حاول صاحبه رصد المؤلفات التي لها صلة بالقرآن الكريم من إنتاج العلماء والباحثين الجزائريين منذ أن وطئ الإسلام هذه الأرض إلى سنة2004).

- البحث الثامن وهو موسوم: (جهود علماء الجزائر في القراءات القرآنية منطقة زواوة أنموذجًا) من إعداد مهدي دهيم، وهو كتاب من منشورات المؤتمر العالمي الأول للقراءات القرآنية في العالم الإسلامي، يحاول البحث رصد حركة الإقراء بمنطقة الزواوة.

ثانيا/ القراءات القرآنية: (التعريف، النشأة، التطور، الأنواع، المؤلفات)

قبل الولوج إلى ذكر مساهمة علماء الجزائر في علم القراءات القرآنية، فرض علينا مقام البحث أن نقدم بين يديه تعريفا موجزا لهذا العلم.

1/ التعريف بالقراءات القرآنية:

القراءات لغة: قرأ الكتاب قراءة وقرآنا بالضم، وقرأ الشيء قرآنا بالضم أيضا جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾القيامة:**17**، أي:قراءته...وجمع القارئ، قرأة مثل كافر كفرة "[1]"وقد تَقَرَّأَ فلان: تَنَسَّكَ ... وأقرأت المرأة: حاضت ... وما قرأت هذه الناقة سلاً قط: ما ضمت، أي: ما حملت ولدًا."[2]"

[1] – الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، ط1 تح: يحي خالد توفيق، القاهرة، مكتبة الآداب، 1998، مادة قرأ.

[2] – الزمخشري، جار الله: أساس البلاغة، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 2004، مادة قرأ.

أما اصطلاحا: فقد أورد علماء القراءات جملة من التعاريف، نذكر منها التعريفات التالية:

– تعريف ابن الجزري (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعَزْوِ النَّاقِلَةِ)"[3]"

وعرفها البنا الدمياطي: (علم يُعْلَمُ منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع.)"[4]"

أما الزرقاني فقد عرفها بقوله: (مذهب يَذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها.)"[5]"

أما من المحدثين فقد عرفها عبد الهادي الفضلي بقوله: (النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي (ص) أو كما نُطِقت أمامه فأقرها، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي (ص) فعلا أو تقريرا، واحدا أم متعددا.)"[6]"

نستنتج من خلال التعاريف المذكورة أعلاه أن القراءات القرآنية:

كيفية أداء كلمات القرآن، أو هي مذاهب الناقلين لكتاب الله، أو هي الاختلاف في كيفية أداء كلمات القرآن نقلا عن الأئمة

---

[3] – ابن الجَزَرِي: شمس الدين محمد: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1 وضع حواشيه: زكريا عميرات ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999، ص9.

[4] – البَنَّا الدِّمْيَاطي، شهاب الدين: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه: أنس مهرة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006، ص6.

[5] – الزُّرْقَاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، لبنان، بيروت، دار الفكر، 2004، 1/ 284.

[6] – الفضلي، عبد الهادي: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ط3، بيروت، دار القلم، 1985، ص56.

2/ الفرق بين القرآن والقراءات:

من المسائل التي أثيرت وتعددت فيها الآراء والمناقشات قديما وحديثا مسألة الفرق بين القرآن والقراءات القرآنية، وبالتالي سنتحدث باختصار عما قاله العلماء في قولين رئيسيين هما كالآتي:

القول الأول: وهو رأي مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، وبدر الدين الزركشي (ت794هـ)، وهو التفريق بين القرآن والقراءات، مع وجود اختلاف بينهما في وجهات النظر.

فالقيسي يرى أنه لابد من شروط للتفريق بين ما هو قرآن وبين ما هو قراءة، وهذه الشروط هي:

- " أن تكون القراءة شائعة في العربية.
- وأن تكون موافقة لرسم المصحف.
- وأن تكون منقولة عن الثقات إلى النبي .

فهي القراءة التي يقرأ بها، يعني قرآن، وإن اختل شرط من هذه الشروط فليست بقراءة يقرأ بها، يعني ليست بقرآن "[7]"

وهذا الرأي منقول أيضا عن أبي عمرو الداني (ت444هـ)"[8]"، و السخاوي (ت643هـ)"[9]"، وأبو شامة المقدسي (ت437هـ)"[10]"

[7] – القيسي، مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات،ط3،تحق:شلبي عبد الفتاح،،مكتبة النهضة،(د.ط)، ص57 – 58.

[8] – ينظر، النشر في القراءات العشر لابن الجزري،ط2،تقديم:علي محمد الضباع، مط دار الكتب العلمية،2002م، ص 1/ 9

[9] – ينظر السخاوي، جمال الدين: جمال القراء وكمال الإقراء، ص 2/ 440.

[10] – ينظر، المرشد الوجيز لعلوم تتعلق بكتاب الله العزيز، ص 171 – 172.

أما الزركشي فيرى أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، ومن هنا فهو يختلف عما ذهب إليه القيسي، يقول: " واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما .. والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ففيه نظر"[11]"

القول الثاني: أصحاب هذا القول لم يفرقوا بين القرآن والقراءات، ويمثلهم كلٌ من ابن دقيق العيد (ت702هـ)، وابن الجزري (ت833هـ)، مع اختلاف بينهما في إصدار الحكم .

أما من المعاصرين، فنجد محمد سالم محيسن الذي انتصر لهذا الرأي، وأطلق صفة الترادف ما بين القرآن والقراءات، قال في معرض رده على الإمام الزركشي: " ولكني أرى أن الزركشي – مع جلال قدره – قد جانب الصواب في ذلك، وأرى أن كلا من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات .."[12]"

أما التحقيق في المسألة فهو كالآتي:

من المعاصرين الذي تحقق من هذه المسألة، ما أورده عبد الحليم قابة في كتابه القراءات القرآنية، قائلا: " إذا كان القصد أن القراءات هي الأحرف، كما كان في زمن الصدر الأول، فلا شك أن القراءات هي الأحرف المنزلة من عند الله؛ أما إذا قصدنا القراءات كيفية الأداء المعزوة للقراء، فلا

[11] – الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ص 1/ 395 – 396.

[12] – محيسن، محمد سالم: القراءات وأثرها في علوم العربية، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1994م، 1/ 10 – 11.

بد من التمييز بين أنواع القراءات، فإذا كانت القراءة متواترة ومتلقاة بالقبول فهي عين القرآن، أما إذا أختل فيها ركن من أركان القراءة فهي شاذة ولا يجوز نعتها قرآن.."[13]"

3/ كيف نشأت القراءات القرآنية:

لقد نزل القرآن الكريم منجما على قلب النبي خلال ثلاثة وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، قال تعالى:﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: 106، وقد أقرأ سيدنا جبريل النبي (ص) القرآن الكريم من أوله إلى آخره آية آية، " ومن الواضح أنها كانت قراءة تعليم بغية حفظ النبي القرآن متلقيا بذلك الرسالة الإلهية إلى البشرية "[14]"

ثم تطورت القراءة بعد ذلك من تعليم النبي بعدما أقرأه سيدنا جبريل إياه إلى تعليمه وإقرائه للمسلمين، وقراءته أمام من يدعوهم للإسلام، وتتمثل مراحل القراءة والتعليم فيما يأتي:

- قراءة النبي للقرآن: "روي عن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة، أنها نعتت قراءة رسول الله مفسرة حرفا حرفا "[15]"، و"سئل ابن عباس عن جهر النبي بالقراءة بالليل فقال: كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد أن يحفظها فعل"[16]"، و"روي عن قتادة أنه قال: سئل أنس عن قراءة النبي فقال: " كانَ يمدُ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَمُدُّ بِبِسْمِ اللهِّ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ"[17]".

[13] – ينظر، قابة ن عبد الحليم: القراءات القرآنية (أحكامها، تاريخها، ثبوتها، و حجيتها)، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م، ص32. (بتصرف).

[14] – الفضلي عبد الهادي: المرجع السابق، ص 14.

[15] – ابن كثير، شهاب الدين:فضائل القرآن،ط1، تحق: أبو إسحاق الحويني،القاهرة،مكتبة ابن تيمية،1416ه،ص 239.

[16] – السنيدي، سلمان بن عمر: تدبر القرآن، ط2، المنتدى الإسلامي، 2002م، ص 121.

[17] – السنيدي، سلمان بن عمر: نفس المرجع، ص 115.

– إقراءه لغيره: روي عن عبد الرحمن السلمي عن ثلاثة من كبار الصحابة عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب أن النبي كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعمل جميعا "[18]"

– إقراء الصحابة بعضهم لبعض، واستجابة لأمر رسولهم حين قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[19]، فقد روي عن علقمة: أنه قرأ – وكان حسن الصوت بالقرآن – على ابن مسعود فكأنه عجَّل، فقال عبد الله: فداك أبي وأمي، رتِّل، فإنه زين للقرآن"[20]"، وحينما سئل زيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع ؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إلي، وسلني لما ذاك ؟ قال: فإني أسألك، قال: لكي أتدبره وأقف عليه"[21]".

في هذا المقام يقول الفضلي: " وقد عُرِفت هذه المرحلة بوجود جماعة عُرِفوا بتعاهدهم للقرآن الكريم وتدارسهم آيِهِ وسوره بينهم، وكانوا يسمون القراء"[22]".

ما نخلص إليه هو تعرفنا على كيفية قراءة النبي، وكيفية إقراءه لغيره، وكيفية تعاهد الصحابة الكرام للقرآن فيما بينهم، مما يعطينا تصورا واضحا عن الدقة المتناهية في كيفية تعاملهم مع القرآن الكريم، قراءة وعملا، ثم لقّنها الصحابة الكرام للتابعين ثم تابعي التابعين وهكذا إلى أن أصبحت علما قائما بذاته له شروطه وأساسياته وأحكامه وعلماؤه ومؤلفاته.

---

[18] – السنيدي، سلمان بن عمر: نفس المرجع، ص 78.

[19] – البخاري، الصحيح الجامع، فضائل القرآن، باب، خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث 5027.

[20] – السنيدي، سلمان بن عمر: المرجع السابق، ص 121.

[8] – السنيدي، سلمان بن عمر: المرجع السابق، ص 44 – 45.

[9] – الفضلي عبد الهادي: المرجع السابق، ص 16.

[10] – شعبان، محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة،ط2،دار السلام،2001م،25.

4/ التأليف في علم القراءات:

رأينا من المفيد في هذا العنصر، أن نضع خطاطة لبعض ما أُلف في علم القراءات، حتى نتبين حركة التأليف وتأثيرها.

يذكر فؤاد سَزكين"[23]" أن أول من صنف في هذا العلم هو يحي بن يعمر(ت89هـ)، الذي ألف كتاب في القراءة، حيث جمع فيه اختلافات المصاحف "[24]"، ثم توالت حركة التأليف بكثرة بعده إلى عصر أبي عبيد القاسم بن سلام، يعسر حصرها، وإنما نذكر منها:

أبان بن تغلب الكوفي(ت141هـ)، وحمزة بن حبيب الزيات(ت156هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي(ت189هـ)، وأبي عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ)، وكل واحد من هؤلاء ألف كتابا في القراءات غير محدود العدد.

ثم جاء من بعد عبيد خلق كثير، ونذكر منهم: خلف بن هشام البزار(ت229هـ)، وأبو عمرو الدوري (ت246هـ)، وعبد الله بن قتيبة(ت276هـ)، وأبو جعفر الطبري(ت310هـ) .

إلى أن جاء أبوبكر بن مجاهد في بداية القرن الرابع الهجري فاختار من الجميع القراء السبعة المعروفين، وهم على التوالي: عبد الله بن عامر الشامي(ت118هـ)، وابن كثير المكي(ت120هـ)، وعاصم الكوفي(ت127هـ)، وأبو بكر بن العلاء(ت145هـ)، وحمزة الكوفي(ت156هـ)، ونافع المدني(ت169هـ)، والكسائي الكوفي(ت189هـ)، وقد علل مكي القيسي لماذا الاقتصار على هؤلاء فقال: " إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد، كثيرا في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما

[23] – تركي الأصل، وهو مدير المركز الإسلامي في فرانكفورت.

[24] – سَزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي،ط1، نقله إلى العربية:فهمي حجازي و راجعه:عرفة مصطفى و سعيد عبد الرحيم، الرياض، مط دار الثقافة والنشر بالجامعة، 1991م، ص 1/ 22.

يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة .. فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفًا إمامًا هذه صفته."[25]

ثم توالت حركة التـأليف بعد ابن مجاهد، فمنهم من زاد على هذا العدد ومنهم من أنقص دفعا للشبهة والإيهام بين القراءات السبع والأحرف السبعة، فألف سبط الخياط "الكفاية ست قراءات"، و ألف ابن مهران كتابه "الغاية عشر قراءات"، وجعلها ابن الجنيد ثلاثة عشر قراءة في كتابه "البستان في القراءات"، ثم زادت حركة التأليف بشكل ملفت للنظر، منها كتب الاحتجاج، ككتاب "الحجة " لأبي علي الفارسي(ت377هـ)، وكتب القراءات السبع، ككتاب "التيسير" لأبي عمرو الداني (ت444هـ)، وكتب القراءات العشر، ككتاب "النشر في القراءات العشر" لشمس الدين بن الجَزَرِي (ت833هـ)، وكتب القراءات الأربعة عشر، ككتاب " إتحاف الفضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" للبنا الدمياطي (1117هـ)"[26].

وهكذا بلغت قراءات هؤلاء الأئمة السبعة درجة الرضا والقبول بين علماء المسلمين وعامتهم، ولا بأس أن نلقي نظرة حول هؤلاء الأئمة ورواتهم باختصار، وسنرتبهم حسب ترتيب ابن الجزري لهم في كتابه النشر، وهم:

---

[25] – القيسي، مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات، تحق: عبد الفتاح شلبي، الفجالة، مكتبة النهضة بمصر، (لا.ت)، ص 47.

[26] – ينظر، الكتب التي أوردت بعض ما ألف في علم القراءات لمن أراد الاطلاع:

– سَزكين فؤاد: تاريخ التراث العربي، ج1/ من ص25 إلى ص 53 .

– نولدكه تيودور: تاريخ القرآن،ط1،بيروت،مط جورج ألمز،2004م، ص 592 – 600.

– النديم محمد بن إسحاق: الفهرست،ط1،تحق:مصطفى الشويمي،الدار التونسية،1985م، ص 170/ 171.

– الفضلي عبد الهادي: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ص27 – 32.

– قابة عبد الحليم: القراءات القرآنية، ص 63 – 64.

- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، ولد في 70هـ، وتوفي في 169هـ "[27]"، له راويان أخذا عنه مباشرة هما:

1/ قالون، أبو موسى بن مينا المدني: (120هـ - 205هـ).

2/ ورش، أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري: (121هـ - 197هـ)."[28]"

- عبد الله بن كثير بن عمرو بن هرمز، ولد في 45هـ، وتوفي في 120هـ"[29]"، له راويان أخذا عنه بوساطة هما:

1/ البُزِّي، أبو الحسن بن محمد بن عبد الله: (170هـ - 205هـ).

2/ قُنْبُلْ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي: (195هـ - 201هـ)."[30]"

- أبو عمرو، زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري: ولد في 68هـ، وتوفي في 154هـ"[31]"، له راويان روى عنه بوساطة، هما:

1/ الدُّورِي، أبو عمرو حفص بن عمر: (150هـ - 240هـ).

2/ السُّوسِي، أبو شعيب صالح بن زياد: (170هـ - 271هـ)."[32]"

- ابن عامر،عبد الله بن يزيد اليحصبي:ولد في 21 أو 28هـ،وتوفي في 118هـ "[33]"، له راويان روى عنه بوساطة، هما:

---

[27] - ينظر ترجمته: معرفة القراء الكبار: 1/ 107، وغاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 330، وسير أعلام النبلاء: 7/ 336.

[28] - ينظر ترجمتها: الإقناع في القراءات السبع، ص 11 – 12.

[29] - ينظر ترجمته: وفيات الأعيان: 3/ 41-42، سير أعلام النبلاء: 5/ 318 – 320.

[30] - ينظر ترجمتها: الإقناع في القراءات السبع لابن خلف أحمد،تحق:محمد شرف،طنطا،دار الصحابة للتراث، ص 19.

[31] - ينظر ترجمته: وفيات الأعيان: 3/ 466-470، و سير أعلام النبلاء: 6/ 407-410.

[32] - ينظر ترجمتها: الإقناع في القراءات السبع، ص 24 – 25.

1/ هشام بن عمار أبو الوليد السلمي: (153هـ - 245هـ).

2/ ابن ذكوان، أبو عمرو عبد الله بن أحمد: (173هـ - 242هـ)."[34]"

- عاصم، بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي: توفي في 127هـ "[35]"، له راويان أخذا عنه مباشرة هما:

1/ شعبة، بن عياش أبو بكر الخياط: (94هـ - 193هـ).

2/ حفص، بن سليمان البزاز الكوفي: (- 180هـ)."[36]"

- حمزة، بن حبيب أبو عمارة الزيات الكوفي:ولد في 80هـ، وتوفي في 156هـ "[37]"، له راويان روى عنه بوساطة، هما:

1/ خلف، بن هشام بن طالب البزار: (150هـ - 229هـ).

2/ خَلاَّد، أبو عيسى بن خالد البغدادي: توفي سنة 220هـ."[38]"

- الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة: ولد في 120هـ، وتوفي في 189هـ "[39]"، له راويان روى عنه بالمباشرة، هما:

1/ أبو الحارث الليث بن خالد المروزي: توفي سنة 140هـ.

---

[33] - ينظر ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: 1/ 423-425، وسير أعلام النبلاء:5/ 292.

[34] - ينظر ترجمتهما: الإقناع في القراءات السبع، ص 29.

[35] - ينظر ترجمته: معرفة القراء الكبار: 1/ 88، وغاية النهاية في طبقات القراء: 1/ 346 – 349.

[36] - ينظر ترجمتهما: الإقناع في القراءات السبع، ص 34.

[37] - ينظر ترجمته: معرفة القراء الكبار: 1/ 110، وغاية النهاية في طبقات القراء:1/ 261-263، وسير أعلام النبلاء: 7/ 90-92.

[38] - ينظر ترجمتهما: الإقناع في القراءات السبع، ص 39 – 44.

[39] - ينظر ترجمته معرفة القراء الكبار: 1/ 120،وغاية النهاية في طبقات القراء:1/ 62، وسير أعلام النبلاء: 9/ 131.

2/ الدُّورِي، تقدم الكلام عنه."[40]"

4/ **أقسام القراءات القرآنية:**

نجد العلماء قد قسموا القراءات القرآنية من حيث السند إلى ستة أقسام، ثم بينوا حكم كل نوع ودرجته من حيث القبول و الرد، وهذه الأقسام نوردها مرتبة حسب درجة الصحة و الضعف:

1/ المتواتر: وهو ما روا ه جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، ومثاله ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة.

2/ المشهور: هو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط و لا من الشذوذ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر، ومثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ومن أشهر ما صنف في هذين النوعين: التيسير للداني، وطيبة النشر لابن الجزري.

3/ ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده .. ومنه قراءة: **"** لقد جاءكم رسول من أَنْفَسِكُم **"**، بفتح الفاء.

4/ الشاذ: وهو ما لم يصح سنده، كقراءة ابن السَّمَيْفِع: **"**فاليوم نُنَحِّيكَ ببدنك **"**، بالحاء المهملة .

5/ الموضوع: وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل، مثال ذلك، القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي ونسبها إلى أبي حنيفة .

[40] – ينظر ترجمتهما: الإقناع في القراءات السبع، ص 44.

6/ ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص: " وله أخ أو أخت من أم " بزيادة لفظ "أم" .. وكان الحسن يقرأ: " وإن منكم إلا واردها "، الورود الدخول، قال الأنباري: قوله: الورود، الدخول، تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن ."[41]"

ثالثا/ مدارس الإقراء بالجزائر

الجزائر كغيرها من البلدان العربية لها نصيب في مدارسة القرآن الكريم وإقرائه عبر الأزمنة المتعاقبة على هذا البلد، ومن يتجول عبر ربوعة يجد ذلك ماثلا أمام ناظره، وما الأركان والأثافي الباقية تنبئ كل زائر، هذه المعاهد والمدارس كانت مقصد الطلاب من جميع الأقطار المجاورة كتونس والمغرب الأقصى وغيرها من المناطق، وقد اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها، ومن أشهر المعاهد المتخصصة في القراءات: معهد زواوة، معهد تلمسان، معهد وهران، معهد سعيدة، معهد غليزان، زوايا الصحراء الكبرى...وغير ذلك من مناطق الوطن

على إثر ذلك صح منّا الحديث أن نشير إلى بعض المعاهد التي مازالت حاضرة إلى يوم الناس هذا تقرئ القرآن وعلومهن وحسبنا أن نشير إلى بعضها – لأن تعدادها كلها لا تكفيه هذه الورقة البحثية –

1/ **معهد زواوة**: وقد عرفت منطقة زواوة بالحذق في القراءات، حتى إنها كانت مقصودة للعلماء للإتقان والبراعة. فهذا الشيخ محمد بن مزيان التواتي، الذي ورد على قسنطينة من المغرب، وبها انتشر علمه وأقبلت عليه الطلبة، وانتفعوا به وكثر بحثه، وعلت عارضته وحصلت له مشاركة في الأصول والمنطق والبيان، حتى أصبح يلقب بسيبويه زمانه، ومع ذلك لم يستغن عن الذهاب إلى زواوة لتعلم القراءات السبع، فقد أخبر عنه تلميذه الفكون أنه بقي في زواوة حوالي عام ثم عاد

[41] – الزُّرْقَاني، عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، بيروت، دار الفكر، 2004، ص 2/ 297 وما بعدها، وينظر أيضا، السُّيُوطِي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن: ص 1/ 109 – 110، والبنا الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر: ص 14.

"وقد حصلت له ملكة عظيمة ومعرفة تامة لعلم القراءات، وكانت القراءات بمنطقة زواوة تدرس في الألواح كما يدرس القرآن الكريم.

فقد ذكر عبد الكريم الفكون بأنه زار يوما شيخه التواتي بسكناه، فخرج إليه وبيده لوح به ما يزيد عن الخمسين بيتا من الشاطبية الكبرى، ومن أشهر أساتذة القراءات بزواوة أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر: محمد بن صولة، الذي قرأ عليه العالم التونسي أحمد بن مصـــطفى برناز القراءات السبع أيضاً.

وقد عرفت زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بزواوة بأنها معهد متخصص في تعليم القرآن الكريم وتفسيره، وتدريس القراءات بالروايات العشر المشهورة" حتى أن هيئتها المشرفة ومنذ عهد المؤسس لم تسمح بتدريس الفقه بحجة أن هذا العلم يمكن أن يشكل منافساً خطيراً على حساب حفظ القرآن الكريم والروايات.

2/ **معهد تلمسان**: ومن المعاهد التي عرفت بشدة اعتنائها بقراءات القرآن الكريم، هي معهد تلمسان فقد تواصلت الزيارات التي كان يقوم بها العلماء لتلمسان ومن المغرب خاصة، ومن الأندلس والمشرق الإسلامي نظراً لشدة عنايتهم بعلوم القرآن، وفي مقدمتها القراءات ورسم المصاحف.

وفي البستان إشارات إلى بعض العلماء الذين اشتهروا بتدريس القراءات وحذقها من ذلك ما رواه ابن مريم من أن محمد الحاج المناوي قد تصدر للتدريس في عدة علوم، ولكنه مهر خصوصا في القراءات. وكان للعلامة أبي الحسن علي الأنصاري المتوفى شهيدا بالطاعون عام 1054هـ، درس في القراءات بتلمسان، وكان يشرح فيه ابن بري، وقد ترك مؤلفا في شرح "الدرر اللوامع" لأبي الحسن ابن بري،. وأعظم درس في تلمسان في القراءات كان يشرف عليه محمد بن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842هـ، وقد كان يشرح فيه "الشاطبيتين" تفقها، و"ابن بري" وقد ترك تأليفا تحت عنوان"أرجوزة ألفية في محاذاة الشاطبية".

3/**معهد القلعة بغليزان**: من المعاهد المتخصصة في رسم القرآن الكريم وخطه، معهد القلعة وهي قلعة بني راشد، وكانت تسمى قلعة هوارة، إذ قبيلة هوارة هي التي أسستها في القرن الخامس الهجري، وكانت القلعة منذ أقدم العصور معلومة بقراءة القرآن، وسائر فنون العلم من حديث وتفسير قرآن وحساب وفرائض ونحو وتوحيد ومنطق وبيان، وبديع ومعاني واستعارات وأصول وشعر، وغير ذلك.

و لكن شهرة القلعة اكتسبت من خلال تخصصها في علوم القرآن من تفسير وقراءات، وكتابة المصاحف بخطوط جميلة معتمدة في ذلك على علم رسم القرآن الكريم، وضبطه.

فهذا الإمام سيدي عبد القادر بن يسعد المتوفى سنة 1055هـ بقلعة بني راشد، كان يأمر بكتابة نسخ المصحف الشريف ورسمه، وكان يجلب له النسّاخ من الأندلس والمغرب ويوظفهم في نسخ وكتابة المصاحف، وذلك لحذقهم في هذا الفن، حتى أصبحت القلعة بحق مدرسة متخصصة في رسم وضبط المصحف الشريف.[42]

رابعا/ مدار أسانيد قراء علماء الجزائر:

يعتبر السند القرآني من خصائص أمة الإسلام، لذلك يقول عبد الله بن المبارك" الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[43]، ومن العلوم التي حفظها الإسناد وتلقفها الخلف عن السلف علم القراءات القرآنية، فمثلا إن رحت تتصفح كتب القراءات العمدة فإنك تلفي أصحابها يذكروا المشايخ والعلماء الذين شافهوهم وتلقوا منهم القراءة على غرار كتاب السبعة لابن مجاهد وكتاب النشر لابن الجزري والإمام الداني في التيسير وجامع البيان، لينتشر بعد ذلك العلم القرآني ويعم الإسناد في مشارق الأرض ومغاربها.

---

[42] – يراجع: الإقراء في الجزائر، مراجعة، مدارسة، أشهر المؤلفين فيه، مسعود بوجلوجة، 01/12/2017 https://vb.tafsir.net/forum

[43] – شرح النووي على صحيح مسلم، 1/ 87.

وعلماء الجزائر كغيرهم ارتحلوا ولاقوا العلماء وأخذوا منهم هذا العلم وقاموا هم أيضا بتبليغه؛ وكان من هؤلاء:

- عبد الله بن محمد العبدري الزهري (ت540هـ) أخذ القراءات عن أبي داود وأقرأ بقلعة حماد زمانا ثم نزل بجاية وتوفي بها[44]

- محمد بن صالح بن أحمد الكناني، قال عنه ابن الجزري:" خطيب بجاية وشيخها يعرف بابن رحيمة وأعلى الناس إسنادا بالشاطبية هناك رواها سماعا من ابن أبي القاسم بن وضاح سنة 631هـ"[45]

- أحمد بن محمد أبو العباس الزواوي المقرئ (ت748هـ) مقرئ بقسنطينة، لقي عدة علماء مقرئين[46]

- محمد بن علي بن أحمد التلمساني العبادي (ت1118هـ) قرأ قراءة نافع برواية قالون وورش على الإمام العطّار[47]

- محمد بن القاسم البجليلي (ت1314هـ) أخذ قراءة نافع من الشيخ محمد بن العربي الأخداشي بتيزي وزو[48].

- علي بن عبد الرحمن المعروف بابن الحفاف المقرئ (ت1307هـ) قرأ القراءات السبع على أستاذه أحمد بن الكاهية إلى أن تصل القراءة إلى الشيخ إبراهيم التازي[49]

---

[44] – غاية النهاية في طبقات القراء، 1/ 407

[45] – غاية النهاية في طبقات القراء، 2/ 137.

[46] – عناية العلماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، ص28

[47] – عناية العلماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، ص28

[48] – عناية العلماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، ص29.

[49] – عناية العلماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، ص30.

خامسا/ مؤلفات علماء الجزائر حول علم القراءات القرآنية تدريسا وتأليفا:

من الفنون التي اهتم بها الباحثون الجزائريون فن القراءات القرآنية، التي دبّجت أقلامهم الكثير من البحوث والمقالات المبثوثة بين رفوف المكتبات العامة والخاصة وعلى الشبكة العنكبوتية وعلى المواقع الاجتماعية، أو المنصات الإلكترونية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على هذه الأمة لم تكن بمعزل عما يجري في الضفة المشرقية أو المغربية، فقد ارتأينا أن نضع إحصاء لأهم المؤلفات المطبوعة منها أو المخطوطة أو المفقودة، التي دارت في فلك هذا العلم.

ومن يطالع الدرس القرآني في المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) عبر حقبه المتتابعة يجده مختلفا من قرن إلى آخر، فهناك بعض الأزمنة نشطت فيها حركة الإقراء والتأليف وأزمنة أخرى يلاحظ فيها فتورا؛ وهو ما سنلاحظه ابتداء من القرن الرابع الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، والملاحظة الثانية تمثلت في أنّ بعض العلماء خدموا الدرس القرآني عن طريق حلقات التعليم التي كانت تقام في الزوايا والكتاتيب وبدون أن يؤلفوا، وهناك من خدم هذا الدرس عن طريق التأليف والكتابة، ودونك القرون التي سطرت هذه الكتابات على النحو الآتي:

1/ القرن الرابع الهجري:

- عبد الله بن محمد أبو محمد القضاعي الأندلسي المعروف بمقرون (ت378هـ) نزيل بجاية ثمّ وهران ثمّ مالقة ثمّ قرطبة اشتهر بإقرائه بحرف نافع من رواية ورش وكان ينمو فيه مذهب المصريين ذكر أنه أخذ عرضا عن أبي الفضل عبد الحكم بن إبراهيم عن أبي عبد الله الأنماطي وأبي بكر بن سيف روى عنه أبو بكر قاسم بن مسعود وقال إنّه ولد في المحرم سنة تسعين ومائتين ومات سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة[50].

[50] – غاية النهاية في طبقات القراء ج1 ص456.

2/ القرن الخامس الهجري:

- يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري (403-465هـ)، إمام مقرئ، كان كثير الترحال في طلب القراءات المشهورة والشاذة، من مؤلفاته المطبوعة كتاب الكامل في القراءات الخمسين، ومن المفقودة: الوجيز في القراءات والهادي في القراءات[51]

- يوسف بن علي البسكري (465هـ-1073م) له كتاب موسوم: (الهادي في القراءات السبع) و(الوجيز في القراءات السبع)[52]

- عمر بن إبراهيم التاهرتي (ت 446هـ) له كتاب (القراءات السبع)[53]

- أحمد بن علي الربعي البغائي أبو العباس مقرئ محدث مالكي المذهب ولد بمدينة باغاية سنة 345 هج ودخل الأندلس سنة376 هج فأقرأ بها بالمسجد الجامع بفرطبة رحل إلى المشرق فروى بمصر عن أبي الطيب بن غلبون وأبي بكر الأذفوي ذكره ياقوت وقال:"كان لا نظير له في علوم القرءان على مذهب مالك...."له"أحكام القرءان"توفي سنة401 هـ[54].

3/ القرن السادس الهجري:

- فتح بن عبد الله أبو النصر المرادي التلمساني من جلّة المقرئين في المغرب في عصره رحل إلى الأندلس وقرأ على بن هذيل المتوفى سنة564 هج أقرأ عليه علي بن عبد الكريم التلمساني شيخ تلمسان[55].

---

[51] – ينظر ترجمته في معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص43.

[52] – يراجع معلمة التراث الجزائري، 2/ 63.

[53] – يراجع فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ص60.

[54] – معجم أعلام الجزائر:27 28

[55] – معجم أعلام الجزائر ص129

4/ القرن السابع الهجري:

- الزواوي يحي بن عبد المعطي أبو الحسين زين الدين البجائي (564-628هـ)، كان قارئا متقنا، من مؤلفاته المفقودة (منظومة في القراءات)[56]

- علي بن أحمد بن عبد الله بن خيرة أبو الحسن البلنسي (ت634هـ) خطيبها ومقرئها إمام عارف برواية ورش على طارق بن موسى ولنافع على أبي جعفر بن طارق أخذ القراءات عن أبي جعفر أحمد بن عون الله الحصار وبن نوح وحجّ سنة ثمان وسبعين وخمسمائة [578] فسمع ببجاية من عبد الحق وقرأ القراءات بمصر على الشاطبيأ ورجع فتصدر للإقراء. قرأ عليه أبو عبد الله الأبار وأبو العباس بن الغماز وهو اخر أصحابه .توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة[57]

- ابن القلال علي بن عبد الله أبو الحسن بن القلال الجزائري (....-668هـ) كان من كبار المقرئين في وقته، من مؤلفاته المفقودة (جلاء الأبصار في القراءات)[58]

- علي بن محمد التلمساني الضرير الكتامي يعرف بابن الخضار (ت677هـ)إمام مقرئأ نزل سبتة وأقرأ بهاأقرأ على عليّ بن عبد الكريم بتلمسانأ قرأ عليه الأستاذ أبو إسحاق الغافقيأ قال الذهبي: قال لي بن عمران الحضرمي إنّه توفي سنة سبع وسبعين وستمائة ووصفه بإحكام القراءات وحفظها.[59]

- الزواوي عبد السلام بن علي بن سيد الناس أبو محمد الزواوي البجائي (589-681هـ)، من مشايخ الإقراء بدمشق قرأ على جلة من العلماء القراء أبرزهم علي أبو القاسم الاسكندري

[56] - ينظر: الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم، فؤاد عطاء الله، مجلة اللغة العربية، م21 ع47 السنة 2019 ص 366.

[57] - غاية النهاية ج1 ص520 رقم:2149.

[58] - ينظر ترجمته في معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص265.

[59] - غاية النهاية ج1 ص579 رقم2348.

وعلي أبو العز القاهري وأبو الحسن السخاوي الدمشقي، من مؤلفاته المفقودة، (التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات) و(عد الآي)[60]

- الزواوي أحمد بن محمد بن علي أبو العباس القسنطيني (توفي في القرن 7هـ) من مشيخة القراءة بالمغرب في زمانه، قرأ القرآن الكريم على ثلة من العلماء القراء أبرزهم علي مقرئ فاس، وعلي بن سليمان القرطبي ومالك بن المرحل[61]

- المعافري أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري المسيلي (توفي في القرن7هـ)، قام باختصار كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني.[62]

- يحى بن عبد المعطي الزواوي(564-628هـ) أحد أئمة عصره في النحو والادب شاعر مجيد كثير الحفظ أصله من زواوة، سكن دمشق واشتغل بالتدريس لقي ابن عساكر فسمع منه ثم رغبه الملك الكامل في الانتقال الى القاهرة فسافر اليها ودرس بها الادب العربي في الجامع العتيق وعكف على التأليف ولم يزل على حاله الى أن توفي بها سنة628هـ ، له مؤلفات عديدة من بينها منظومة في القراءات السبع[63]

- احمد بن عبد الله بن عبد المعطي الجزائري عرف بابن الإمام ونعت بالشرفاً محدثاً نحوياً فاضلاً رحل إلى المشرق واخذ عن الإمام الكبير ابن الجميزي أعلى أهل زمانه إسنادا في القراءات المتوفى سنة 649 هج قال السيوطي:" و كان حسن الصورةً لطيف المزاج بارع الخط."مولده كان سنة 610 هـ.[64]

---

[60] - ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، 5/ 228.

[61] - ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص161.

[62] - ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، 2/ 124.

[63] - يراجع فهرست معلمة التراث الجزائري، ص59.

[64] - معجم أعلام الجزائر ص:26

- الحسن بن عبد الله بن ويحيان أبو علي الراشدي التلمساني نزيل مصر آكام محقق عارف، قرأ على الكمال الضرير وروى الشاطبية عنه وعن بن الأزرق، قرأ عليه الشيخ المجد أبو بكر بن القاسم التونسي والشهاب أحمد بن جبارة الحنبلي ومحمد بن يوسف الغماري، وكان عارفا بالقصيد بصيرا بالأسانيد. قال الذهبي: وكان ثقة مأمونا مات في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وستمائة هجرية[65]

- محمد بن عبد الرحمان بن علي أبو عبد الله التجيبي المرسي الحافظ نزيل تلمسان أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن الفرس وعن أبي معيط وذلك في سنة خمس وخمسمائة ثمّ حجّ فأكثر عن السلفي وبرع في الحديث وصنف "أربعينات" و"معجما" مات سنة عشر وستمائة بالمغرب عن سبعين سنة[66]

- محمد بن يوسف أبو عبد الله الإشبيلي نزيل تلمسان مقرئ محقق قرأ على شريح وأحمد بن محمد بن حرب المسيلي. روى الحروف عن أبي محمد بن عتاب، قرأ عليه أحمد بن علي بن عون الله الحصار وعبد الله بن لب وروى عنه الشاطبي شرح "الهداية" للمهدوي في حياته ومات قبله بعشر سنين. قال الأبار: وكان مقرئاً فاضلاً ومحدثا ضابطاً أخذ النّاس عنه وعمّر وأسنّ وتوفي سنة ستمائة600 هج.[67]

- عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمان بن عثمان التميمي أبو محمد: يعرف بابن الخطيب فقيه ومقرئ مالكي المذهب قاضي من أهل بجاية سمع من عبد الحق الإشبيلي بعض تآلفه

[65] – معجم أعلام الجزائر ص64،

[66] – غاية النهاية 2/ 164 رقم3112

[67] – غاية النهاية 2/ 288 رقم:3562

في الرقائق ،وأخذ عن عبد الرحمان بن يحيى القرشي مختصره في القراءات وأجاز له أبو طاهر السلفي ،.توفي سنة620 هج بتونس.[68]

5/ القرن الثامن الهجري:

– أبو القاسم بن أحمد بن أحمد الغبريني ،مقرئ من أهل بجاية ،قال ابن الجزري:"شيخ تونس من الغرب ومسندها في وقتنا قرأ على محمد بن غريون وسمع منصور بن أحمد بن عبد الحقّ المشذالي وأجازه من مصر عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ومحمد بن علي بن دقيق العيد وغيرهما وهذا لعمري شيخ يعزّ وجود مثله في وقتنا" كان حيًا سنة اثنين وسبعين وسبعمائة[69]

– أحمد بن محمد بن علي الزواوي أبو العباس ،مقرئ قسنطينة في عصره ،محدث قرأ على أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد الأنصاري القرطبي مقرئ فاس ،وأبي الحكم مالك بن عبد الرحمان المعروف بابن المرحل إمام وقته بالقراءات أثناء وجوده بالمغرب ،وروى عن أبي جعفر بن بير وأبي عبد الله بن رشد وجماعته ،وروى القراءة عنه أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي لقيه سنة748 هج بقسنطينة قال ابن حجر: "وعمل فهرسة مقروءاته ومروياته في مجلدة سمعها منه شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد السلاوي سنة750 هج " توفي عليه رحمة الله بعد عشر الخمسين وسبعمائة.[70]

– أحمد بن محمد بن علي العنابي أبو العباس ،نحوي ،مقرئ ،من أهل عنابة رحل إلى القاهرة فلازم بها أبا حيان وأتقن عليه النحو وقرأ عليه الثمان وخدمه حتى مات ،فقدم دمشق ونزل بالخانقاه الأندلسي وولي مشيخة النحو بالمدرسة الناصرية وتصدر بالجامع الأموي وانتفع به النّاس

[68] – معجم أعلام الجزائر ص98،

[69] – غاية النهاية ج2 ص28،29.

[70] – غاية النهاية ج1 ص25 و183.

في العربية قرأ عليه القراءات الشيخ عمران بن إدريس الجلجولي والشيخ أحمد بن البانياسي وشعبان الحنفي توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة[71]

- يحيى بن أبي بكر العماد أبو زكرياء البوني (من وفيات القرن الثامن) مقرئ معروف من أهل بونة رحل إلى المشرق وروى بها الشاطبية عن الحافظ أبي عبد الله الذهبي ومحمد بن أحمد بن علي الرقي شيخ القراء بدمشق ولم أقف على ترجمة وافية له[72]

6/ القرن التاسع الهجري:

- أحمد بن محمد المقري التلمساني (1578 م 1631 م) له (رسالة في القراءات)[73]

- الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الجزائري (786-875هـ) كان من كبار المفسرين، أبرز مؤلفاته المفقودة: (الدرر اللوامع في قراءة نافع) ومن المطبوعة (المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع).[74]

- قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى بن مهدي الهلالي فقيه مقرئ من أهل قسنطينة وبها نشأ وتعلم رحل إلى تونس وأخذ عن عيسى العبريني والبرزلي والعبدوسي، قال السخاوي: وقدم علينا حاجا في سنة849 هج فلقيه بالميدان في جماعة وأجاز لنا وممن أخذ عنه أحمد بن يونس .كان مولده سنة788هـ)[75]

---

[71] – معجم أعلام الجزائر ص37

[72] – معجم أعلام الجزائر 200

[73] – يراجع اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص36.

[74] – ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص19 وكتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص1/ 67.

[75] – معجم أعلام الجزائر ص131

- التلمساني محمد بن يوسف أبو عبد الله السنوسي الحسني التلمساني (832-890هـ) كان عالما بالتفسير والقراءات، من مؤلفاته المفقودة : (مختصر في القراءات السبع) و (شرح الشاطبية الكبرى)[76]

- أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني (832هـ-896هـ) ، ولد بمدينة تنس (قريبا من مدينة الشلف)، قال الإمام السخاوي: " بلغني في سنة ثلاث وتسعين بأنه حي مقيم بتلمسان جاز الستين " ولما كان السخاوي قد فرغ من تبييض كتابه في ربيع الآخر من سنة (896هـ)، له هو أيضا (رسالة في القراءات)نسخة منها في خزانة يوسف بمراكش برقم(372)[77]

- محمد بن يوسف السنوسي (895هـ- 1490م) من كبار علماء تلمسان ومتصوفها الكبار، له (المختصر في القراءات السبع)[78]

- أحمد بن احمد شهاب الدين الندرومي التلمساني المعروف بابن الأستاذ: فقيهاً مقرئاً عالم بالمنطقً من أهل ندرومة اخذ عن الإمام بن مرزوق الحفيد وغيره .رحل إلى القاهرة وتصدر للإقراء فيها . قال صاحب "نيل الابتهاج" كان حيا بعد (830هـ)[79]

- محمد بن عبد الله بن عبد الجليل أبو عبد الله التنسيً (899هـ-1494م) فقيه مؤرخ مقرئ عالم برسم المصحف أديباً شاعراً أصله من تنس نشأ في تلمسان وأخذ عن قاسم العقباني ومحمد النجاري وغيرهما ومن أشهر ما كتب (الطراز في ضبط الخراز)[80]

---

[76] - ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص181 وكتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص1/ 266.

[77] - يراجع اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص36.

[78] - يراجع معجم أعلام الجزائر، ص181

[79] - معجم أعلام الجزائر ص:17 وينظر نيل الابتهاج ص80

[80] - معجم أعلام الجزائر ص159-160.

- محمد بن عثمان بن ظافر بن علي بن عبد الرحمان البجائي أبو عبد الله فقيه مقرئ من أهل بجاية أوبها قرأ القرءان على محمد بن زين الدين وعنه أخذ العربية والعروض. حجّ ودخل دمشق والقاهرة وأقام بالإسكندرية مدّة. قال السخاوي: أقرأ المنصور حين إقامته بها في "شرح الخزرجية" ولقيته بها فكتبت عنه من نظمه توفي بعد سنة 860 هج له "معجم في أسماء شيوخه" فيه من نظمه أشياء . وكان مولده سنة27 ه[81].

7/ القرن العاشر الهجري:

- ابن مرزوق الحفيد العجيسي عبد الله بن محمد (842هـ-1439م) له (أرجوزة في القراءات) وهي مخطوطة في مكتبة استانبول. وأيضا (ألفية في محاذاة الشاطبية)[82]

- محمد بن محمد بن العباس التلمساني، الشهير بأبي عبد الله (920هـ - 1514م) من اهل تلمسان. أخذ عن الإمام السنوسي والكفيف ابن مرزوق وابن زكري والحافظ التنسي وغيرهم. ورحل الى فاس بالمغرب الاقصى فأخذ عن ابن غازي وغيره، ثم رجع لبلاده له رسالة موسومة: (شرح المسائل المشكلات في المورد الظمآن)[83]

- شقرون محمد شقرون أبي جمعة المغراوي أبو عبد الله المعروف بشقرون الوهراني (...-911هـ) من مؤلفاته المخطوطة (تقييد على مورد الظمآن)، وهو مخطوط مرقوم في الخزانة التيمورية برقم (213).[84]

---

[81] - معجم أعلام الجزائر ص161

[82] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، المختار بوعناني، جامعة وهران، السانية، 2005، ص10 وص21.

[83] - يراجع معجم أعلام الجزائر، ص80-81.

[84] - ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص189 وكتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص1/ 285.

- محمد شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني (ت929هـ) له رسالة موسومة (نظم تقريب المنافع في الطرق العشر عن نافع) وهي لامية في الطرق العشرية عن الامام نافع تتكون من 319 بيتا مقسمة إلى أصول وفرش.[85]

- عبد الكريم الفكون (988هـ- 1073هـ) له رسالة في القراءات موسومة (سربال الردة في من جعل السبعين رواية الأقرا[86].

8/ القرن الحادي عشر الهجري:

- المصمودي (.. - بعد 1007 ه =.. - بعد 1598 م) محمد بن أحمد، أبو عبد الله الحسني المصمودي: عالم بالقراءات. كانت إقامته في تلمسان. له كتب، منها (المنحة المحكية لمبتدئ القراءة المكية) وهو مخطوط في خزانة الرباط (1532 د) منظومة فرغ من نظمها آخر رجب

(1007)[87]

- علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الجزائري الدار (ت1057هـ) له كتاب (العقد الجامع للدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع) وهو شرح على منظومة درر اللوامع لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بابن بري.[88]

9/ القرن الثاني عشر الهجري:

- المنجرة عبد الرحمن بن إدريس أبو زيد المعروف بالمنجرة التلمساني (...-1179هـ) كان مقرئا ومفسرا ضليعا، من مؤلفاته المخطوطة: (حاشية على تقريب الكلام في تخفيف حمزة وهشام)

[85] - يراجع عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، مهدي دهيم، مجلة الصراط، المجلد22 العدد 41 ص18.

[86] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص36.

[87] - ينظر: اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص25

[88] - - يراجع: عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، ص19

و(حاشية على كنز المعاني في شرح حرز الأماني) و(حاشية على شرح التنسّي لذليل مورد الظمآن) و(القول الشهير في تحقيق الإدغام الكبير)، أما المفقودة (حاشية على فتح المنان بشرح مورد الظمآن).[89]

- أحمد بن عثمان بن ثابت التلمساني (...-1152هـ) له رسالة مخطوطة بالمكتبة الوطنية برقم 2154. موسومة: (الرسالة الغراء في ترتيب خلاف وجوه القراء)[90]

- أبو عبد الله محمد بن توزينت التلمساني (ت 1118هـ) له كتاب (تقييد على قراءة الإمام نافع من رواية قالون وورش)[91]، وهو تقييد يشتمل على كيفية جمع الطرق وتحرير نسبتها على قراءة الإمام نافع بروايتي ورش وقالون.

10/ القرن الثالث عشر الهجري:

- أبي راس الناصري المعسكري (1238ه-1823م) له مخطوطة مسماة: (إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمآن والتكلم مع صاحب عمدة البيان)[92]؛ وله مخطوطة مسماة: (إعانة القدير في شرح النشر والتيسير)[93]؛ وله أيضا (توضيح المعاني في شرح حرز الأماني)[94]

- الشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي (1826م-1898م)، من قرية بوجليل ولاية بجاية، صاحب التآليف الكثيرة والمصنفات المتنوعة المفيدة أشهرها كتاب التبصرة في قراءة العشرة وقد

[89] - ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص69.

[90] - ينظر: اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص19.

[91] - يراجع فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ص60.

[92] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص12.

[93] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص11.

[94] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص33.

خصه ببيان روايات الإمام نافع الأربع وطرقه العشرة التي اشتهرت القراءة بها عند الجزائريين والمغاربة.[95]

- محمد السعيد بن الأطرش العياض الجزائري (1834م-1917م) حفظ القرآن: على الشيخ أحمد خبابة أحد القراء بدشرة برج الغدير، ثم درس مبادئ الفقه والعربية في زاوية (بن مرسلي)، حيث اجتمع له قدر من المعرفة في علوم الشريعة واللغة والتجويد، له رسالة في القراءة وأحكام المد الطبيعي، تسمى (الدرر البهية في بيان القراءة الأصلية) طبعت بمصر سنة 1903.[96]

- محمد بن أبي القاسم البوجليلي الجزائري (1239هـ - 1315هـ) له مقدمة في علم القراءات[97]

- محمد بن عبد الرحمان الديسي مقرئ نحوي له نظم ولد في قرية الديس بالصحراء الغربية في جنوب الجزائر سنة 1270 هج الموافق ل1854 شمسية نشأ يتيما وتعلم في بلده ثمّ انتقل إلى زاوية الهامل وأخذ عن مؤسسها ولما نبغ في العلوم الشرعية والعربية ولي التدريس في معهد الزاوية إلى أن توفي[98]

- علي عبد الرحمن بن محمد الحفاف (ت1890م) له كتاب في القراءات موسوم: (منة المتعال في تكميل الاستدلال)[99]

[95] - ينظر: الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي وآثاره العلمية: جاب الله سمير، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد27 عدد3.

[96] - ينظر: اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص18.

[97] - يراجع فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ص60.

[98] - معجم أعلام الجزائر ص155أ156

[99] - يراجع فهرست معلمة التراث الجزائري، ص56.

11/ القرن الرابع عشر الهجري:

- الحاج موسى علي بن أحمد الجزائري (ت حوالي 1330هـ/ 1911م) له (تراجم البدور السبعة أو القراء السبعة)[100]

- اطفيش محمد بن يوسف بن صالح الميزابي (...-1310هـ) من أعلام التفسير في الجنوب الجزائري الكبير، ذاع صيته في الآفاق وترك إرثا لا يقدر بثمن خاصة في مجال التفسير، من مؤلفاته المخطوطة في القراءات (أرجوزة في القراءات). [101]؛ له (تلقين التالي لآيات المتعالي شرح جامع ورش، وهو كتاب مخطوط[102]

- أحمد بن رابح الندرومي (1324هـ-1388هـ) له أرجوزة متنوعة وهي مجموعة النصوص القرآنية في الرواية الورشية في الخط والتجويد وأحكام رسم القرآن.[103]

- أحمد حماني (1915-1998م) له رسالة موسومة: (درة المتون في قراءة الإمام نافع برواية الإمامين ورش وقالون)[104]

- محمد المكي بن مصطفى بن عزوز البرجي الحسني (1854م-1915م) له رسالة موسومة: (الرياض البواسم في رواية حفص عن عاصم).[105]

---

[100] - يراجع فهرست معلمة التراث الجزائري، 2/ 60.

[101] - ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص42.

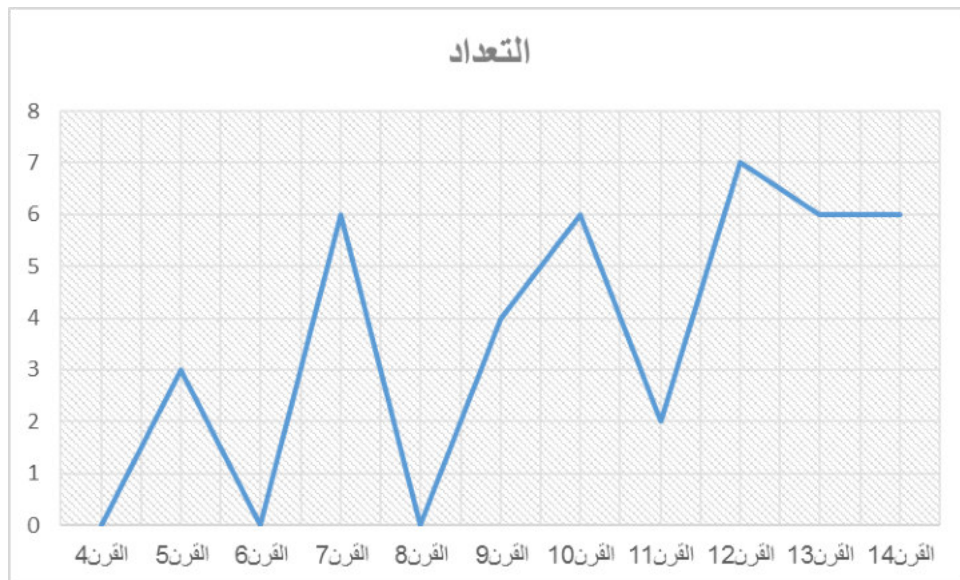
[102] - ينظر: اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص33.

[103] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص10.

[104] - ينظر اهتمام الجزائريين بالقرآن، ص35

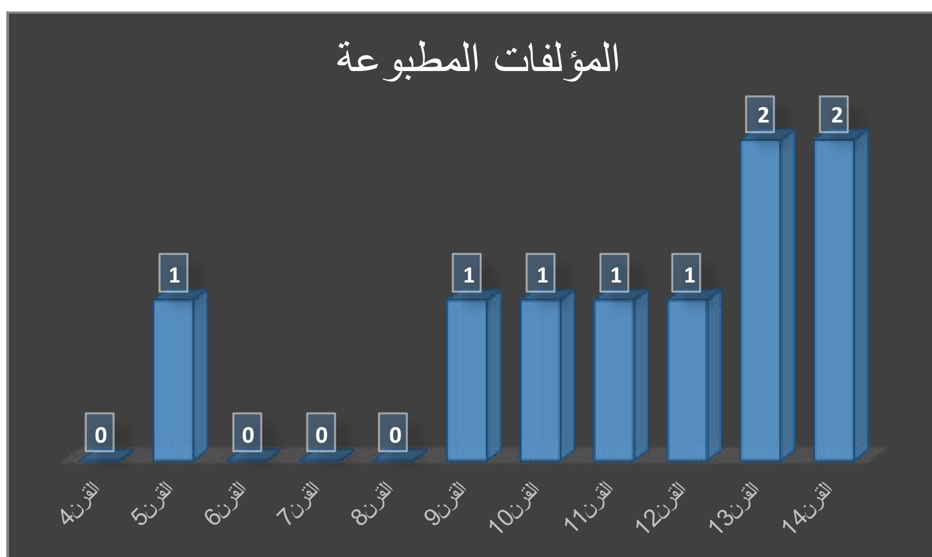
[105] - يراجع ترجمته: فهرست معلمة التراث الجزائري 3/ 63.

منحنى بياني يمثل وتيرة التأليف في علم القراءات عبر العصور في الجزائر

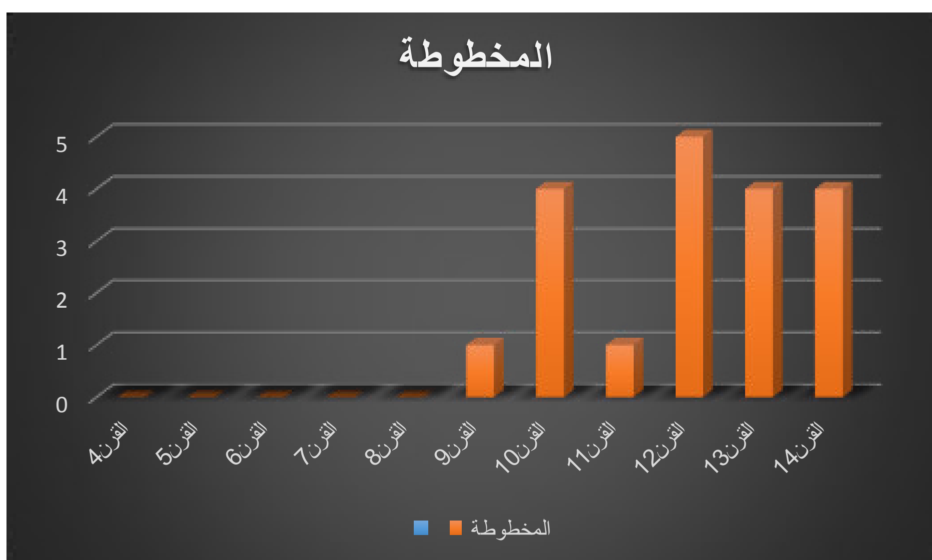


يمثل هذا المنحنى بداية التأليف في علم القراءات القرآنية ابتداء من القرن الرابع الهجري وانتهاء إلى القرن الرابع عشر الهجري، وما يلاحظ عليه هو التفاوت في عدد المؤلفات التي تمّ تأليفها في كل قرن، ويعتبر القرن الثاني عشر ذروة التأليف حيث بلغ تعدادها (07 مؤلفات)، أما القرنين السابع والعاشر فقد بلغ كل منهما (06 مؤلفات)، ويمكن أن يعزى هذا التذبذب في حجم العطاء إلى الحالات السياسية والعلمية والاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة في كل قرن من القرون الهجرية.

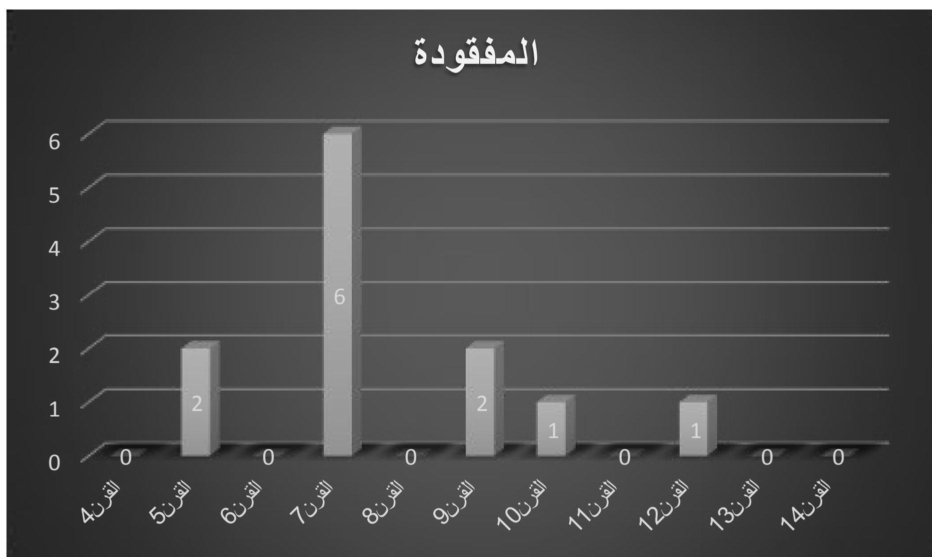
رسم بياني يمثل مؤلفات القراءات المطبوعة



رسم بياني يمثل مؤلفات القراءات المخطوطة



رسم بياني يمثل مؤلفات القراءات المفقودة



تمثل هذا الرسوم البيانية حجم التآليف الخاصة بعلم القراءات القرآنية، وقد تراوحت بين المطبوع والمخطوط والمفقود.

أمّا التي تمّ طبعها وإخراجها إلى النور، فيلاحظ عليه تفاوتا من قرن إلى آخر، فخلال (06 قرون) تم طبع ثماني كتب، وهي نسبة ضئيلة جدا أي ما نسبته 1.5 كتاب لكل قرن، ونعتقد أنّ مرجع ذلك جملة من الأسباب على رأسها عدم التفات الجهات المختصة إلى هذا العلم والبحث عنه في غيابات الجب ومن ثمّ الانكباب عليه بالدراسة والتحقيق.

أمّا إذا جئنا إلى المؤلفات التي هي في عداد المخطوطات فنلفي القرون (10–12–13–14) قد توفرت على (17 مخطوطة) لم تر النور بعد، مرجع ذلك أسباب يجدها القارئ في خاتمة البحث.

أمّا المؤلفات المفقودة فيعتبر القرن السابع أغزرها وهي بلا شك خسارة كبيرة أن نفقد تراثنا وهويتنا بهذه السهولة؛ وعلى القائمين على هذا النوع من العلوم النظر في الأمر والمسارعة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

نتائج البحث:

- أظهر البحث أنّ الجزائر لها مشاركة وعناية بالقرآن الكريم قراءة وإقراء وتدريسا وتأليفا.

- تبين من خلال البحث أنّ للجزائر مدارس تخصصت لمدارسة القرآن الكريم

- أسفر البحث أنّ جزءا مهما من هذه المؤلفات مفقود، وسبب فقده مجموعة من الأسباب أبرزها: حيازة العائلات لهذه المخطوطات وعدم وضعها أمام الباحثين بحجة أنها إرث، وسطو الاستعمار لهذا التراث وطمس معالمه، وامتلاك البعض الزوايا له وعدم إخراجه للنور.

- أظهر البحث أنّ هناك تفاوت في التأليف بين حقبة وأخرى.

- خلص البحث أنّ بعض الحواضر العلمية ساهمت بحظ أوفر في التأليف على غرار حاضرة تلمسان وحاضرة زواوة.

- عدد الكتب التي تم طبعها (09) والتي مازالت مخطوطة (19) والتي مفقودة (12).

توصيات البحث:

- الاهتمام بتراث المتقدمين، من خلال إقامة الملتقيات والمؤتمرات واللقاءات العلمية والندوات فتكشف لنا سيرهم العلمية وما تركوا لنا من نتاج فكري ومعرفي يستفد منه بخاصة طلبة الدراسات العليا.

- على الجهات العلمية ومن بيدها مقاليد الأمور تقديم يد العون والمساعدة في إخراج هذه الكنوز المغمورة وتيسيرها لدى الباحثين وطلبة العلم.

مكتبة البحث:

1. البَنَّا الدِّمْيَاطي، شهاب الدين، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه: أنس مهرة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006.

2. جاب الله سمير، الفقيه المقرئ محمد بن بلقاسم البوجليلي وآثاره العلمية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد27 عدد3.

3. ابن الجَزَرِي: شمس الدين محمد، النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ط2، تقديم: علي محمد الضباع، مط دار الكتب العلمية،2002م.

4. ابن الجَزَرِي: شمس الدين محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1 وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999.

5. ابن الجَزَرِي، شمس الدين محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1982.

6. الزمخشري، جار الله: أساس البلاغة، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 2004.

7. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط1، (د.ت).

8. الزُّرْقَاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، لبنان، بيروت، دار الفكر، 2004.

9. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط1، 1993.

10. ابن كثير، شهاب الدين، فضائل القرآن،ط1، تحق: أبو إسحاق الحويني، القاهرة، مكتبة ابن تيمية،1416ه.

11. مهدي دهيم، عناية علماء الجزائر بالقرآن الكريم وقراءاته، مجلة الصراط، المجلد22 العدد 41

12. المختار بوعناني، اهتمام الجزائريين بالقرآن، جامعة وهران، السانية، 2005.

13. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

14. مسعود بولجويجة، الإقراء في الجزائر، مراجعة، مدارسة أشهر المؤلفين فيه، https://vb.tafsir.net/forum 01/12/2017

15. محيسن محمد سالم، القراءات وأثرها في علوم العربية، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1994م.

16. سَزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: فهمي حجازي و راجعه: عرفة مصطفى و سعيد عبد الرحيم، الرياض، مط دار الثقافة والنشر بالجامعة، ط1، 1991م.

17. السنيدي، سلمان بن عمر: تدبر القرآن، ط2، المنتدى الإسلامي، 2002م.

18. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، منشورات الكتاب التجاري، بيروت، ط1، (د.ت).

19. فؤاد عطاء الله، الفهرس الوصفي لمؤلفات علماء الجزائر في القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية، م21 ع47 السنة 2019 ص 366.

20. الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ط3، بيروت، دار القلم، 1985.

21. قابة ن عبد الحليم، القراءات القرآنية (أحكامها، تاريخها، ثبوتها، و حجيتها)، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م.

22. القيسي، مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، ط3، تحق: شلبي عبد الفتاح، مكتبة النهضة، (د.ط).

23. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط1 تح: يحي خالد توفيق، القاهرة، مكتبة الآداب، 1998.

24. شعبان، محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ط2، دار السلام، 2001.

25. ابن أبي شامة عبد الرحمن، المرشد الوجيز لعلوم تتعلق بكتاب الله العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

26. التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، ليبيا، ط1، 2000.

27. ابن خلف أحمد، الإقناع في القراءات السبع، تحق: محمد شرف، طنطا، دار الصحابة للتراث، (د.ت).

28. ابن خلكان شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)

29. الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

30. الذهبي شمس الدين، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تح بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.

31. ضيف بشير، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة عثمان بدري، دار تسالة، الجزائر، ط1، 2007.

الدرس اللغوي في تفسير التقييد الكبير لأحمد البَسيلي

سحنين علي، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر

مقدمة:

تحاول هذه الورقة البحثية أن تسلط الضوء على كتاب مهم في التفسير، وهو كتاب التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد للعلامة أحمد بن محمد "البسيلي" (نسبة إلى المسيلة)[1] ، الذي نحا فيه صاحبه منحى لغويا بارزا، حيث أفاد فيه من أبرز كتب التفسير اللغوية، وهي: الكشاف للزمخشري، والمحرر الوجيز لابن عطية، ومفاتح الغيب للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ومن دروس شيخه ابن عرفة؛ لذلك فهذا الكتاب يتميز بغزارة المادة اللغوية المبثوثة بين ثناياه، وبذلك سيتركز الجهد المبذول في هذا البحث على مدى تنوع هذه المادة اللغوية وتعددها في هذا التفسير، وكذلك محاولة البحث في مصادرها وأشكال حضورها في تفسيره للآيات والسور القرآنية، لننتهي -في الأخير-إلى تحديد منهجه اللغوي الذي اعتمده في تفسير القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق يمكن طرح التساؤلات الآتية:

[1] من باب الأمانة تجدر الإشارة إلى فكرة الاشتغال على شخصية العالم والمفسر والشيخ العلامة الإمام أحمد البسيلي، التي كان وراءها صديقي وزميلي بالجامعة الأستاذ "عبد الصمد شريفي" الذي لم يبخل علي، حين استشرته في الاشتغال على شخصية جزائرية لمعت في مجال التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وقد نصحني -مشكورا- بكتاب "التقييد الكبير" للعالم الكبير أحمد البسيلي فجزاه الله عني كل خير. كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يثيبنا عليه، ويجازينا خير الجزاء.

-من هو العالم المفسر أحمد بن محمد بن أحمد "البسيلي"؟

-ما أهمية كتابه التقييد الكبير في مجال التفسير اللغوي للقرآن الكريم؟

-ما طبيعة المادة اللغوية في كتابه؟ وما المنهج الذي سلكه في التفسير اللغوي للقرآن الكريم؟

-ما الأثر الذي تركه هذا الكتاب؟ وما مكانته ضمن الجهود التفسيرية في الجزائر؟

1ـالمبحث الأول: السيرة الذاتية والعلمية للإمام "البسيلي":

1ـ1ـنسبته، واسم شهرته:

اختلفت نسبة البَسيلي في كتب التراجم والأعلام بين نسبته إلى الجزائر وبين نسبته إلى تونس، غير أن تدقيق النظر والتحري في البحث رجح انتماءه الأول إلى الجزائر مولدا ونشأة، ثم انتقاله إلى تونس ثانيا من أجل طلب العلم ولقاء شيخه ابن عرفة. وعلى إثر ذلك تجدهم يكادون يجمعون على ترجمته وتعريفه، بأنه أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد "البسيلي" الجزائري، ثم التونسي، المالكي، الفقيه والمفسر[2]. أما بالنسبة لاسم شهرته (البَسيلي) بفتح الباء، فاختلف فيها كذلك، حيث يرى بعضهم أن الأصل هو المسيلي نسبة إلى مسيلة المدينة الجزائرية المعروفة بالعلم والعلماء، حيث حصل الإبدال بين الميم والباء، وهو ظاهرة شائعة في العربية، وبين القبائل العربية القديمة، وهذا نظرا للتقارب الموجود بين الحرفين (الباء والميم) في المخرج والصفة، ولعل مما يؤكد ذلك، ويتأسس

[2] ينظر، أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، ط1، 1992، 1/ 33. القرافي، توشيح الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص. 36. وينظر، محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه: عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، 1/ 361. وينظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، 1/ 438، وينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص. 299. وينظر أيضا، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، 1/ 103 .وينظر كذلك :عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 1/ 253.

دليلا واضحا على نسبة "البسيلي" إلى المسيلة، وبالتالي إلى الجزائر، هو توفر العديد من الأمثلة الشائعة والبارزة، ومنها مظهر الإبدال الحاصل بين الحرفين (الميم والباء) في كلمتي مكة وبكة[3]، التي تسوّغ مذهب الإبدال والقلب وترجحه.

وفي هذا الصدد يستشهد "محمد محفوظ" صاحب "تراجم المؤلفين التونسيين" بقول الباحث "سعد غراب" الذي يؤكد بأن :"الراجح أن اسمه في الأصل هو المسيلي نسبة إلى المسيلة عاصمة الزاب الشهيرة [ويضيف] هو الإبدال بين الميم والباء أمر معروف شائع في العربية، وهما حرفان شفويان متقاربان ومن أشهر أمثلة الإبدال القديمة بين هذين الحرفين أنه يقال مكة وبكة. ولا ندري متى وقع هذا الإبدال في نسبة البسيلي، هل كانت شائعة في عهد بعض اللهجات، وعلى كل فهو سمي في بعض المراجع الجزائرية المسيلي: (خاصة: تعريف الخلف وأعلام الجزائر). والتحريف -فيما يبدو لي قديم لذا لم نشأ إصلاحه"[4].

ومهما تكن درجة صحة هذا الترجيح وهذا الكلام الذي انتقده "محمد محفوظ" بشدة، بحجة أنه ينبني على الاحتمال والاجتهاد الشخصي، ويفتقد إلى المبررات المقنعة والتأسيس العلمي الدقيق[5]، وفضلا عن الردود والحجج التي ساقها "محمد الطبراني" محقق كتاب "نكت وتنبيهات في

---

[3] ينظر، أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، 1/ 34.

[4] سعد غراب، مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي، ملتقى الامام ابن عرفة، 1976، ص: 397-400. نقلا عن محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 1/ 103.

[5] عارض محمد محفوظ رأي سعد غراب ورد عليه قائلا: "ويلاحظ على كلامه أن الأنساب لا مجال للقياس والاجتهاد فيها وإن الإبدال بين الميم والباء إذا كان شائعا في اللغة الفصحى فهل هو كذلك في اللهجة الدارجة العامية ومن المعلوم أن ما هو شائع ومطرد في الفصحى لا يلزم أن يكون كذلك في اللهجة الدارجة لأن لها قواعد وخصائص في الاستعمال غير التي في الفصحى وإذا كان قد ذكر مثالا للإبدال بين الميم والباء في الفصحى فلماذا لم يذكر مثالا من ذلك في اللهجة العامية ليكون كلامه أدنى إلى القبول ومقنعا وليكون القياس بدون وجود فارق، وما نقله عن بعض المراجع الجزائرية هي مراجع حديثة وعمدتها ومعوّلها هي المصادر القديمة فإذا خالفتها فإنه ينظر إلى هذا بعين الحذر والاحتراز بل الرفض إن لم يوجد بعد البحث ما يؤيد خلافها المبني على الاجتهاد الشخصي المجرد بدون حجة ولا مستند". ينظر، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 1/ 103.

تفسير القرآن المجيد" الكتاب الثاني للبسيلي، والتي قادته في النهاية إلى الجزم بتونسيته[6]؛ فإننا لا نهتم كثيرا لأمر التسمية مادام أن التسميتين هما لنفس الشخصية؛ لذلك فضلت هذه الدراسة اعتماد تسمية "البسيلي" وهي التسمية التي اشتهر بها هذا العالم الجليل. لكننا في مقابل ذلك، وفي ظل الاختلافات المسجلة بين الباحثين، لا نخفي ذلك الغموض الذي يكتنف أصوله الأولى ونسبته الحقيقية؛ لذلك لم نشأ -كذلك- الخوض في هذا السجال، ما دام كل فريق يمتلك أدلته التي تخول له نسبته إلى الجزائر أو تونس. وبناء على ذلك فقد اتخذنا موقفا وسطا من أمر النسبة والأصل، هو ذاك الذي ورد في تعريفه وترجمته، حيث يكون "البسيلي" جزائريا باعتبار الأصل والولادة، ثم تونسيا بالنظر إلى تكوينه الثقافي ونشأته العلمية. ولعل هذا الموقف الوسط سينصب دليلا كافيا يبرر موضوع اختيار الاشتغال على البسيسلي -وقد تنازعته الجزائر وتونس- ضمن هذا الاستكتاب الجماعي الخاص بأعلام التفسير في الجزائر.

1.2.تاريخ مولده ووفاته:

لم نعثر -في حدود اطلاعنا- على تاريخ مولده، فمعظم الكتب التي ترجمت له وعرفت به، اكتفت بالإشارة إلى تاريخ انتقاله إلى تونس، وكان ذلك حوالي سنة 785هجرية[7] من أجل الحضور عند شيخه ابن عرفة والأخذ عنه، والتتلمذ على يديه. أما بالنسبة لتاريخ وفاته فيجمع معظم مترجميه بأن وفاته كانت سنة 830 هجرية بعد مسيرة حافلة بالعلم والتعليم وتأليف الكتب.

[6] أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تقديم وتحقيق: محمد الطّبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، 1/ 65.

[7] ذكرت بعض المصادر أن حضور البسيلي عند ابن عرفة كان سنة 783 هجرية بينما يذكر التنبكتي أن ذلك كان سنة 785 هجرية، وعلى هذا الأساس لم نجزم بتاريخ محدد وجعلنا المسألة تقريبية، وقدرناها بحوالي 785. (ينظر، أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، 1/ 109).

3.1ـشيوخه وأهم مؤلفاته:

تلقف "البسيلي" العلم وتتلمذ على يد العديد من العلماء والمشايخ، من أبرزهم شيخه الأول ابن عرفة الورغمي(716-803ه) الذي أثر فيه تأثيرا عجيبا وظهر ذلك جليا في تآليفه، حيث يعد كتاباه في التفسير "التقييد الكبير" و"التقييد الصغير"* جمعا وتقييدا للدروس التي جمعته به. وقد جاءت الإشارة إلى هذا التتلمذ واضحة في الكتابين؛ حيث يقول في مستهل "التقييد الكبير": "هذا تفسير على كتاب الله المجيد، قصدت منه جمع ما تيسر حفظه، وتقييده من مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى مما كان بيديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس زيادة على كلام المفسرين وغيرهم وأضفت إلى ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير مع ما منح به الخاطر هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد..."[8]. ومما يؤكد ذلك قوله عنه: "ومما رأيت من بركته، أني كنت أجلس قبالته بمجلس تدريسه، فربما تكلم معي بما يقع في خاطري"[9]،وكذلك قوله: "وهذه الأسئلة وأجوبتها، وأمثالها مما ذكرنا في كتابنا هذا هو مما كان يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة رحمه الله، أو بينه، وبينهم، وذلك مما يدلك على علو مرتبته،

* يفضل الأستاذ الباحث والمحقق "محمد الطبراني" إطلاق تسمية "نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد" على كتاب التقييد الصغير، وهي التسمية التي اشتهر بها كونه اختصارا لكتاب التقييد الكبير، الذي له قصة مشهورة كانت سببا في اختصاره. ومن جملة الأسباب التي ساقها "الطبراني" ودفعته إلى اعتماد هذه التسمية، ما أورده في تحقيقه للكتاب، حيث يقول: "وعذيري في تسمية الكتاب بـــ"نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد"، أمور ثلاثة: الأول أنها تسمية مأخوذة عن كلام المؤلف في ناصية الكتاب: "قصدت في هذا التقييد جمع نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد"، والثانية أن هذا العنوان ورد هكذا في مخطوطتين للكتاب: ن خ ع ق 271 و ن الزاوية الحمزية رقم 693. الثالث، أنها التسمية الأكثر إعرابا عن مضمون الكتاب ومادته، ناهيك أن وصف الكتاب بالتقييد، يغض من شأنه؛ إذ عهد الباحثون أن التقاييد لا تتخذ شكل التأليف المنهجي المستقل، ووقر عندهم أنها إلى التعليقات العابرة أقرب، وبالكناشات المدرسية أشبه، والله أعلم". أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تقديم وتحقيق: محمد الطّبراني، 1/ 125.

[8] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، 1/ 199، 200.

[9] أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تقديم وتحقيق: محمد الطّبراني، 2/ 16.

وعظم منفعته.؛ ولذلك كان حذاق الطلبة يفضلونه على غير من مجالس التدريس"[10]. ومن شيوخه كذلك، أبو العباس أحمد البطرني (703-793ه)، والعلامة عبد الرحمن بن خلدون (732-808ه) والشيخ أبو مهدي عيسى الغُبريني (ت815ه)، والشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي الشهير بابن القصّار... وغيرهم[11].

وفي مجال التأليف[12]، فقد خلف "البسيلي" إرثا طيبا، منها تفسيره للقرآن الكريم، الذي نحن بصدد دراسته، والذي اشتهر بتسمية "التقييد الكبير"، وكتاب "التقييد الصغير" الذي يمتلك تسمية أخرى-كما رأينا- هي "نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد"، والذي يعد اختصارا لكتابه التقييد الكبير، وله في الفقه المالكي كتاب "محاذي المختصر الفقهي لابن عرفة ومختصره"، وهو -كما هو ظاهر من عنوانه- كتاب مختصر حاذى فيه صنيع شيخه "ابن عرفة"، وهدفه من وراء ذلك، كما يتضح من مقدمة الكتاب، من خلال قوله: "فإنّي وضعت تأليفا في الفقه المالكي، حاذيت به مختصر شيخنا الإمام أبي عبد الله محمد بن عرفة، مبينا لمعانيه، موضحا لقواعده ومبانيه، لأقواله موجها، وعلى ما لا عاصم للبشر منه، منتبذا فضول الكلام في ذلك، على ما تحويه مجلدات كثيرة، يقصر عنها العجز البشري، ويمنع من استيفائها الشغل الدنيوي، فاختصرت من ذلك ما قيدته في هذا المجموع"[13].وله شروحات متنوعة، منها: "شرح على المدونة"، و"شرح على الخزرجية في العروض"، و"شرح على جمل الخونجي في المنطق".

[10] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، 2/ 551، 552.

[11] ينظر، أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، 1/ 74. وينظر، أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، 1/ 38. وينظر، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 1/ 104.

[12] ينظر تفصيل هذه المؤلفات ضمن كتاب أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تقديم وتحقيق: محمد الطّبراني، 1/ 108.

[13] ينظر، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 1/ 104، 105. وينظر، ينظر، أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، ط1، 1992، 1/ 45، 46، 47.

2ـ المبحث الثاني: المادة اللغوية في كتاب تفسير التقييد الكبير:

1.2ـ كتاب التقييد الكبير وقصة اختصاره:

إذا كان "البسيلي" قد قدم إلى تونس سنة 785هجرية حسب بعض الروايات، وحضر مجالس شيخه ابن عرفة في التفسير، وأطال المكوث عنده، إلى أن وافته المنية سنة 803ه، وهذه المدة المقدرة بحوالي عشرين سنة، تعد كفيلة بتحصيل وجمع تلك المادة العلمية في التفسير التي حواها "التقييد الكبير"، وبهذا يكون "البسيلي" قد عول كثيرا على مسوّداته وصحائفه التي خطتها يده، وعلى ما علق بذاكرته من دروس شيخه في تأليف تفسيره، واستمر على هذه الحال بعد وفاة شيخه، ينقح ويجتهد ويضيف حتى انتهى من تأليفه.

أما قصة اختصاره فيسردها علينا "التنبكتي" في كفايته[14]، وهي أن الأمير الفقيه محمدا بن أحمد الحفصي المعروف بالحسين بن السلطان أبي العباس، لما علم بانتهاء "البسيلي" من تأليف "التقييد الكبير" أرسل إليه يطلبه منه، لكنه تردد وتماطل في إجابته، إلى أن التمس منه الجد والإصرار في الحصول عليه، عندما أمر رسله الذين أرسلهم بأن لا يفارقوه حتى يسلمه لهم، فما كان من "البسيلي" إلا أن أخذ منه جزءا كبيرا من سورة الرعد إلى الكهف، وسلمهم الجزء المتبقي، ولما توفي الأمير–المذكور آنفا– بيع الكتاب في تركته، وانتقل به صاحبه الذي اشتراه إلى السودان؛ لذلك اشتهرت نسخته الأصلية الموجودة بنسخة السودان.

2.2ـ مصادر المادة اللغوية في تفسير التقييد الكبير:

تعددت المصادر اللغوية التي استمد منها "البسيلي" وتنوعت في تفسيره للقرآن الكريم، هذا وإن كانت المادة العلمية واللغوية التي قيدها وجمعها في الكتاب تعزى نسبة كبيرة منها، إن لم نقل جلها إلى شيخه "ابن عرفة" حسب التصريح الذي ورد منه في مقدمة الكتاب: "هذا تفسير على كتاب الله المجيد، قصدت منه جمع ما تيسر حفظه، وتقييده من مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن

---

[14] ينظر، أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، 1/ 108، 109. وينظر، أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، 1/ 128.

عرفة رحمه الله تعالى"[15]. لكن ذلك لم يمنع "البسيلي" من العودة إلى كتب ومؤلفات المفسرين واللغويين القدامى، من أجل توسيع معارفه بالإضافة والزيادة على كلام شيخه من الفوائد والنكت والتنبيهات في التفسير واللغة والنحو والبلاغة، وهو ما أشار إليه في المقدمة -كذلك- بقوله: "...زيادة على كلام المفسرين وغيرهم وأضفت إلى ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير مع ما منح به الخاطر هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد..."[16].

من هذا المنطلق نجد "البسيلي" يستشهد بآراء المفسرين اللغويين، وينقل أقوالهم، ويستحضرها في إيضاح المسائل التفسيرية المتعلقة باللغة والنحو والبلاغة وشرحها. ومن أهم هذه المصادر التي أفاد منها "البسيلي" بشكل كبير، نذكر في مجال التفسير كتب: "تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري[17]، و"تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية[18]، و"التفسير الكبير ومفاتح الغيب" للفخر الرازي[19]، و"تفسير البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي[20]، و"تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري[21]، و"تفسير الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي[22]. وفي مجال اللغة والنحو نذكر: "الكتاب" لسيبويه[23]، و"سر صناعة

[15] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، 1/ 199.

[16] المرجع نفسه، 1/ 199، 200.

[17] الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

[18] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001.

[19] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

[20] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

[21] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994.

[22] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

[23] سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

الإعراب" لابن جني[24]، و"التسهيل" لابن مالك النحوي الأندلسي[25]، و"المصباح" لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم[26]، و"مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاري النحوي المصري[27]. أما في ميدان البلاغة نذكر: "مفتاح العلوم" للسكاكي[28]، و"دلائل الإعجاز" للجرجاني[29]...إلخ.

ومن أمثلة هذا الاستشهاد والنقل نذكر على سبيل التمثيل، ما نقله عن الزمخشري في سبب جمع الظلمات وإفراد النور في قوله تعالى:{الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)}. الأنعام/ 1.فأجاب: بأن الظلمات كثيرة مختلطة، والنور واحد[30]. وينقل عنه أيضا، عند تفسيره لقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ} البقرة/ 222.قوله:"فإن قلت: ما بال {يسألونك} جاء بغير واو ثلاث مرات، ثم مع الواو ثلاثا؟ قلت: كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأوّل وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع لذلك، كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق. والسؤال عن كذا وكذا"[31].

---

[24] ابن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993.

[25] ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح، محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، 1967.

[26] بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح، حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ط1، 1989.

[27] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وخرج شواهده، مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1964.

[28] السكاكي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

[29] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

[30] ينظر، الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص. 318.

[31] المرحع نفسه، ص. 130.

ومما استدل به من أقوال ابن عطية نذكر تفسيره لقوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا}في سورة آل عمران، الآية 139، حيث قال: "قال ابن عطية: هو من وهن، ومن كلامهم المؤمن هين ليّن"[32]. لكنه عند العودة إلى الأصل نجده يتصرف في كلامه، ويروي عنه بالمعنى، في تفسيره لمعنى (تهنوا)، وفي هذا السياق يقول ابن عطية: "والوهن: الضعف، واللين والبلى، ومنه: {وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} مريم/ 4. ومنه قول زهير: فأصبح الحبل منها واهنا خلقا. ومن كرم الخلق ألا يهن الإنسان في حربه وخصامه، ولا يلين إذا كان محقا، وأن يتقصى جميع قدرته ولا يضرع ولو مات، وإنما يحسن اللين في السلم والرضى، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن هين لين، والمؤمنون هينون لينون)...وأما قولهم إذا عز أخوك فهن، فالرواية الصحيحة المعنى فيه بكسر الهاء بمعنى: واضعف ضعف المطواع، وأما الرواية بضم الهاء فهي أمر بالهوان..."[33].

ويكثر نقله واستشهاداته عن أبي حيان، ومن ذلك تعريفه لعلم التفسير انطلاقا من كلامه في البحر المحيط. يقول "البسيلي" في مقدمة "التقييد الكبير": "قال الشيخ أبو حيان في تفسيره بالمجرد: التفسير لغة: الاستبانة قاله ابن دريد. واصطلاحا: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتميمات لذلك. فقولنا: علم: جنس لسائر العلوم. وقولنا: يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن: هو علم القراءات. وقولنا: ومدلولاتها: هو علم اللغة. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان. وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب: يشمل ما دلالة التركيب عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي

[32] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، 2/ 570.

[33] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 1/ 513.

بظاهره شيئا، ويمنع من الحمل على ذلك الظاهر مانع فيحمل على غير ظاهره، وهو المجاز. وقولنا: وتتميات لذلك: هو مثل: معرفة الناسخ، وسبب النزول، وذكر القصة، ونحو ذلك"[34].

أما نقولاته عن أئمة اللغة والنحو والبلاغة، فنجده كثيرا ما يستدل بأقوال سيبويه وابن هشام وابن مالك وعبد القاهر الجرجاني، ومن ذلك استحضاره لقول سيبويه في تفسيره للبسملة: "قول سيبيويه: الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء"[35].ومن ذلك استدلاله بقول ابن هشام في الوقف على {رَيْب} في بداية سورة البقرة. يقول: "{لاَ رَيْبَ فِيهِ}. ابن هشام المصري: قول بعضهم: الوقف على {رَيْب}، يرده قوله تعالى في سورة السجدة {لاَ رَيْبَ فيهِ مِنْ رَبِّ العالَمِين}"[36]. وكذلك استشهاده بقوله في إعراب {كأيّن} في تفسير الآية 146 من سورة آل عمران: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}. يقول "ابن هشام المصري {كَأَيّن}: اسم مركب من كاف التشبيه وأيٍّ المنونة، ولذا جاز الوقف عليها بالنون؛ لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية؛ وكذا رسم في المصحف نونا، ومن وقف حذفه اعتبر حكمه في الأصل، وهو الحذف والوقف. وتوافق "كأي"، "كم" في خمسة أمور: الإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير، وإفادة التكثير تارة وهو الغالب نحو: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}، والاستفهام أخرى، وهو نادر، ولم يثبته إلا ابن قتيبة، وابن عصفور، وابن مالك، واستدل عليه بقول أبي بن كعب؛ لابن مسعود رضي الله عنهما: "كأي تقرأ سورة الاحزاب آية"؟. فقال: "ثلاثا وسبعين". وتخالفها في خمسة أمور: أنها مركبة، وكم بسيطة على الصحيح خلافا لمن زعم أنها مركبة من الكاف، و"ما" الاستفهامية ثم حذفت ألفها؛ لدخول الجار، وسكنت ميمها؛ للتخفيف؛ لثقل الكلمة بالتركيب. وكون مميزها مجرورا بـــــ "من" غالبا حتى زعم ابن عصفور لزوم ذلك.

---

[34] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير، 1/ 200، 201. وينظر، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، ماهر حبوش، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط1، 2015، 1/ 35، 36 (مقدمة المصنف).

[35] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير، 1/ 227. وينظر، سيبويه، الكتاب، 1/ 12.

[36] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير، 1/ 250. وينظر، ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 2/ 657.

ويرده قول سيبويه: "وكأي رجلا قد رأيت" زعم ذلك يونس إلا أن أكثر العرب لا يتكلمون به إلا مع "من". وكونها لا تقع استفهامية عند الجمهور. وقد مضى. ولا تقع مجرورة خلافا لابن قتيبة، وابن عصفور أجازا بـــ "كأيِّن تبيع هذا الثوب"؟. وأن خبرها لا يقع مفردا"[37].

3.2ـ توجهه اللغوي في التفسير، وغزارة المادة اللغوية وتنوعها في الكتاب:

أبان "البسيلي" عن توجهه الواضح، ومنهجه اللغوي في مقدمة تفسيره، مبينا الأدوات المنهجية والمفاتيح الأساسية التي يحتاجها المفسر ويعول عليها كثيرا في اقتحام هذا المجال وولوج عوالمه، وهي ضرورة إلمامه بعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، فضلا عن معرفته بكلام العرب وبالقراءات القرآنية المختلفة، ومما يؤكد توجهه اللغوي في "التقييد الكبير" إشارته إلى الأوجه التي ينبغي مراعاتها لدى الإقبال على تفسير كتاب الله تعالى، وقد دفعه ذلك إليتبنى كلام "أبي حيان" في ضبط هذه الأوجه المتعلقة بالنظر في تفسير كلام المولى عز وجل، والتي يشترط توفرها في المفسر. ومن هذه الأوجه ما يتعلق بعلوم العربية، وهي كالآتي[38]:

-**الوجه الأول:** علم اللغة اسما وفعلا وحرفا، فالحروف لقلتها تكلم عن معانيها النحاة، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال، فتؤخذ من كتب اللغة.

-**الوجه الثاني:** معرفة أحكام اللغة للكلمة العربية من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو.

-**الوجه الثالث:** معرفة كون بعض الألفاظ أو بعض التراكيب أحسن، وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان.

---

[37] أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير، 2/ 579، 580. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 1/ 203، 204.

[38] البسيلي، المصدر السابق، ص. 201، 202. وينظر، وينظر، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، ماهر حبوش، 1/ 12 وما بعدها (مقدمة المصنف).

-**الوجه الرابع:** معرفة الإجمال، والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر، والنهي، وما أشبه ذلك، ويختص أكثر هذا الوجه بأحكام القرآن، ويؤخذ من أصول الفقه، ومعظمه يؤخذ في الحقيقة من علم اللغة إذ الكلام على أوضاع العرب لكن تكلم فيه غير اللغويين، والنحويين، ومزجوه بأشياء من وجوه حجج العقول.

-**الوجه الخامس:** اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ أو ما يتواتر أو آحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات.

أما بالنسبة للمادة اللغوية في الكتاب فقد كانت غزيرة ومتنوعة، لذلك تصعب الإحاطة بها في هذه الدراسة، لكن ذلك لم يمنع من تمييزها والكشف عن مدى تنوعها، واستحواذها على حيز كبير من هذا التفسير الذي يمكن تصنيفه في خانة التفاسير اللغوية بامتياز.

من هذا المنطلق قاد النظر، ومعاينة المادة اللغوية في الكتاب، وكذا تتبع مختلف أبوابها وقضاياها إلى أخذ تصور عام عن التوجه اللغوي في هذا الكتاب، ومحاولة استعراض الخطوط العريضة للمنهج اللغوي الذي سلكه "البسيلي" في تفسيره لكتاب الله عز وجل. وفيما يلي يمكن استعراض أهم الخطوات المنهجية التي شكلت طريقا واضحا، وملمحا عاما ميّز "البسيلي" في تعامله مع الآية القرآنية، ورافقه على طول صفحات تفسيره:

1ـ الوقوف على معاني المفردات القرآنية وتحديد أصلها الاشتقاقي وميزانها التصريفي:

بدت هذه الخاصية بشكل واضح في تفسير "البسيلي"؛ لأنه وجد ضالته في تحديد معاني الآيات القرآنية، وإدراك مدلولاتها المتنوعة المتوارية خلف التراكيب اللغوية ومختلف الأسيقة القرآنية؛ لذلك تجده يقف أولا على معاني المفردات والكلمات، والبحث عن أصلها الاشتقاقي، وميزانها التصريفي، وجذرها اللغوي الذي تنحدر منه، فمثلا عند تفسيره للآية 231 من سورة البقرة،

يقول: "{فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} أي: قاربن بلوغه"[39]. وفي معنى {إلحافا} في قوله تعالى من سورة البقرة الآية: 273:{لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافا}، يقول: "و(إلحاف) مصدر أي: يلحفون إلحافا أي: يبالغون في شدة صبرهم، وتجلدهم على الفقر"[40]. وفي الآية 233 من السورة نفسها {وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ..} يقول: "...قيل: {الوَالِدَاتُ} جمع سلامة محلى بالألف واللام، فيفيد العموم والكثرة، و{أَوْلاد} جمع قلة، وإذا كان {الوَالِدَاتُ} كثيرات فأولادهن كذلك، فكيف تفهم الآية؟ أجيب: بأن جمع القلة وضع موضع جمع الكثرة...وقال: {والوَالِدَاتُ} ولم يقل: والنساء!. إشعارا بالوصف المناسب للحكم. وكذا قوله : {وَعَلى المَولُودِ لَهُ} . ولم يقل على الأب. وقال: {فِصَالاً} أي: فطاما"[41].

وأجاب عند تفسيره لقوله تعالى في الآية 187 من سورة آل عمران {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ}، قائلا: "المراد بالظهر مقابل الأمام فهم نبذوه وراء ورائهم مبالغة في النبذ"[42]. كما نجده في تحديده لوزن كلمة التابوت في قوله تعالى في سورة البقرة: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (248)}، يستدل بجواب الزمخشري حول سؤاله عن وزن التابوت. يقول الزمخشري: "فإن قلت ما وزن {التابوت}؟ قلت: لا يخلو أن يكون فعلوتا أو فاعولا، فلا يكون فاعولا لقلته نحو: سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف، فلا يجوز ترك المعروف إليه، فهو إذا فعلوت من التوب وهو الرجوع"[43]. ويضيف "البسيلي" على قول الزمخشري شارحا وموضحا أنه أراد "إذا كان فاعولا تكون التاء أصلية، ويلزم فيه أن تكون فاء الكلمة، ولامها حرفا واحدا كما في "سلس"، و"قلق" ويلزم عليه اجتماع المثلين، وهو قبيح في علم التصريف، لأنه أوله تاء، وآخره

[39] البسيلي، المصدر السابق،1/ 316.

[40] المصدر نفسه، 1/ 348.

[41] المصدر نفسه،1/ 316، 318.

[42] المصدر نفسه، 2/ 608.

[43] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص. 142.

تاء، وإذا كان على وزن "فعلوت" تكون تاؤه زائدة؛ لأنها ليست في موضع الفاء ولا العين، ولا اللام فهي زائدة فلهذا كان "فعلوت" أحسن"[44]. وهكذا يتجلى مدى عناية "البسيلي" بالمفردة القرآنية من خلال وقوفه على معانيها اللغوية، وتحديده لأصلها الاشتقاقي وميزانها التصريفي.

2ـ وقوفه على مختلف الأوجه المتعددة للإعراب في الآية القرآنية:

الإعراب سمة بارزة في الكتاب، وقد اعتنى به المفسر أيّما عناية؛ لأنه يقود إلى إدراك المعاني القرآنية، واستنباط الأحكام التفسيرية والعقدية والفقهية، فضلا عن الثراء الدلالي والتنوع اللغوي الذي يمنحه تعدد هذه الوجوه الإعرابية، وبهذا فقد شكل تنوع هذه الوجوه وتعددها ظاهرة لافتة في "التقييد الكبير" يمكن التمثيل لها ببعض الأمثلة المتنوعة، ومنها:

يذكر "البسيلي" عند تفسيره للآية 30 من سورة البقرة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} أن الله عز وجل "قدم المجرور هنا، وأخره في سورة (ص) {إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} الآية: 26، وذلك لوجهين: الأول أن أحد أسباب التقدم "الشرف". وكان آدم حينئذ معدوما، والأرض موجودة، والموجود أشرف من العدم، والمخاطب في سورة ص داود عليه السلام، وهو أشرف من الأرض ضرورة. الثاني: أن هذه الآية خرجت مخرج الاعتناء بالأرض بجعل الخليفة فيها؛ لإزالة الفساد عنها، وآية ص في معرض التشريف؛ لداود فقدم فيها ما يقتضي التشريف، وهو الخلافة"[45].

وذكر في تفسيره للآية 13 من سورة آل عمران {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ} بعض الأوجه الإعرابية، والتخريجات النحوية، اعتمد عليها في إجراء تأويلاته وفي إيجاد الأجوبة الشافية لأسئلته الافتراضية، حيث يقول: "في الآية سؤالان: الأول: أن المطابقة في كلام العرب معتبرة، وهو نوع من أنواع البديع فالأصل أن يقال: فئة تقاتل في سبيل الله،

[44] البسيلي، المصدر السابق، 1/ 322.

[45] المصدر نفسه، ص. 259.

[وأخرى تقاتل في سبيل] الطاغوت، أو فئة مؤمنة، وأخرى كافرة، فلا بد في العدول عن هذا من حكمة. وما هي؟ وجوابه: أنه لو قيل: فئة مؤمنة لما لزم أن يكون قتالها في سبيل الله، وقوله: {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ} مستلزم للإيمان، والجهاد، ولو قال: وأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت لما أفاد أنها كافرة إذ لعلها مؤمنة، وقصدت العدوان، والظلم، فلما قال: كافرة استلزم القتال بدلالة قوله: {الْتَقَتَا} فاستلزم استصحاب الكفر. السؤال الثاني: لمَ عبر في الأول بـــ"الفعل" وفي الثاني بـــ"الاسم" وهلا قيل: فئة مقاتلة في سبيل الله، وأخرى كافرة، أو فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى تكفر!؟. والجواب من وجهين: الأول: أن القتال أمر فعلي متجدد فناسب التعبير عنه بالفعل المضارع، والكفر أمر اعتقادي قلبي فهو ثابت، فناسب التعبير عنه بالاسم المقتضي؛ للثبوت. الثاني: أن في الآية حذف التقابل أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، و"أخرى" كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت"[46].

وفي هذا السياق كذلك نجده يعلل استعمال الله عز وجل للماضي والمضارع في الآيتين 15 و16 من سورة آل عمران،{قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16)}. إذ يقول: "فإن قلت: لمَ عبر عن قولهم بالمضارع فقال: {الَّذِينَ يَقُولُونَ} وقال: وقيل: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} بلفظ الماضي؟. فالجواب: أن المطلوب تحصيل التقوى فأتى بها بصيغة المضي إشعارا بتأكد الأمر بها، والمبادرة إلى فعلها كأنها واقعة. والدعاء المطلوب أسند: لأمته لكثرة الذنوب فهو مأمور بتكرر الاستغفار منها في كل وقت. وأيضا فالإيمان وقع منهم في الماضي لقولهم: {آمَنَا}، ونقول التقوى هي تفسير الإيمان"[47].

---

[46] المصدر نفسه، 2/ 463، 464.

[47] المصدر نفسه، 2/ 472.

ومن ترجيحاته في هذا الباب نذكر مخالفته لأبي حيان عند تفسيره للآية 153 من سورة آل عمران {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)}. فإذا كان أبو حيان قد ضعف كون العامل {إذ} اذكر مقدر، بأن اذكر مستقبل و{إذ تصعدون} ماضٍ[48]!. فإن "البسيلي" يجيب عن ذلك مرجحا، بمسألتين[49]:

الأولى: أنه عامل فيه عمل الفعل في المفعول به لا عمله في الظرف.

الثانية: أنه عامل فيما يتعلق به أي: اذكر حالكم {إِذْ تُصْعِدُونَ}.

ومن الأوجه الإعرابية والتخريجات النحوية التي ذكرها عند تفسيره للآية 23 من سورة آل عمران: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ}.يقول: "{وَهُم مُّعْرِضُونَ}. إما أن المراد: وحالهم، وشأنهم الإعراض بدليل إتيانه بلفظ الاسم، والأول بلفظ الفعل، أو المراد: أنهم يتولون عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعرضون عن الإيمان". ثم يشرع بعد ذلك في استعراض الأوجه الإعرابية المحتملة[50]:

أقوال ابن هشام المصري: عطف الجملة الاسمية على الفعلية، وبالعكس فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: الجواز مطلقا، وهو المفهوم من قول النحويين في باب الاشتغال في مثل: "قام زيد وعمرو أكرمته" إن نصب "عمرو" أرجح؛ لأن تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما.

الثاني: المنع مطلقا حكى ابن جني، ويلزم إيجاب النصب في مسألة الاشتغال السابقة إلا أن تجعل الواو للاستئناف.

---

[48] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 6/ 208، 209.

[49] البسيلي، المصدر السابق، 2/ 582.

[50] المصدر نفسه، 2/ 487، 488.

الثالث: لأبي علي يجوز في الواو فقط نقله عنه أبو الفتح في "سر الصناعة"، وبنى عليه منع كون الفاء في "خرجت فإذا الأسد حاضر" عاطفة.

وعلى هذا الأساس، فقد شكل الحضور القوي للإعراب مبحثا مهما في الكتاب يمكن أن ينهض -لوحده- موضوعا مستقلا للبحث، ولعل هذه الميزة راجعة بالأساس إلى ارتكاز "البسيلي" الواضح على الإعراب، وعلى استحضار مختلف الأوجه الإعرابية للآية الواحدة، وكل ذلك أسعفه في تحديد معاني الكلمات، وفي الوصول إلى تفسير الآيات القرآنية.

3. توضيح الفروقات اللغوية والدلالية بين الكلمات، وبيان دقة استعمال الألفاظ القرآنية:

اهتم "البسيلي" بتوضيح الفروقات اللغوية والدلالية بين الكلمات القرآنية في تفسيره، فكثيرا ما تجده يذكر المفردة اللغوية في الآية التي هو بصدد تفسيرها، ويستحضر في مقابلها استعمالات ومفردات أخرى في آيات وسور أخرى -كذلك- من القرآن الكريم، هي من قبيل الألفاظ المرادفة لها أو القريبة من معناها، كما أنه كثيرا ما يعبر متسائلا عن سبب اختيار الله عز وجل لهذه المفردة بدل الأخرى، ولماذا وردت هذه الكلمة في هذا المقام مفردة وجمعا في مقام آخر، أو العكس، وفي كل هذه الحالات كان يجيب انطلاقا من اجتهاداته وتأويلاته اللغوية، أو من خلال أقوال مشايخه وسابقيه، وكل ذلك بهدف إبراز دقة المفردة القرآنية، وأن كل كلمة جاءت بدقة متناهية خدمة لمعنى خاص وتأدية لوظيفة معينة داخل السياق القرآني. ومن أمثلة ذلك إبانته للفرق بين "أوتي" و"أنزل" في قوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)}. يقول: "عبر أولا: بـــ"الإنزال"، وثانيا: بـــ"الإيتاء"؛ لأن معجزة

من ذكر معه الإنزال معظمها الوحي، ومن ذكر معه الإيتاء ما ظهر على يديه من المعجزات الفعلية"[51].

وعند تفسيره للآية 286 من سورة البقرة يذكر الفرق بين كسب واكتسب: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ (286)}، حيث يقول: "...وذكر ابن عطية، والزمخشري وجه المغايرة بين فعلي {كسب} و{اكتسب}، وهما متقاربان، وتقرُّرُ ما قال ابن عطية: أن المكلف بفعل الطاعات مستحضر؛ للثواب عليها. فيسهل عليه أمرها من غير تكلف طبيعي فلا وازع له عن فعلها، وفاعل المعصية يستحضر العقوبة عليها في الدار الآخرة، وشهوته تحمله عليها، وتكلفه فعلها، وتوجب معاندته، ومدافعته، للوازع الديني...[وأما الزمخشري فيرى] أن الشر مما تشتهيه النفوس، وتأمر به فهي في تحصيله أعمل، وأقوى اجتهادا، فجعلت مكتسبة، ولما لم تكن كذلك في الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الفعل، والتكلف...[ويضيف ما حكاه ابن الخمي عن الزجاج] أنه يقال: جزيته في الخير، وجازيته في الشر. فيستعمل فعل الزيادة في الشر، وفعل النقص في الخير، ومنه {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} استعمل الفعل الذي فيه الزيادة في الشر، والذي لا زيادة فيه في الخير"[52]. وبهذا يتضح أن "البسيلي" يفرق بين معنى كسب الذي يستعمل في الخير، وبين معنى اكتسب الذي يستعمل في الشر.

ومن الفروقات اللغوية التي ذكرها، الفرق بين مجيء كلمة معدودات بالجمع في الآية 24 من سورة آل عمران: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24) }، وبين مجيئها مفردة في الآية 80 من سورة البقرة: {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)}؛ إذ يقول: "فالجمع بناء على أن كل يوم موصوف بكونه معدودا، والإفراد بناء على أن المعدود

[51] المصدر نفسه، 1/ 277.

[52] المصدر نفسه، 1/ 427، 428، 429.

مجموعها، لا يقال: يلزم على هذا كون الواحد معدودا وهو ليس بعدد؛ لأن ذلك في اصطلاح أهل الحساب، وما مرادنا إلا أنه كقوله تعالى: {وشروه بثمن بخس دراهم معدودة} يوسف/ 20. بالإفراد إشارة إلى أن تلك الأيام قليلة، والجمع إشارة إلى أن كل يوم منها في نفسه موصوف بالقلة، والقصر فهو أبلغ من وصف جميعها بالقلة، وأشار إليه الزمخشري في سورة البقرة[53]، وأيضا فاليوم، وإن كان واحدا باعتبار وصف اليومية فهو متكثر متعدد باعتبار أزمنته، وساعاته"[54].

وقد ذكر الرازي في تفسيره كلاما تفصيليا لهذه المسألة، في أثناء تفسيره لقوله تعالى: {إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} من سورة البقرة/ 80، نكتفي بذكر ما يناسب المقام، وهو الفرق بين {مَعْدُودَةً} في البقرة و{مَعْدُودَات} في آل عمران. يقول: "ذكر ههنا (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة). وفي آل عمران (إلا أياما معدودات) ولقائل أن يقول لم كانت الأولى معدودة والثانية معدودات والموصوف في المكانين موصوف واحد وهو "أياما" ؟ والجواب أن الاسم [إن] كان مذكرا فالأصل في صفة جمعه التاء يقال كوز وكيزان مكسورة وثياب مقطوعة وإن كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يقال جرة وجرار مكسورات وخابية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نادرا نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبطرات وعلى هذا ورد قوله تعالى (فى أيام معدودات) و(فى أيام معلومات) فالله تعالى تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله (أياما معدودة) وفي آل عمران بما هو الفرع"[55].

وذكر السيوطي في إتقانه لدى حديثه عن النوع الثالث والستين الذي خصصه للآيات المشتبهات: "قوله تعالى: {وقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً}[البقرة:80]. وفي آل عمران

---

[53] يعلق الزمخشري عن معنى معدودة بالإفراد في سورة البقرة بقوله: "{إلا أياما معدودة} أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل". وهي في نظره قليلة؛ لذلك ناسبها استعمال لفظة معدودة بالإفراد. الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1/ 84.

[54] البسيلي، المصدر السابق، 2/ 490.

[55] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، 3/ 152، 153.

{مَعْدُودَات}[24]. قال ابن جماعة: لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود إحداهما قالت: إنما نعذَّب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا، والأخرى قالت: إنما نعذب أربعين، عدة أيام عبادة آبائهم العجل. فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة"[56].

أما الدكتور فاضل صالح السامرائي، وهو من المعاصرين فقد بسط القول في هذه النكتة اللغوية، في أكثر من موضع من كتبه، حيث ذكر في كتابه "التعبير القرآني"، بعدما استحضر الآيتين من سورتي البقرة وآل عمران، أن الله عز وجل: "قال مرة (معدودة) ومرة أخرى: (معدودات) مع أن القصة واحدة. والحقيقة أن السياق في الموضعين مختلف. وإيضاح ذلك أن المفرد المؤنث إذا وقع صفة للجمع دل على أن الموصوف أكثر منه، إذا كانت صفته جمعا سالما، فإنك إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقة) دل ذلك على أن عندكم جبالا كثيرة بخلاف ما إذا قلت: (في بلدنا جبال شاهقات) فإنه يدل على القلة. والأنهار في قولك: (أنهار جارية) أكثر منها في: (أنهار جاريات) وعلى هذا فالأيام المعدودة أكثر من الأيام المعدودات وسبب ذلك أن المقامين مختلفان. أما الأولى فالكلام فيها على بني إسرائيل وقد أكثر من الكلام عليهم وفي صفاتهم السيئة فذكر أنهم يحرفون كلام الله وهم يعلمون. قال الله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(76)}[البقرة]. فهم يعرفون جرمهم ويقرون به ويعملون به عن قصد وإصرار وقد توعدهم الله بالعذاب الشديد فقال: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (79)}[البقرة].إذن فهم يعملون بالجرم عن قصد ويحرفونه عن علم ليشتروا به ثمنا قليلا. وإذن فهم يعلمون أن الله معاقبهم على هذا

[56] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، ط1، 2008، ص. 643.

الجرم فقالوا: (إلا أياما معدودة) فجاء بصيغة الكثرة. وليس الأمر كذلك في آية آل عمران فقد قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (23) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24)}. فليس في آية آل عمران مثل الجرم المذكور في سورة البقرة من ارتكاب الذنب العمد وتحريف كلام الله، ففرق كبير بين المقامين. فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل فقال (معدودات) بصيغة جمع القلة في آل عمران، بخلاف آية البقرة فسبحان الله رب العالمين"[57].

وفي هذا السياق -كذاك- برع "البسيلي" في الكشف عن بعض اللطائف القرآنية عند تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)}، حيث وقف على بعض النفائس اللغوية والاختيارات الدقيقة التي يتفرد بها التعبير القرآني على طريقته المخصوصة والمعتادة دائما، وهي طرح السؤال، ثم الإجابة عنه بعد ذلك. يقول في تفسير هذه الآية: "فيه أسئلة الأول: لم قال: {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. ولم يقل: وما كان مشركا، كما قال: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا} أو يقول: وما كان من اليهود، ولا من النصارى كما قال {مِنَ الْمُشْرِكِينَ} !؟. وجوابه: أن اليهودية، والنصرانية طريق واحد؛ لأن لهما كتابا يرجعان إليه، وطرق الشرك كثيرة متشعبة لا تنحصر، فناسب الجمع وهو جواب الزمخشري في قوله تعالى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ..}[الأنعام:1]، قال: لم جمع {الظُّلُمَات}، وأفرد {النُّور}؟. فأجاب: بأن الظلمات كثيرة مختلطة، والنور واحد. الثاني: المناسب أن يقال: ما كان يهوديا أو نصرانيا وما كان من المشركين، ولكن كان حنفيا مسلما، فيذكر النفي مع النفي ثم يثبت!. وأجيب بوجهين: الأول: لما كانت الآية ردا على اليهود، والنصارى، وكان الكلام معهم نفى أولا كونه منهم، ثم أثبت له الإسلام؛ لأنه الأهم، والمقصود بالذات ثم بالغ فنفى عند الشرك. الجواب الثاني:

[57] فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006، ص. 41، 42. وينظر أيضا، كتابه على طريق التفسير البياني، ج1، جامعة الشارقة، 2002، ص. 18، 19.

لما كان دين اليهود والنصارى يشبه دين المسلمين في الاستناد؛ للكتب، والشرك ليس كذلك ذكر الثلاثة أولا، وأخر الشرك. السؤال الثالث: لم أثبت ياء النسب في يهودي، ونصراني وحذفها من حنيف؟ والجواب: أن هذا هو المناسب؛ لادعاء اليهود، والنصارى أنه على دينهم، وأنه نسب إليه، والمسلمون ما ادعوا ذلك وإنما قالوا: إنهم على دين مثل دينهم"[58].

انطلاقا من هذه الأمثلة، التي ساقها "البسيلي" تبرز مدى دقة التعبير القرآني وبراعة نظمه وجمالية أسلوبه، وأن كل تغيير طارئ، أو زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو حذف أو ذكر، إنما هو موضوع من أجل تأدية معنى ما، ولخدمة سياق دلالي معين. ولذلك كانت إجابات "البسيلي" عن جملة الأسئلة الافتراضية التي يمكن أن تطرح أو تتبادر إلى أذهان القراء، بغية توضيح هذه الجمالية في التعبير القرآني، وإبانة بلاغة تراكيبه، ودقة انتقاء ألفاظه وكلماته، الأمر الذي يجعلها تعبر عن أحد مظاهر وجوه الإعجاز اللغوي والبلاغي فيه، وتدل على أسرار التعبير الإلهي ولطائفه.

4- مادة علمية ولغوية أخرى يحفل بها الكتاب:

آثرنا في هذا البحث أن نتوقف عند هذا الحد من معاينة ورسم الملمح اللغوي في كتاب تفسير التقييد الكبير لأحمد "البسيلي" الذي ألفيناه كتابا حافلا باللطائف اللغوية والنكت القرآنية التي يصعب الإلمام بها جميعا، فضلا عن أن المقام لا يتسع للإحاطة بالمادة اللغوية الغزيرة فيه، لذلك ارتأينا تأجيل الحديث عن بعض المباحث -في الكتاب-لها علاقة بالدرس اللغوي- إلى دراسات علمية وأكاديمية أخرى، يمكنها أن تنهض بهذه المهمة البحثية، وتتناول أحد هذه المباحث مستقلا. ومن جملة هذه المباحث التي يزخر بها هذا التفسير، مبحث البلاغة، التي لا يمكن للمفسر أن يستغني عنها لدى تعامله مع كتاب الله عز وجل، وهو الأمر الذي يمكن للدارس أن يصادفه

[58] البسيلي، المصدر السابق، 2/ 554، 555.

مبثوثا في ثنايا الكتاب، ومع كل آية -تقريبا- ينبري "البسيلي" إلى تفسيرها، إلا وتلفيه يذكر نكتة بلاغية، أو يثير قضية من قضاياها المنتمية إلى أحد أبوابها الثلاثة (المعاني، البيان، البديع).

ومن هذه المباحث أيضا، مبحث القراءات القرآنية التي يشير إليها المفسر، كلما دعت الضرورة، ويستحضر أنواعها، وأهم القراء الذين قرأوا بها. من ذلك ما ذكره حول من قرأ بتسكين الهمزة المتحركة في القرآن الكريم؛ يقول: "وقع تسكين الهمزة المتحركة في القرآن في أربعة مواضع:

أحدهما: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأْ بِنَبَأْ يَقِين}[النمل: 22] قرأها أبو عمرو، والبزِّي بفتح الهمزة. وروي عن قنْبل إسكان الهمزة إجراء للوصل مجرى الوقف.

الثاني: قوله تعالى: {مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأْتَه} [سبأ: 14] قرأها نافع، وأبو عمرو بالألف دون همز، وابن ذكوان بهمزة ساكنة، والباقون بهمزة مفتوحة.

الثالث: قوله تعالى في فاطر: {وَمَكْرَ السَّيِّئْ}[43]. قرأ حمزة بسكون الهمزة إجراء للوصل مجرى الوقف، والباقون بتحريكها.

الرابع: قوله تعالى: {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئْكُمْ}[البقرة: 54] وروي فيه عن أبي عمرو الاختلاس وروي عنه الإسكان"[59].

ولعل آخر هذه المباحث اللغوية التي رجع إليها "البسيلي" وأفاد منها في تفسيره، كلام العرب، حيث نجده يستشهد بالشعر القديم في مواضع كثيرة من تفسيره، وذلك من أجل الاحتجاج على إثبات صحة كلمة، أو الاستدلال على قاعدة نحوية، أو تأكيد معنى من المعاني التي جاء بها القرآن الكريم، ومثل هذا الصنيع يؤثر عن ابن عباس رضي الله عنه، الذي كان يرجع إلى الشعر الجاهلي من أجل تفسير القرآن الكريم، وبذلك يمكن لهذا المبحث الطريف أن يتأسس بحثا خاصا

[59] المصدر نفسه، 1/ 391، 392.

ومستقلا -كذلك- كأن يكون -مثلا- من قبيل الشاهد الشعري (اللغوي والنحوي) في تفسير التقييد الكبير.

وعلى هذا الأساس يتوجب علينا دعوة الباحثين والدارسين إلى ضرورة الاهتمام بهذا التفسير النفيس، والنهوض بمهمة العناية الخاصة بمادته العلمية الغزيرة والمتنوعة تصنيفا وتهذيبا وشرحا وتحقيقا، ولاسيما أنه يعد واحدا من التفاسير القرآنية غير المشهورة والمعروفة التي تستحق مزيدا من الاهتمام والاحتفاء، وذلك بهدف استكشاف لطائفه وملحه، والتنقيب عن درره ونفائسه؛ ذلك لأننا-وفي حدود اطلاعنا- لم نعثر على دراسة مطبوعة سوى على التحقيق الذي قام به الدكتور "عبد الله بن مطلق الطوالة"، الذي وإن كان عملا مطبوعا، إلا أنه يقتصر على تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وهو في الأصل عبارة عن رسالة دكتوراه أعدها الباحث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[60]، وقد أقمنا بحثنا هذا بالاعتماد على هذا التحقيق، لذلك وجبت الإشارة إلى أن القارئ قد يجد معظم المادة اللغوية المستخلصة من الكتاب مبنية على النصوص التفسيرية لسورة البقرة وآل عمران.

من هذا المنطلق جاءت دعوتنا من أجل التصدي لتحقيق هذا التفسير كاملا، دون الاقتصار على تحقيق بعض السور، أو الأجزاء من تفسير الإمام "البسيلي" للقرآن الكريم، ولعل ذلك كان ديدن الرسائل العلمية الجامعية[61]، والدراسات البحثية الأكاديمية في الجامعات الإسلامية وكليات

---

[60] تفسير القرآن الكريم للإمام البسيلي من أوله إلى نهاية سورة آل عمران، تحقيق ودراسة عبد الله بن مطلق الطوالة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (رسالة دكتوراه 1404ه).

[61] توجد بعض الرسائل العلمية في بعض الجامعات العربية نهضت بمهمة تحقيق بعض الأجزاء أو السور من هذا التفسير، وهي في حدود علمي واطلاعي لا تزال مخطوطات حبيسة المكتبات الجامعية والحكومية، ما عدا رسالة عبد الله بن مطلق الطوالة، ومن هذه الرسائل العلمية نذكر: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد لأحمد بن محمد البسيلي(ت848هـ) من سورة مريم إلى سورة الفلق ومعه تفسير ابن عرفة برواية الأبي -الجزء الثاني- دراسة وتحقيق، بوشعيب متقي، (رسالة دكتوراه، دار الحديث الحسنية، المملكة المغربية، 2011)، والتقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، لأحمد بن محمد البسيلي(ت848هـ)، من سورة الفاتحة إلى الآية 85 من سورة يوسف، ومعه تفسير ابن عرفة برواية الأبي، من الآية 85 من

الشريعة، وبالأخص في بلدنا الجزائر، إذ يمكن لها أن تتحمل المسؤولية كاملة، وتأخذ على عاتقها مهمة النهوض بهذا الدور الريادي، وهذا الإنجاز العظيم.

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى ذلك الجهد الكبير الذي قام به مجموعة من الأساتذة والمحققين، حينما أقبلوا على تحقيق تفسير أبي حيان الأندلسي المشهور "بالبحر المحيط"، وتولت دار الرسالة ببيروت—مشكورة–طبع الكتاب الذي وصل عدد أجزائه اثنين وعشرين مجلدا، ومثل هذا العمل يمكن أن يحتذى ويعمم على باقي الكتب التي ما تزال مخطوطة، أو غير مكتملة التحقيق.

خاتمة الدراسة:

أخيرا، إذا كان هناك من ملاحظات نقدية تسجل على الكتاب؛ فإن حسناته قد غلبت وكثرت، ويكفيه أهمية وتميزا أن يدرجه الدارسون والمهتمون ضمن التفاسير اللغوية للقرآن الكريم. لكننا على الرغم من ذلك سجلنا بعض الملاحظات عليه، ومنها أن "البسيلي" كثيرا ما كان ينقل من المصادر بالمعنى، ويتصرف في النصوص تصرفا مخلا أحيانا كثيرة، فضلا عن عدم دقته في النقل في أحايين أخرى كذلك، وقد تأكد لدينا هذا بمجرد العودة إلى هذه المصادر والتحقق منها.

ولئن كان الأمر كذلك؛ فإننا نلتمس له بعض الأعذار، وهو أن تقييداته التي جمعتها مسوداته كان مصدرها الأول المشافهة والسماع، مما كان يدونه أو يحفظه في مجالس ودروس شيخه ابن عرفة، وشيء طبيعي وفق هذه الطريقة في التأليف أن يقع منه ذلك.

ومما سجلناه أيضا، أنه كان كثير النقل والأخذ عن أئمة وعلماء التفسير اللغوي الكبار أمثال: الزمخشري والفخر الرازي وابن عطية وأبي حيان، وشيخه ابن عرفة، حيث تجده ينقل عنهم نصوصا، وأقوالا طويلة، قد تستغرق بضع صفحات، وبعد استعراضه لهذه الآراء والأقوال

سورة يوسف إلى آخر سورة الكهف، الجزء الأول، تقديم وتحقيق، محمد الغربي (رسالة دكتوراه، دار الحديث الحسنية، المملكة المغربية، 2011).

المجموعة حول تفسير المسألة أو الآية الواحدة من القرآن الكريم، تجده يتبعها بشروحاته وتعليقاته عليها، وكثيرا ما يعبر عن رأيه في التفسير بعبارة (وأجيب أو وجوابه أو والجواب عنه...).

ختاما يمكن القول: بأنه يبدو جليا –انطلاقا مما سبق عرضه– أن الكتاب ينحو منحى لغويا واضحا وبارزا، وليس أدل على ذلك من غزارة المادة اللغوية وتشعبها وتنوعها فيه، وأيضا من خلال استشهاد صاحبه بأقوال علماء وجهابذة علوم اللغة القدامى، ورجوعه إلى كتبهم ومصادرهم، وإفادته من مجالسهم ودروسهم. كما أن الكتاب وإن كان يعد جمعا وتقييدا، إلا أننا يمكن أن نصنفه واحدا من أمتع وأنفس التفاسير اللغوية بالنظر إلى النكت والفوائد والخواطر واللطائف الجليلة التي قيدها "البسيلي"، وأفادها من مجالس شيخه ابن عرفة، أو استطاع استنباطها من مؤلفات المفسرين واللغويين القدماء، أو عن طريق تأويلاته واجتهاداته الفردية، وهو بهذا التميز يمكن أن يغني طالب العلم عن الاطلاع على كثير من التفاسير في هذا الباب؛ لأن الكتاب وكأنه وضع بشكل خاص من أجل تقييد ما جاء في التفاسير السابقة من نكت ولطائف.

الهوامش:

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو بكر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

2. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

3. أبو العباس البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ج1 و2، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تقديم وتحقيق: محمد الطّبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.

4. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.

5. أحمد بن محمد البسيلي، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، (ج1 و2)، تح، عبد الله بن مطلق الطوالة، ط1، 1992.

6. بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح، حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ط1، 1989.

7. ابن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993.

8. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

9. -الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

10. سعد غراب، مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي، ملتقى الامام ابن عرفة، 1976.

11. السكاكي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1987.

12. سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

13. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، ط1، 2008.

14. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994.

15. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980.

16. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

17. ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001.

18. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

19. فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 2006.

20. فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج1، جامعة الشارقة، 2002.

21. القرافي، توشيح الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

22. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

23. ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح، محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، 1967.

24. محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، خرج حواشيه: عبد المجيد خيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

25. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994.

26. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وخرج شواهده، مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط1، 1964.

الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش ومنهجه في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن من خلال تفسيره " نفحات الرحمان في رياض القرآن"

ط.د. عبو فتيحة، طالبة دكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية. جامعة الأغواط- الجزائر.

أ.فريحة بوفاتح، ماستر لغة ودراسات قرآنية، جامعة الأغواط، الجزائر

الملخص:

يعدُّ تفسير الشيخِ محمدِ بنِ إبراهيمَ سعيد كعباش "نفحاتُ الرحمن في رياض القرآن" من التفاسير المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله، وإحسانِ تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشُه الأمَّةُ، والعملِ على حلّ القضايا الراهنة على هدي حقائق القرآن الكريم اعتقادًا أنَّه كتاب تحرُّك لا مجرَّد تبرُّك؛ فهو كتاب هدايةٍ يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتُها، وتتزايد تحدّياتُها. وتهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز منهج الشيخ كعباش في التفسير بالمأثور، والاهتمام بعلوم القرآن من خلال نفحاته.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن للبشرية هدى ونورًا، وتعهّد بحفظه من كل تحريف محذور، وقيّض من عباده العلماء مشهورا أو مغمورا، ممنّ انبرى لتفسير كتاب الله المسطور، وتسيير فهمه دون إخلال أو قصور، وبعد:

فقد عجّ تاريخ الجزائر منذ القديم بثلّة من العلماء الأثبات، والمحققين الثقّات، مِمنْ ظلّت الجزائر بهم تفخر وتزخر في كل قطر ومصر، كأمثال الشيخ " محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش" أحد المفسرين المعاصرين، المنحدر من بلدة العطف بغرداية، خلّد مسيرته العلمية من خلال مؤلفاته القيّمة، وما تفسيره المسمّى بـــ "نفحات الرحمان في رياض القرآن" إلاّ واحدًا من تلك اللآلئ العديدة، لما فيه من المعاني المفيدة واللطائف الفريدة، انتقى تفسيره من مصادر متنوعة عكست تكوينه وشخصيته العلمية والثقافية، فجاء تفسيره مملوءً بنفائس النفحات الفسيحة، وجواهر السنن الصحيحة، ممّا أفادت وجادت به القريحة، وقد كانت بدايات تفسيره سنة 1972م مُسجَّلة على الأشرطة، فلمّا خشِيَ ضياعها من تهالك تلك الأشرطة عقدَ العزم على تدوين تفسيره بخط يده وأسلوبه الأدبي الرفيع، حتى أتمّ ضبطه وأخرجه في حلّته المطبوعة سنة 2015م.

ويعدّ تفسير النفحات من التفاسير المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله وإحسانِ تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشُه الأمَّةُ، والعملِ على حلّ القضايا الراهنة على هدي حقائق القرآن الكريم اعتقادًا أنَّه كتاب تحرُّك لا مجرَّد تبرُّك؛ فهو كتاب هدايةٍ يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتُها، وتتزايد تحدّياتُها.

ونحن في هذا البحث المتواضع نتناول هذا التفسير الجليل بالدراسة والتحليل، فيما يتعلّق بمنهج الشيخ في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن، حيثُ جاءت الدراسة على مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش و تفسيره " نفحات الرحمان في رياض القرآن"

المطلب الأوّل: ترجمة الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش

المطلب الثاني: تفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

المبحث الثاني: منهج الشيخ كعباش في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن

المطلب الأوّل: التفسير بالمأثور

المطلب الثاني: اهتمامه بعلوم القرآن.

المبحث الأول: الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش و تفسيره " نفحات الرحمان في رياض القرآن"

المطلب الأول: ترجمة الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش

يقول فضيلة الشيخ محمد بن ابراهيم سعيد كعباش في كتابه "رحة العمر": "وبعد، فإنّني أقدّم بكلّ تواضع هذه الترجمة المختصرة لحياة رجل قيل عنه: إنه من بناة الإصلاح في دائرة "وادي ميزاب"، ومن الدعاة إلى الله، في وقت كثرت فيه الاتجاهات وتشعّبت المسالك، وظهر فيه المتفيقهون والمتعالمون. وما قصدي من وراء ذلك أن ينعتني الناعتون بما لا أستحقه من أوصاف الشهرة والعظمة، لأنني -والله يشهد- أمقت المحمدة والثناء، وأزدري التعاظم والخيلاء. بل أريد إثبات الحقيقة التاريخية التي طالما أنكرها الجاحدون أو حرّفها المغرضون الحاقدون"[1]. وهكذا قدّم الشيخ سيرته الذاتية في مفصلة في الكتاب المذكور، والتي نختصرها كما يلي:

الفرع الأول: النشأة والتعلم

هو محمد بن ابراهيم سعيد المعروف بـ(كعباش)، من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية، من الجمهورية الجزائرية، وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة أولاد باكّة في بلدة العطف إحدى قرى وادي ميزاب السبع، وتسمى باللغة المحلية (تـجنينت)[2].

أبصر نور الحياة خلال سنة 1929م في حضن أبوين كريمين هما: سعيد إبراهيم بن باحمد، وبهون شيخة بنت الحاج محمد؛ توفي والده وتركه يتيماً فقيراً لا يزيد عمره عن سنتين، وليس معه

[1] كعباش محمد بن إبراهيم سعيد، رحلة العمر، تنسيق وفهرسة: ابن عيسى عبد الله بن موسى، مكتبة التوفيق، العطف، غرداية، الجزائر، 2015م، ط1، ص3.

[2] المرجع السابق، ص:4.

إلاَّ أختان، توفّيت إحداهما فأصبح وحيد أمّه وقرّة عين لها، فاعتنت بتربيته على حبِّ الله ورسوله وعلى حفظ كتاب الله في سنٍّ مبكّرة، وقد وهبه الله ذاكرة قويّة وذكاءً لامعاً، فدفعته إلى كُتّاب القرية ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة؛ وكان أبرز معلميه آنذاك شيخه المرحوم الحاج ابراهيم محمد بن بهون، والذي ترك في نفسه أثراً قوياً وحبا غامراً للعلم والمعرفة.

ولم يكن كُتّابُ قريته ليُقْنِع طموحه في التّعلم، فارتحل إلى معهد الحياة العامر بالقرارة عند الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيّوض، ومكث فيه خمس سنوات من عام 1945 إلى 1950م، وانتقل بعدها إلى تونس الخضراء، حيث التحق بالجامع الزيتوني، أين درس علوم العربية والشريعة، وبالمعهد الخلدوني، أين درس العلوم التطبيقية، وذلك إلى غاية سنة 1954.

وقد تتلمذ هنالك على يد علماء تونس الفطاحل من أمثال: الشيخ الفاضل بن عاشور، والشيخ محمد الزغواني في التفسير، والشيخ البشير النيفر في أحكام القرآن، والشيخ اللقاني في مقاصد الشريعة، والشيخ أحمد بن ميلاد في أصول الفقه، وغيرهم.

ثم انتسب لاحقاً إلى جامعة الجزائر وذلك في أوائل السبعينيات أين حصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي سنة 1972[3].

الفرع الثاني: مسيرته العلمية، الاجتماعية والسياسية

فور عودته من تونس سنة 1954 شمّر عن ساعديه ليُسهم في مجال التربية والتعليم بالعطف الحر منه ثم الرسمي إلى أن تقاعد سنة 1990 ، وكان إبَّان الثورة التحريرية عضواً حيوياً بالمجلس الثوري للمنطقة، وقد ناضل بحزم في سبيل الاستقلال؛ انخرط عضواً في حلقة العزَّابة بالمسجد العتيق للعطف سنة 1958 ، ثم عيَّنَتْه الحلقة إماماً ومرشداً سنة 1970 ؛ ليبرُز في محراب الإصلاح الديني والاجتماعي؛ وقد شرع منذ 1972 في تفسير كتاب الله العزيز؛ ثمَّ انتَظَم في تحرير دروسِه

[3] نبذة تعريفية بفضيلة الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش _حفظه الله_، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش http://chikhkaabache.net/propochikh.php ، مطلع عليه بتاريخ 25/ 08/ 2020.

وإلقائها منذ سنة 1985 إلى 2015 ؛ وقد سمَّى تفسيره المبارك "نفحات الرحمن في رياض القرآن" ويقع في 14 مجلداً؛ ولهُ أعمال أخرى مطبوعة وأخرى مخطوطة ودروس مسجدية تُناهز ألف شريط وقرص[4].

الفرع الثالث: إصداراته

للشيخ كعباش إصدارات عديدة منها المخطوط والمرئي والمسموع، نذكر منها ما يلي:

من أخلاق القرآن صفات عباد الرحمن

صرخات على مسرح المجتمع (الطبقة الثانية)

من أخلاق القرآن (الوصايا العشر ووصية لقمان)

من أخلاق القرآن (بيان ما في سورتي الحجرات والمجادلة من أخلاقيات الحقوق المتبادلة)

مسابقة رمضان المعظم (1416-1417-1418 هــ) الحلقة الأولى

صوت المنبر (الحلقة الثالثة – الحلقة الثانية – الحلقة الأولى)

صرخات على مسرح المجتمع

شرح الصدور (لتفسير سورة النور)

(حديث الشيخ الامام) في صلاة الجمعة ومالها من أحكام، الحلقة 2

رحلة العمر (السيرة الذاتية)

جيل النهضة والإصلاح (في العطفاء بلد النضال والكفاح)

العطف تاجنينت (أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية)

الدر النظيم في فعاليات التدشين والتكريم

نفحات الرحمن في رياض القرآن أربعة عشر جزءا[5].

---

[4] محمدي مصطفى بن عمر، ترجمة المفسر محمد سعيد كعباش الجزائري، الموقع الرسمي للمكتبة الجزائرية الشاملة، http://shamela-dz.net/?p=638، مطلع عليه بتاريخ 25/ 08/ 2020.

المطلب الثاني: تفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

يعدُّ تفسير الشيخِ محمدِ بنِ إبراهيمَ سعيد كعباش "نفحاتُ الرحمن في رياض القرآن" من التفاسير المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله، وإحسانِ تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشُه الأمَّةُ، والعملِ على حلّ القضايا الراهنة على هدي حقائق القرآن الكريم اعتقادًا أنّه كتاب تحرُّك لا مجرَّد تبرُّك؛ فهو كتاب هدايةٍ يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتُها، وتتزايد تحدّياتُها.

الفرع الأول: التعريف بتفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

يقع هذا التفسير النفيس في أربعة عشر مجلدًا، حيث إنه لم يكن دفعة واحدة وإنّما في بداية 1972 م، بدأ ينتقي لجمهور الآباء والأمهات من عمار المسجد العتيق بعض السور القصار لتفسيرها .ثم تدرّج إلى السور القرآنية التي تتلى في المناسبات المختلفة كسورتي ياسين والأنعام، وبعد إتمام تفسير هذه السور القرآنية شرع بعون الله وتأييده في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة نزولاً إلى سورة الناس وذلك في دروس منتظمة إلقاءً وتحريراً من سنة 1985م، والذي أسماه "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، إلى أن أتمّ بعون الله وتوفيقه تفسير سورة الناس يوم الجمعة 01 جمادى الأولى 1436 ه الموافق لـــ: 20 من فبراير 2015م[6].

وقد ذكر ذلك في مقدمة التفسير حيث يقول: " وبعد التردد والإشفاق عزمْت أمري وتوكلت على الله ثم قرَّرْت أن أسير في دروسي بالمسجد السير الطبيعي ابتداء من أم الكتاب فالسور الطوال تنازلاً في ترتيب المصحف الشريف، وكان أحد رفقائي في الحلقة يتولى تسجيل الدروس في أشرطة سمعية أُرتِّب ها وأرقمها حسب الآيات في كل سورة، لتبقى محفوظة في مكتبة المسجد، وبعد

[5] أخضري عيسى، نويجم مسعودة، قراءة في نفحات الرحمن في رياض القرءان للشيخ: محمد بن براهيم سعيد كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج2، ص269.

[6] مصطفى رشوم، منهج الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسير آيات الأحكام الشرعية من خلال كتابه"نفحات الرحمن في رياض القرآن" (سورة البقرة نموذجا)، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج1، ص:272-273.

مشوار غير قصير انتهى بي إلى أوائل سورة النساء وبعد الفحص لمدى حفظ الشريط لوضوح الصوت وفصاحته تبيَّن لي أن الجو الحار وانعدام الرطوبة قد أثَّرت في الشريط حتى كاد الصوت ينطمس في البعض منها فحز ذلك في نفسي إذ أرى ضياع جهدي في هذا المجال وانا ما أزال على قيد الحياة..."[7].

من المميزات البارزة لتفسير "نفحات الرحمن في رياض القرآن" جمْعُه بين الحُسنييْن: تفسيره شَفَهيا وكتابته وضبطه والمبادرة إلى طباعة أجزائه تِباعًا[8]، وقد اعتمد على ثلاثة تفاسير:

تيسير التفسير للشيخ القطب أمحمد بن يوسف اطفيش.

التَّحرير والَّتنوير للإمام محمد طاهر بن عاشور.

التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي[9].

الفرع الثاني: بين يدي التفسير

نجد هذا التفسير في أربعة عشر جزءًا بغلاف أزرق مزخرف كتب على الواجهة اسم المؤلف والمؤلَّف والجزء والنشر لجمعية النهضة العطف–غرداية الجزائر.

وبكمٍّ صفحات متقارب يتراوح ما بين 417 ص إلى 101 صفحة وذلك لما يقتضيه تفسير كل آخر سورة أو آية حيث نجد صفحات:

---

[7] محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، جمعية النهضة المطبعة العربية، العطف، الجزائر، ج1، ص د.

[8] حمو بن عيسى الشيهاني، الدرس العقديّ عند الشيخ كعباش من خلال تفسيره "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14–15 مارس 2017، ج1، ص:215–216.

[9] بن الدين بخولة، سيرة ومسيرة علاَّمة الشيخ محمد بن ابراهيم كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14–15 مارس 2017، ج1، ص:117.

ج:1-450،ج2-494، ج3-513، ج4-477، ج5-480، ج6-458، ج7-484، ج8-497،ج9-521، ج10-499، ج11-515، ج12-520، ج13-541، ج14-576.

حيث نجد التعريف بالمؤلف في بداية الجزء الأول وآخر كل جزء من الأجزاء الأخرى، وهو نفس التعريف الذي كتب بالأول، كما نجد آخر صفحة في كل جزء تتحدث عن محتوى أجزاء التفسير للجزء المكتوب فيه وكل الأجزاء التي قبْلَه، حيث يحدد لنا تفسير كل جزء من بداية أي سورة أو آية إلى آخر تفسير من السور والآيات، مثلا في آخر صفحة في الجزء الثاني نجد:

الجزء الأول من سورة الفاتحة إلى الآية 203سورة البقرة.

الجزء الثاني من الآية 204 سورة البقرة إلى الآية 175 من سورة آل عمران

ويليه بإذن الله الجزء الثالث، وتحتوي هذه الأجزاء على فهارس متعددة، حيث احتوى كل جزء على:

<u>الفهارس:</u>

فهرس الآيات والعناوين الرئيسية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأبيات الشعرية.

كما انفرد الجزء الأول والثاني:

فهرس التعريفات والتراجم.

وانفرد الجزء الرابع بـــــــ:

فهرس الحكم والأقوال.

انفرد الجزء الرابع عشر والأخير بفهرس إضافي وأخير ألا وهو:

فهرس مصادر التفسير ومراجعه.[10]

الفرع الثالث: طريقة الشيخ كعباش في تفسيره

سلك الشيخ مسلكا واضحًا وسهلا في تفسير السورة القرآنية، فالْتَزم خطة موجزة محكَمَة طوال تفسيره، جنّبته كثيرًا من النّقائص، كالحشو والاستطراد والتكرار. وقد بيّن معالمها في مقدمة تأليفه، وهذه الخطّة تتمحور حول العناصر الآتية:

1. مقدمة حول السورة سمّاها "بين يدي السورة"، يتعرض فيها لتسميتها، عدد آياتها، مكّيّها ومدنيّها، ترتيبها في المصحف وفي النّزول، المأثور الصحيح في فضلها، وكذا محورها الرئيسي ومحاورها الفرعية.
2. تقسيم السورة المراد تفسيرها إلى مقاطع حسب الموضوع.
3. اختيار عنوان المقطع القرآني من السورة المراد تفسيرها، بمعدل 70 مقطعا في كل جزء.
4. ضبط النَّص القرآني برواية ورش عن نافع بالبنط العريض وبشكل دقيق وجذّاب.
5. التّحقيق اللغوي وشرح غريب القرآن الكريم، ويظهر ذلك مدى نبوغه وعمق تكوينه الأدبي والبلاغي.
6. بيان أوجه القراءة وتوجيهها وإنزالها على أصحّ المعاني وأحسنها.
7. البيان والتفسير المفصّل للمعاني والأحكام بشكل دقيق وموجز ودون إخلال، فيورد أقوال المفسّرين الأقرب إلى معنى الآية بكل أمانة، ثم يعقّب برأيه ويسبقه ب:"قلت."

[10] أخضري عيسى، نويجم مسعودة، مرجع سبق ذكره، ص:270-271.

8. تراجم الأعلام والأماكن والنّبذ التّاريخية إن وجدت[11].

الفرع الرابع: مميزات تفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

لتفسير الشيخ عدّة مميزات نذكرها كما يلي:

1. ابتعاده عن المذهبيّة الضّيّقة، بل كان يرى أنّ القرآن الكريم هو الحاكم على المذاهب والتّيّارات المختلفة، وليست هي الحاكم عليه، وخير دليل على ذلك رجوعه إلى مختلف المصادر والمراجع ليقتبس منها ما يراه أقرب إلى معنى الآية القرآنية، وكان ينقل ثم يناقش، فيوافق ويعارض، ويقبل ويردُّ، ولكن يفعل كل ذلك بقلم هادئ ولسان عف وقلب سليم.
2. هو تفسير حركي اجتماعي، بإسقاط المثل القرآنية على الواقع.
3. يجمع بين الأسلوب البسيط "السهل الممتنع" الموجه للعامة، والمنهجية المنضبطة.
4. يعرض آراء الإباضية المعاصرين الفقهية والعقدية دون تعصّب ودون توسّع في البراهين والرّدود.
5. خال من الرّوايات الإسرائيلية.
6. الجمع بين التفسير بالرأي والتّفسير بالمأثور والتفسير بصحيح السّنة.
7. يبرز الوحدة الموضوعية للسور ولا يكتفي بالتفسير الجزئي الذي لا تتضح معه مقاصد القرآن.
8. يهتم ببيان أوجه الإعجاز القرآني لا سيما العلمي والبلاغي.
9. يمتاز بالأسلوب المعتدل في مناقشة شبَهِ المستشرقين المشكّكة في القرآن.
10. يحتوي مادة تاريخية مهمة من التراجم والحوادث المحليّة والعالميّة[12].

---

[11] رمضان يخلف / نور الدين هيبة، مسلك الشيخ محمد إبراهيم سعيد كعباش في تعامله مع أسباب النزول القرآني في التفسير، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج2، ص:09-10.

[12] المرجع السابق، ص:10.

المبحث الثاني: منهج الشيخ كعباش في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن

المطلب الأول: التفسير بالمأثور

الفرع الأول: تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأوّل من مصادر التفسير بالمأثور وهو يأخذ أشكالا مختلفة ومتعددة، وكثيرًا ما كان الشيخ – حفظه الله – يفسّر القرآن بالقرآن، وهي أحسن طرق التفسير على الإطلاق.

ومن الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن عند الشيخ كعباش:

-فسّر قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيَ ﴾ (طه: 39)، قائلا: "على" للاستعلاء المجازي، أي المصاحبة المتمكنة، والعين مجاز في المراعاة، كما قال تعالى لرسوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور: 48)[13] ، كما فسّر اليد في قوله تعالى: ﴿بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ (الأنعام: 93)، بمعنى: " بسط اليد: يكون تمثيلًا للشدّة والإيذاء المنطلق كقوله تعالى: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ (المائدة:28)، ويكون بمعنى الإسراف كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء:29)، وتكون بمعنى الجود والكرم كقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: 64)[14].

الفرع الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية

اتّخذ الشيخ من السنّة النبويّة المصدر الثاني لتفسيره، فهي المُبيّنَةُ والشّارحة لما أُجمِلَ في القرآن الكريم، مصداقًا لقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل: 44).

---

[13] كعباش محمد سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج8، ص390.

[14] المرجع السابق، ج4، ص322

وقد كان الشيخ يستشهد بالأحاديث الصِّحاح، من مظانّها كالصحيحين أوّلا، ثمّ بقية الكتب الأخرى كالنسائي وأبي داوود وأحمد وغيرهم. كما كان شديد التمحيص والتدقيق للروايات، وقد يردُّ بعضها لأسباب:

-كعدم استيفائها لشروط الصحّة[15]، فإذا ما اختلّ منها شرط من شروط الصحّة فإنّه يرّد الحديث ولا يقبله، وأحيانا يذكرهُ لبيان ضعفه كما فعل بحديث الغرانيق، حين قال: " وأما قِصّة "الغرانيق" التي فصلنا خبرها في تفسير سورة الحجّ، والتي جعلها بعض المفسرين أنها كانت هي السبب في سجود المشركين لسجود رسول الله، فإن هذه القصة من الأباطيل التي روّجها أعداء الإسلام. ثمّ يقول: "ويعلّق عليها الشيخ محمّد الغزالي بقوله: "وقد أصيب الإسلام نفسه بأهل إفك نسبوا إلى رسولهم أنه مدح الأصنام وسمّاها الغرانيق العلا وما روى ذلك محدّث ولا فقيه، ومن زعم ذلك فالإسلام منه بريء، إنّ النجم قد يهوى لكن محمد ما هوى قط[16].

- لم يكتفِ الشيخ كعباش في استشهاده بالأحاديث بتلك التي جمعت شروط الصحّة عند المحدثّين، حيثُ يمكن للرواية أن تكون معارضةً لصريح القرآن، فإذا خالف الحديث صريح القرآن، فإن الشيخ لا يأخذ به، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم نفسه مأمور باتباع الوحي وعدم مخالفته له ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ (الأعراف: 203).

ومثال ذلك ما ذكره الشيخ أثناء تفسيره لسورة الفلق، عند تعرُضه للحديث الذي ينص على قصّة سحر النبيّ صلى الله عليه وسلّم من قِبلِ يهودي، والذي ردّه الشيخ لمعارضته صريح العديد من الآيات القرآنية، بالرغم من أنّ الحديث متّفق عليه.

[15] شروط الصحّة خمسة، ذكرها ابن الصلاح في مقدمته قائلاً: " أمّا الحديثُ الصَّحِيحُ : فَهُوَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الَّذِي يَتَّصِلُ إِسْنَادُهُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَلَا يَكُونُ شَاذًّا، وَلَا مُعَلَّلاً"، ينظر: ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، 1986م، ج1، ص12.

[16] كعباش محمد سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج9، ص168.

يقول الشيخ كعباش في ذلك:" وفي سبب النّزول نقل الدّكتور الزحيلي عن البحر المحيط قال: "السّبب: قصّة سحر لبيد بن الأعصم اليهوديّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصّحيحين عن عائشة رضي الله عنها، فإنّه سحره في جُفّ قشر الطّلع فيه مشاطة رأسه، وأسنان مشطه ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروز بالإبر، فأنزلت عليه المعوِّذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة. ووجد صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام فكأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يرقي رسول الله فيقول: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين، والله يشفيك"[17].

يقول الشيخ كعباش:" ذكر أغلب المفسّرين هذه الرّواية الأحادية، على أنها وقعت في المدينة، وقد رجحنا أن السّورة مكيّة، وذلك يضع هذه الرّواية في شك من صحتها، بالأخصّ أنها تخالف أصلا من أصول الاعتقاد، إذ تتعارض مع العصمة النّبوية في التّبليغ، وأن كل فعل أو قول أو تقرير لرسول الله هو سنة وشريعة، إذ كيف يسحر رسول الله ويتأثر بسحر يهوديّ يكنّ له العداء، والقرآن ينفي صفة السّحر عنه مما يتهمه به المشركون فيقول تعالى:﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾(الفرقان:8).

ثم إنّ كثيرا من ذلك الأذى من طرف المشركين لرسول الله قد صرفه الله عنه ويقول له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:67) ويقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:137). فلليهوديّ ولكل عدوّ من أعداء رسول الله أن يحاول الإضرار به بالسّحر أو بغيره فإن الرّسول في كنف الله ورعايته لا يتأثر ولا يضره شيء، وهذا ما رجحه الإمام ابن عاشور في

[17] ينظر: كعباش محمد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج14، ص532، وصحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، ط 5،ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الطب، باب السحر، رقم 5763.

تفسيره[18] حين قال: "وجملة القول هنا أنه لما كان الأصحّ أن السّورة مكيّة فإن النبي مأمون من أن يُصيبه شرّ النّفاثات لأنّ الله أعاذه منها".[19]

كما يمكن للرواية أن تكون مخالفةً للجوّ العام للسورة: فعلى سبيل المثال سورة النساء في مجملها تتحدّث عن مكانة المرأة، وعن حقوقها كحقّها في المهر، والتكسّب، والميراث...فنجد الشيخ لايستسيغ قبول بعض الروايات لمخالفتها الجوّ العام الذي تدور السورة حوله، فيقول في تفسير قوله تعالى:﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: 11): " وليس من اللّياقة في حفظ كرامة المرأة أن نعلّل ذلك بأنّها ناقصة عقل ودين، والإسلام كرّمها ورفع شأنها[20].

الفرع الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

لقد اعتمد الشيخ كعباش – حفظه الله – على أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره، ومثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(البقرة: 67)، في سياق ذكر بعض مخالفات اليهود وتعنتهم في تطبيق أحكام الله، وعنادهم لرسولهم في تنطّع وقساوة بالغة، من خلال قصّة ذبح البقرة، وهم يتلكّؤون في تطبيق أمر الله، ويحفون في السؤال غلوًا وعنادًا، حيث ساق المفسّر الشيخ كعباش ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال معلّقا على هذه القصة: " لو ذبحوا أيّة بقرة لأجزأتهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم " ،كما روى أبو هريرة مثل ذلك عن رسول الله[21].

---

[18] ابن عاشور الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج30، ص628

[19] كعباش محمد سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج14، ص 533

[20] المرجع السابق، ج3، ص82

[21] كعباش محمد سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج1، ص152

وكذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة:211)، يقول الشيخ كعباش: " ثمّ جاء التذييل بهذا الحكم العام: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ فالمقصود بهذا الوعيد هم بنو إسرائيل أوّلاً وبالتّبع كلّ من غيّر نعمة الله من بعد ما عرفها ووصلت إليه ولكنّه جعلها سبباً لكفره وعناده، لأنّ الله لا تتخلّف سننه القائمة على العدل والإنصاف وعلى ارتباط الجزاء بالأعمال إن خيرا أو شرّا. وبما أن سؤال الرّسول يتوجه إلى اليهود الحاضرين في وقت التّنزيل فقد انتقل النّص إلى استئناف بين حال الكفار مع الذين آمنوا إذ يقول ابن عباس أنّ المقصود بهم هم رؤساء قريش:﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(البقرة:212)[22].

المطلب الثاني: اهتمامه بعلوم القرآن

لقد اهتّم الشيخ كعباش بعلوم القرآن في تفسيره أيّما اهتمام، فما من قارئ يقرأ تلك النفحات للوهلة الأولى إلّا ويشدُّ انتباهه، ويأسر عقله نظرًا لحُسن تفسيره، ودقّة ترتيبه، واستيعابه لمباحث علوم القرآن، فلا يكادُ يفتتحُ تفسير سورة ما حتى يذكر عدد آياتها، ومكان نزولها، وترتيبها في المصحف، وترتيب نزولها، ومناسبتها لما قبلها، والوحدة الموضوعية لها، وحتى فضلها وما ورد في ذلك من أحاديث. وقد استهّل الشيخُ تفسيره بمقدّمة موجزة عن علوم القرآن الكريم لا تتجاوز الأربع صفحات، عنونها بـ: " حول القرآن الكريم وعلومه"[23]، ذكر فيها باختصار غير مخلّ تعريف القرآن الكريم وأوصافه، وكيفية معرفة المكيّ من المدنيّ، وأوّل ما نزل من الآيات وآخر ما نزل، وعدد سور القرآن الكريم، وترتيبها التّوقيفي وغير ذلك من المباحث المتعلقة بعلوم القرآن الكريم.....

---

[22] كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج2، ص 17.

[23] ينظر: المرجع السابق، ص: ز

وسنحاول باختصار بيان وابراز بعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن المختلفة المبثوثة في ثنايا تفسير الشيخ كعباش:

الفرع الأول: أسباب النزول

إنّ بيان سبب نزول الآية طريق قويّ في فهم معاني القرآن الكريم، ويُعتمدُ عليه في ترجيح معنى الآية إذا اختُلف في معناها، ومعنى سبب النزول هو: "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"[24]، يقول ابن تيمية في ذلك: " مَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُولِ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْآيَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُوَرِّثُ الْعِلْمَ بِالْمُسَبَّبِ[25]".

وقد اهتم الشيخ كعباش في تفسيره بأسباب النزول، من ذلك:

– في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109)، ذكر سبب نزولها قائلًا: " وقد قال ابن عبّاس في سبب النّزول أنّ الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أُحُد: ألم تروا إلى ما أصابكم؟، ولو كنتم على الحقّ ما هُزِمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم، والحسود لا يُفَوِّتُ فرصةً إلاّ وابتهلها لتنغيص العيش على المحسود". واليهود يتظاهرون في أمثال هذه المواقف بأنهم يريدون النّصح للمسلمين، لعلّ ضعفاء الإيمان منهم يرجعون عن دينهم، فجاءت التّنبيهات الإلهية لتبيّن أنّ أهل الكتاب لا يُرجى منهم نصح أمين في ما يقولون، وإنّما هو الغشّ والحسد المتمكّن في نفوسهم الخبيثة، فقال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[26].

---

[24] مناع القطّان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، د ت، ص 71

[25] السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرب الامة للكتاب، 1974م ، ج1، ص108.

[26] ينظر: كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج1، ص226.

-في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: 64)، قال: "ويروى في سبب النّزول عن ابن عباس أنّ قريشا لما سألوه عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيا، فلما نزل جبريل، قال له: أبطأت، فأنزل الله هذه الآية[27].

مما يُلاحظُ كذلك أنّ الشيخ المفسر قد اعتمد على مصادر ومراجع عديدة في أسباب النزول كما اعتمد أصحَّ الرّوايات، واجتنب الرّوايات الواهية والضعيفة، مستندًا في ذلك على الصّحاح من كتب السّنة، وعلى كبار المحققين من العلماء كابن عاشور والزحيلي وشيخه بيوض إبراهيم بن عمر، حيثُ كان ينقل تعقّباتهم على مالَم يصحَّ من الروايات سندًا أو متنا، ويدلّلها برأيه في المسألة.

الفرع الثاني: المكيّ والمدني

إنّ في معرفة المكيّ والمدني فوائد جمّة خاصّة في فهم النصوص القرآنية، واستيفاء معانيها، وقد عرّف الشيخ كعباش المكيّ والمدنيّ قائلًا: " ومعروف من حياته صلى الله عليه وسلم أنّ نزوله على قلبه الشريف قد استغرق من حياته ثلاثًا وعشرين سنة، منها في مكّة ثلاث عشرة سنة، ويسمّى بالقرآن المكيّ، وله خصائصه في المبنى والمعنى حدّدها العلماء، وعشر سنوات في المدينة المنوّرة ويسّمى بالقرآن المدني، له خصائصه هو الآخر في المبنى والمعنى"[28]، ويضيف قائلًا : " السورة المدنية على اعتبار أنّ القرآن المدنيّ هو كلّ ما نزل على الرّسول بعد الهجرة، ولو كان نزوله في مكان غير أرض المدينة إذ نزلت السورة على المشهور من الرّوايات في موضع بين مكّة والمدينة"[29]، وقد جعل الشيخ ضابط المكي والمدني: "زمن النزول "، بعد أنْ قيّدَهُ بدايةً بالتسمية المكانية وهو ضابط غير شامل لجميع السور.

---

[27] المرجع السابق، ج8، ص334.

[28] كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج1، ص 226

[29] المرجع السابق، ج13، ص 1.

وقد تطرّق الشيخ كعباش كثيرا للمكي والمدني، وقد يحتجّ به ليؤيّد رأيه في مسألة معيّنة، أو يردّ بعض الأقوال والروايات الضعيفة، فمثال الأولى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾(المؤمنون:04) يقول:" فإذا عرفنا أن الآية مكّية، وأن لفظ "الزّكاة" بمفهومه الفقهي من المقادير المفروضة في الأموال لم تتحدد إلا في المدينة المنورة، أدركنا ماذا كان يعنيه لفظ الزّكاة في القرآن المكّي من معاني التّطهّر النّفسيّ من مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ (الأعلى: 14 – 15)[30].

أمّا الثانية فقد ردّ رواية بمقتضى معارضتها للضوابط السّالفة الذكر، فقد قال في معرض تفسيره لسورة الفلق: " ذكر أغلب المفسرين هذه الرواية الأحادية، على أنّها وقعت في المدينة، وقد رجّحنا أنّ السورة مكيّة، وذلك يضع هذه الرواية في شكّ من صحّتها"[31].

الفرع الثالث: الناسخ والمنسوخ

ترجع أهمية هذا العلم إلى عدم اختلاط الأحكام، يقول الشيخ كعباش في ذلك: " إنّ الله تعالى أراد أن يُعلّم المسلمين أصلاً من أصول الشّريعة، وهو أصل النّسخ، ويكون: إمّا على شريعة بشريعة بعدها، وفق ما تقتضيه الظّروف والأحوال، وذلك في ما هو من المتغيّرات، من الأحكام، لا في الثّوابت من أصول الدّين، كما قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة:48)، أو على ويكون النّسخ في ما يطرأ على بعض الأحكام بأخرى تُبطلها من تلك الشّريعة نفسها، وفق ما يقتضيه التّدرّج في التّشريع[32].

وبتّضح لمن يقرأ في تفسير الشيخ كعباش أنّه يتعرض للآيات التي فيها النسخ سواء كانت ناسخة أو منسوخة، ومثال ذلك: –ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ

[30] المرجع السابق، ج9، ص 207.

[31] المرجع السابق، ج14، ص532.

[32] كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج1، ص222.

فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: 15) قائلًا: " ويبدو –والله أعلم– أن الآيتين نزلتا عقب ، أحكام المواريث التي تتضمّن إثبات حقوق النّساء واليتامى، فالواو عاطفة للآيتين على ما تقدم من الآيات في أول السّورة، وهما تقرّران العقوبة التي كانت في أول الإسلام على الزّنا قبل أن تنزل أحكام سورة النّور. وأغلب العلماء على أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور:2)، ثم قال: " وقد جعل الله امتداد الحبس في البيوت إلى غاية الموت أو إنزال حكم آخر من عند الله بعقاب مناسب، وهو الجلد المقرّر في آية النّور بالنّسبة لغير المحصن والرّجم للمحصن الذي ثبت بالحديث الصّحيح الذي أجمع الصّحابة على العمل به وهو قوله عليه السلام: "خذوا عني، خذوا عني، قد جُعِل لهن سبيلا: البكر بالبكر ضرب مائة وتغريب عام، والثّيب بالثيب جلد مائة والرّجم"[33].

ثم يقول تعالى: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ اللذان: مثنى "الذي"، فيقتضي رجلين ذكرين، فالأرجح أنهما المحصن وغير المحصن كما في رواية لابن عباس، وقيل: إن المراد بهما الرّجل والمرأة على طريقة التّغليب، أو هو لواط رجل بآخر على قول أبي مسلم. والضّمير في: (يَاأْتِيَانِهَا) عائد إلى الفاحشة[34].

ويختم قوله بـــــ : " أمّا عند أبي مسلم وغيره من العلماء ممن لا يقولون بالنّسخ، سيما نسخ القرآن بالحديث ولو كان متواترا، هؤلاء جعلوا (الْفَاحِشَةَ) في الآية الأولى بمعنى السّحاق أي المرأة مع المرأة، وجعلوها في الآية الثّانية بمعنى اللّواط، أي الرّجل مع الرّجل، وبذلك يرون أن عقاب الزّاني –أي الرّجل مع المرأة– مبيّن بيانا محكما بآية النّور[35].

---

[33] روى مسلم نحوه من حديث عبادة بن الصامت، كتاب الحدود، باب حد الزنى، حديث 1690، 3/ 1316. بلفظ " ونفي سنة". انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط 5، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419ه، ج1، ص478.

[34] ابن عاشور الطاهر، التحرير والتنوير، ج4، ص273.

[35] ج3، ص95–96.

الفرع الرابع: المناسبة بين الآيات والسور

علم المناسبات هو: " علم تعرف به علل آي القرآن وسوره بحيث يؤدي إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال".

وتبرز أهمية هذا العلم كونه يمثّل نوعًا فريدًا من أنواع الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم، كما أنّه يعتبر من أهم قواعد التفسير التي اعتمدها المفسرون في اختياراتهم، فهو يساعد على فهم كتاب الله، وإظهار أسراره والكشف عن كنوزه، وزيادة التدبر والتفكر في القرآن الكريم[36].

يقول الشيخ كعباش في ذلك: " وقد تولّى الرّسول صلى الله عليه وسلم ترتيب آياته وسوره على تلك الكيفيّة المتواترة عنه، ترتيباً عجيباً بليغاً متّسق الحلقات، متناسباً في معانيه وأغراضه، وصدق مولانا العظيم حين قال:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:82).

وأمثلة ذلك كثيرة، فقد اهتمّ الشيخ بذكر المناسبة بين السورة وما قبلها: ومثاله ما ذكره في مناسبة سورة المائدة لما قبلها في سورة النساء، حيث قال: " أمّا مناسبتها لسورة النّساء، يعجبني منها ما أورده صاحب المنار [37] بعد ذكره لتلك الأوجه، قال ما نختصره: "إن معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنّصارى مع شيء من ذكر المنافقين والمشركين، وهو ما تكرر في سورة النّساء، فكان ما جاء منه في هذه السّورة متمّما ومكملا لما فيما قبلها، وفي كل من السّورتين طائفة من الأحكام العملية في العبادات والحلال والحرام، وقد اشتركت السّورتان في الوصايا العامّة، كالقيام بالقسط والعدل والوصية بالتّقوى، كما انفردت كل منهما ببعض الأحكام".[38]

---

[36] ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة، 1969م، ج1، ص6، ص10

[37] محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة، 1990م، د ط، ج6، ص97.

[38] ينظر: نفحات القرآن في رياض القرآن ج5، ص20.

كما اهتم المفسّر كعباش بذكر المناسبة بين الآيات داخل السورة الواحدة، ومثاله: عند تفسيره لآية: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء:83)، يقول فيها: "ومناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة. إذ أنّه تعالى لمّا صنف الخلق ازاء تلقي القرآن إلى فريقين، وبيّن كيف يكون القرآن للظالمين خسارا﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، فيكون ذلك محلّ تساؤل واستغراب؛ إذ العاقل السّليم لا يرضى لنفسه تلك الحالة، فبيّن الله تعالى في هذه الآية سبب وقوع ذلك -أحيانا- للإنسان بصفة عامّة بأنّه عندما تتوفّر لديه أسباب النّعمة والرّفاه فإنّه يصرفه ذلك عن تذكّر المنعم[39].

الفرع الخامس: القصص القرآني

يُعرِّفُ الشَّيخ المفسِّر القصَّة القرآنية أنّها: نقلٌ للأخبار السّالفة وهو مأخوذ من قصّ الأثر، بل أخصّ من الأخبار إذ يكون فيه طول وتفصيل[40]. أمّا عن فوائد القصص القرآني، يقول الشيخ المفسّر: " أمر الله رسوله أن يتلوَ على النّاس قصص القرآن لِما فيها من التّذكير والموعظة؛ لأنَّ ضرب الأمثال ورواية القصص تُقرِبّ المعاني الخفيَّة إلى الأفهام، وتجسّد الحقائق المجرّدة في قوالب حيَّة تدفع النّفوس إلى تأمّلها والتّفكير فيها، ومن شأن ذلك أن يؤثر في تلك النّفوس علّها تذكّر أو تتعظ[41]". ومثاله ما جاء في قصّة يوسف عليه السلام.

ومنهج الشَّيخ في تعامله مع القصَّة القرآنية يُرشدُنا إلى وجوب التعامل معها بمبدئ أنَّ أحداثها، ووقائعها حقٌّ لا مِرْية فيها كما لا مجال فيها للخيال أو الخرافة أو التهويل، يقول في ذلك: "ولأنّه قصص حقّ لا يتطرّق إليه شكّ، ولأنَّه مطابق للواقع الذي يخبر به الحكيم العليم"[42].

---

[39] ينظر المرجع السابق، ج8، ص117.

[40] ينظر: المرجع السابق، ج7، ص5، وج2، ص313.

[41] المرجع السابق، ج5، ص34.

[42] ينظر المرجع السابق، ج10، ص 180.

الفرع السادس: الإسرائيليات

لقد تصدّى الشيخ في كثير من المواضع في تفسيره، لبعض صور الإسرائيليات، فمثلا عند قوله تعالى:﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (ص: 33)، قال: " قيل إن" سليمان ندم على تفويت وقت الصلاة فأمر بردّ تلك الخيل وأخذ يعقرها وينحرها ليتصدق بلحمها على الفقراء كفارة لتقصيره ولعلّ هذا التفسير من الإسرائيليات التي لا تقبل ولا تليق بمقام النبوءة[43]. ومما جاء في تلك الروايات: أن سليمان حين استعراضه لتلك الخيل كان قد ترك صلاة أو وردا اعتاد أن يقوم به لربه في ذلك الوقت إذ استغرق فكره في تأمّل ذلك العرض حتى غربت الشمس، فلما ندم على ذلك التقصير أمر أن ترد عليه تلك النصّ القرآني ولا حديث صحيح عن رسول الله[44].

الفرع السابع: القراءات القرآنية

من خلال قراءتنا لتفسير الشيخ كعباش، نجد له اهتماما بالغا بالقراءات القرآنية عرضًا وتوجيهًا، حيث لم يكد الشيخ يتجاوز آية وردت فيها أوجه قراءات إلا وأوردها مع عزوها لناقليها، وكان يعقد لذلك عنوانا سمّاهُ : "أوجه القراءة" ، وكثيرا ما يقوم بتوجيه القراءة إعرابيا[45]، أو بيانيًا[46]، أو فقهيا[47]، ويُبيّنُ بذلك أثرها في المعنى والفرق بينها وبين مثيلاتها، فهو بذلك يستعمل القراءات في توسيع دلالة النص القرآني وإبراز المعاني التي تحملها الآية أو المفردة الواحدة داخل سياقها.

---

[43] ينظر: كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج11، ص460

[44] كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج11، ص463.

[45] ومثاله عند تفسير قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾(البقرة:214)، ينظر: النفحات، ج2، ص19-20

[46] ومثاله عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾(البقرة:259)، ينظر النفحات: ج2، ص139.

[47] ومثاله عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾(المائدة: 06)، ينظر النفحات: ج2، ص454.

ويعّد تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر ابن عاشور مصدرًا من مصادر القراءات القرآنية التي اعتمدها الشيخ كعباش في تفسيره، خاصّة في مسألة توظيف الآليات الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية لتوجيه القراءات.[48]

يكاد الشيخ كعباش يعتمد في تفسيره على القراءات المتواترة مستوعبًا الروايات، حيث يذكر موضع الخلاف، ويبدأ بقراءة الجمهور ـ ويثني بالمخالف لقراءة الجمهور ثمّ يذكر وجه الخلاف بينه وبين الجمهور.

ومثاله في قوله تعالى:﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ (البقرة: 249)، يقول: "الغَرفة بفتح الغين في قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر أي المرة من الغرف، وهو أخذ الماء باليد، وقرأه حمزة وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف بضم الغين "الغُرفة"، وهو المقدار المغروف من الماء"[49].

أمّا القراءات الشاذّة فدورانها قليل في تفسير النفحات، فقد ورد ذكر مصطلح القراءة الشاذّة في ثلاث مواضع منها: في سورة البقرة، الآية 284، في قوله تعالى:﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، يقول: " قرأ الجمهور يَغْفِرْ- يُعَذِّبْ بالجزم عطفا على (يُحَاسِبْكُم)، وقرأه ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بالرفع على الاستئناف بتقدير: فهو يَغْفِر، وهناك قراءة شاذة بالنّصب على تقدير أَنْ بعد الفاء، والفعل وما بعده في تأويل المصدر لعطف مصدر على مصدر حملا على المعنى دون اللّفظ.[50]

ومما يُشاد على الشيخ كعباش أنّه لم يهتم بشواذ القراءات لأنّ غايته من التفسير بيان المعاني وتوظيفها، وليس الولوج في مسائل الخلاف والترجيح وردّ بعض القراءات.

[48] ابن عاشور، التحرير والتنوير ج2، ص34/ 344.

[49] ينظر: كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج2، ص114.

[50] ينظر: المرجع السابق، ج2، ص203.

الفرع الثامن: الأمثال في القرآن الكريم

المتتبع لموضوع الأمثال في القرآن الكريم يجد أنه يركز على بيان الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن، وهو يفسر الآيات التي وردت فيها الأمثال وفق ما تدلل عليه من عبر وعظات، وهو الملاحظ من خلال نماذج من تفسيره لبعض آيات الأمثال.

فمثلًا في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(البقرة: 26) يقول الشيخ كعباش:"ليس ضرب المثل بأي نوع من المخلوقات ممّا يعاب ويستهجن، لأن المقصود به هو التفهيم والتنوير والإيضاح والبيان لما يدق من المعاني بضروب من الأساليب الحيّة المتداولة على ألسنة الفصحاء والبلغاء إذ قالوا في أشباه هذه الأمثال: "أسمع من قراد" و"أطيش من فراشة" و"أعزّ من مخّ النملة أو البعوضة".

فالله تعالى لا يترك ضرب الأمثال التي من شأنها أن تؤثر في النفوس فتهديها إلى طريق الحقّ مهما كانت حقارة الممثل به كالبعوضة أو ما كان فوقها أو دونها في الصغر أو الحقارة، لأن قدرة الله في جميع الخلائق صغيرها وكبيرها جليّة واضحة بقطع النظر عن حجمها وشكلها.

والمقصود بضرب المثل هو إبراز المعاني الدقيقة في قالب الأشياء المحسوسة لإيضاح خفاياها وأسرارها بما تستأنس به النفوس فيكون التأثير فيها أشد، ذلك لأن النفوس تختلف طبائعها وبالتالي تختلف مواقفها من الحق أو الباطل والخير والشر. فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾[51]...

[51] كعباش محمّد سعيد، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج1، ص71-72.

خاتمة الدراسة:

بعد هذه الجولة السريعة بين رياض القرآن الكريم، من خلال تفسير النفحات، لمعاصر من المحققين الثقات، ابن مدينة العطف الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، نأتي إلى ختام هذه الورقة العلمية والتي حاولنا من خلالها أن نُميط اللثام عن خصيصة من خصائص هذا المؤلِّف العظيم المتمثلة في إبراز منهجه في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن، حيثُ خلُصنا إلى تقرير النتائج التالية:

-إنّ مسيرة الشيخ العلمية والمتنوعة من العمل التجاري إلى التعلم بمعهد الحياة إليجامع الزيتونة واحتكاكه بالأساتذة والمشايخ وزملائه الطلبة وشغفه في طلب العلم، ومشاركاته الفعالة في حلقات العلم والتكوين، والتحديات التي واجهها، كانت محطات عديدة ساهمت في صقل ملامح شخصيته العلمية الفذّة، وأهّلَتْه للتصدي للمهمة الجليلة وهي تفسير كلام الله.

- يعدّ تفسير الشيخ محمّد كعباش من التفاسير الحديثة المناسبة للقارئ من حيث التنظيم والتبويب وجمع الآيات بعضها إلى بعض، وهو ما يُلاحظُ من خلال العناوين البارزة التي سار عليها من بداية التفسير إلى نهايته، إضافةً إلى بساطة الأسلوب ووضوح الفكرة.

-اعتناء المُفسّر بالإرث التفسيري لمختلف المدارس التي خدمت القرآن الكريم، والحضور الكبير والمتميّز للتفسير بالمأثور، خاصّة تفسير القرآن بالقرآن مُستشهِدًا بالآيات المتعلقة بالموضع التفسيري ولو في أماكن أخرى، وتفسير القرآن بالسنة مُوظّفًا الصِحاحَ من الأحاديث، مُستخرجًا إيّاها من مظانّها، كما كان شديد التمحيص والتدقيق للروايات، فاقتصر غالبًا على الصحيح والمقبول من المرويات مع العزو والتخريج، إضافة إلى استشهاده بأقوال الصحابة والتابعين، حيث تجنّب في ذلك التطويل والإيغال في مسائل الخلاف، فقد لا يهمُّه المختلَف فيه حول قصّة أو سبب نزول، بقدر ما تهمُّهُ الفائدة المرجوّة.

- جمع الشيخ في تفسيره مختلف فنون علوم القرآن (وإن لم نُحِط ببعضها كإعجاز القرآن) ووظَّفها خير توظيف لتبيان مراد الله من كلامه بلسان عربي مبين، وكلام فصيح بليغ، مع التركيز على استخلاص العبر والحكم والدروس، إلى جانب حسن الترتيب والإخراج ممَّا يجعل القارئ يرتاح لقراءة التفسير فلا يعتريه الملل.

- لم يكن الشيخ كعباش مُجرّد ناقل يُعيدُ ما هو مسطور في كتب من سبقهُ من المفسرين، وإنّما وظّف تلك الملكات المعرفية، من أجل توجيه آرائه التفسيرية، فما فاتَهُ أن يفنِّد ما احتاج إلى التفنيد، ولا أن يعلل ما قد يحتاج إلى التعليل.

-استأنس الشيخ كعباش بأعمال وجهود العلماء المعاصرين في علوم القرآن وعلم الحديث ومن أعمالهم العلمية الأكاديمية، مع أمانة النقل والعزو والاعتراف بالجهد كالأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي من خلال تفسيره المنير، والشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش والعلامة الطاهر ابن عاشور- رحمهم الله تعالى- في أسباب النزول ومنهجه في القراءات القرآنية، خاصّة في مسألة توظيف الآليات الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية لتوجيه القراءات القرآنية.

المصادر والمراجع:

11. ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، 1986م.

12. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م.

13. ابن عاشور الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

14. ابن كثير اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط 5، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.

15. أخضري عيسى، نويجم مسعودة، قراءة في نفحات الرحمن في رياض القرءان للشيخ: محمد بن براهيم سعيد كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس، 2017م.

16. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة، 1969م.

17. السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1974م.

18. المجالي محمد خازر، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ط5، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، 2010م.

19. بن الدين بخولة، سيرة ومسيرة علاَّمة الشيخ محمد بن ابراهيم كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.

20. حمو بن عيسى الشيهاني، الدرس العقديّ عند الشيخ كعباش من خلال تفسيره "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.

21. رمضان يخلف / نور الدين هيبة، مسلك الشيخ محمد إبراهيم سعيد كعباش في تعامله مع أسباب النزول القرآني في التفسير، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.

22. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، ط5 ، ت :محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.

23. عبد الله بن عبد الرحمن المنصور الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان رسالة دكتوراه، قسم العقيدة، بكلية الدعوة وأصول الدين، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، 1419هـ .

24. فضل عباس، إتقان البرهان، دار الفرقان، ط1، 1419هـ، 1998م.

25. كعباش محمد بن إبراهيم سعيد، رحلة العمر، تنسيق وفهرسة: ابن عيسى عبد الله بن موسى، الناشر مكتبة التوفيق، العطف، غرداية، الجزائر، ط1، 2015،

26. كعباش محمد بن سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، نشر جمعية النهضة المطبعة العربية، العطف، غرداية، الجزائر، د ط، 2015 م.

27. محمّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة، د ط 1990م.

28. مصطفى رشوم، منهج الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسير آيات الأحكام الشرعية من خلال كتابه "نفحات الرحمن في رياض القرآن" (سورة البقرة نموذجا)، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبًا ومفسِّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.

29. مناع القطّان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، د ت.

30. **المواقع الالكترونية:**

1. الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمّد بن إبراهيم سعيد كعباش http://chikhkaabache.net/propochikh.php ، مطلع عليه بتاريخ 25/ 08/ 2020.

2. الموقع الرسمي للمكتبة الجزائرية الشاملة، http://shamela-dz.net/?p=638، مطلع عليه بتاريخ 25/ 08/ 2020.

فهرس مضامين الجزء الثاني